

علم الاجتماع

# العسكري

الأستاذ الدكتور

**إحسان محمد الحسن**

دكتوراه علوم في علم الاجتماع من جامعة لندن بدرجة امتياز  
حائز على جائزة نوبل في العلوم الاجتماعية



# علم الاجتماع العسكري

دراسة تحليلية في النظم والمؤسسات العسكرية المقارنة

تأليف

الأستاذ الدكتور

**احسان محمد الحسن**

دكتوراه علوم في علم الاجتماع من جامعة لندن بدرجة امتياز

**حائز على جائزة نوبل في العلوم الاجتماعية**

أستاذ علم الاجتماع في كلية الآداب بجامعة بغداد

دار النشر

الطبعة الثانية

2016

رقم الايداع لدى دائرة المكتبة الوطنية : (2005/3/554)  
الحسن ، إحسان محمد  
علم الاجتماع العسكري / إحسان محمد الحسن. - عمان : دار وائل ، 2005 .  
(313) ص  
ر.ا. : (2005/3/554)  
الواصفات: علم الاجتماع العسكري / التربية العسكرية  
• تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

\*\*\*\*\*

رقم التصنيف العشري / ديوي : 306.27  
ISBN 9957-11-539-1 (ردمك)

\* علم الاجتماع العسكري  
\* الأستاذ الدكتور إحسان محمد الحسن  
\* الطبعة الأولى 2005  
\* الطبعة الثانية 2016  
\* جميع الحقوق محفوظة للناسر



## دار وائل للنشر والتوزيع

\* الأردن - عمان - شارع الجمعية العلمية الملكية - مقابل البوابة الشمالية للجامعة الأردنية  
هاتف : 00962-6-5335837 - فاكس : 00962-6-5331661 - ص.ب (1615 - الجبيهة)  
\* الأردن - عمان - العبدلي - مقابل مجلس الأمة - بجانب الخطوط الجوية الملكية الأردنية  
هاتف 00962-6-5661996

[www.darwael.com](http://www.darwael.com)

E-Mail: [Wael@Darwael.Com](mailto:Wael@Darwael.Com)

جميع الحقوق محفوظة، لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله أو استنساخه بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي مسبق من الناشر.

All rights reserved. No Part of this book may be reproduced, or transmitted in any form or by any means, electronic or mechanical, including photocopying, recording or by any information storage retrieval system, without the prior permission in writing of the publisher

## المحتويات

الموضوع	الصفحة
المقدمة .....	٩
الفصل الاول: نشأة علم الاجتماع وأهدافه .....	١٥
أ- نشأة وتكوين علم الاجتماع .....	١٦
ب - ماهية علم الاجتماع .....	٢١
ج - أهداف علم الاجتماع .....	٢٤
الفصل الثاني : مصطلحات ومفاهيم علمية في علم الاجتماع .....	٢٩
أ- المجتمع .....	٣٠
ب- البناء الاجتماعي .....	٣١
ج - المؤسسات الاجتماعية .....	٣٣
د- الوظائف الاجتماعية .....	٣٤
هـ - الجماعة الاجتماعية .....	٣٦
و- داينمكية الجماعة .....	٣٨
ز- السلوك الاجتماعي .....	٣٩
ي- الدور الاجتماعي .....	٤٠
الفصل الثالث: ماهية طبيعة ووظائف علم الاجتماع العسكري .....	٤٣
أ- مفهوم علم الاجتماع العسكري .....	٤٧
ب- طبيعة علم الاجتماع العسكري .....	٥٤
ج - وظائف علم الاجتماع العسكري .....	٦٢
الفصل الرابع: علاقة علم الاجتماع العسكري بعلم الاجتماع العلوم العسكرية .....	٦٧

- أ- علاقة علم الاجتماع العسكري بعلم الاجتماع ..... ٧٢
- ب- علاقة علم الاجتماع العسكري بالعلوم العسكرية..... ٧٨
- ج - مشكلات علم الاجتماع العسكري ..... ٨٢
- الفصل الخامس : طرق البحث الاجتماعي في القوات المسلحة ..... ٨٥
- أ- الطريقة التاريخية ..... ٨٦
- ب- طريقة المقارنة ..... ٩٤
- ج - طريقة المسح الميداني ..... ٩٩
- الفصل السادس: الدراسة الاجتماعية للنظم العسكرية ..... ١٠٧
- أ- الهياكل العمودية والافقية للمؤسسة العسكرية ..... ١٠٨
- ب- التحليل البنوي للمؤسسة العسكرية ..... ١١٢
- ج - العلاقات الاجتماعية في المؤسسة العسكرية ..... ١١٦
- د- خصائص المؤسسة العسكرية ..... ١١٩
- هـ - المعتقدات والقيم والاهداف المشتركة ..... ١٢٤
- الفصل السابع : البيروقراطية في النسق العسكري ..... ١٢٧
- أ- خصائص البيروقراطية كما يحددها ماكس فيبر ..... ١٢٨
- ب- درجة انطباق خصائص البيروقراطية على النسق العسكري ..... ١٣٢
- ج - البناء غير الرسمي للنسق العسكري ..... ١٣٥
- د- العلاقة بين العسكري والمدني ..... ١٤٢
- الفصل الثامن: دور الجماعة الاولية في التشكيلات القتالية ..... ١٤٧
- أ- دور العوامل الاجتماعية في تكامل الجماعة الاولية العسكرية ..... ١٥٠

- ب- دور العوامل التنظيمية في تكامل الجماعة الاولية العسكرية ١٥٢
- ج- الظروف الاجتماعية المؤدية لقوة وتماسك الجماعة الاولية العسكرية ١٥٥
- د- الظروف المؤدية لانهايار الجماعة الاولية وفرارها من أرض المعركة ١٥٨
- هـ- المقترحات والتوصيات بشأن صمود الجماعة الاولية العسكرية في ارض المعركة وانتصارها على العدو ..... ١٦١
- الفصل التاسع: الدراسة السسيولوجية للحرب ١٦٣**
- أ- الحرب كظاهرة اجتماعية ..... ١٦٣
- ب- التفسيرات السببية للحرب ..... ١٦٩
- ج- التحليل الوظيفي للحرب ..... ١٧٤
- د- الحرب والحضارة ..... ١٨٠
- الفصل العاشر: التكتيك العسكري والاستراتيجية العسكرية وعلاقتها ١٨٥**
- بالسياسة والمجتمع ..... ١٨٥
- أ- التكتيك العسكري (التعبئة العسكرية) ..... ١٨٦
- ب- الاستراتيجية العسكرية ( السوق العسكري) ..... ١٩٢
- ج- دايلكتيكية الاستراتيجية العسكرية ..... ١٩٦
- د- العلاقة بين التكتيك والاستراتيجية العسكرية وسياسة الدولة ..... ٢٠٠
- هـ- دراسة تحليلية عن دور الاستراتيجية الاجتماعية للعراق في حربه مع ايران ..... ٢٠٤

## الفصل الحادي عشر : العوامل المؤثرة في قدرة وقابلية القوات

- ٢١١ ..... المسلحة
- ٢١٢ ..... أ- القيادة العسكرية والسياسية الايجابية
- ٢١٥ ..... ب- الايديولوجية المتكاملة
- ٢١٨ ..... ج- وحدة التشكيلات القتالية
- ٢٢٠ ..... د- التدريب والتسليح الجيد
- ٢٢٢ ..... هـ- الامدادات المادية والبشرية
- ٢٢٧ ..... الفصل الثاني عشر : القيادة العسكرية
- ٢٢٧ ..... أ- مفهوم القيادة العسكرية
- ٢٣١ ..... ب- كيف نشخص القائد العسكري ؟
- ٢٣٦ ..... ج- صفات القائد العسكري
- ٢٤٣ ..... د- وظائف القائد العسكري
- ٢٤٨ ..... هـ- أنواع القيادات العسكرية
- ٢٥٣ ..... الفصل الثالث عشر: دور العائلة في اقتصاد الحرب
- ٢٥٥ ..... أ- دور العائلة في ترشيد الاستهلاك
- ٢٥٩ ..... ب- دور العائلة في زيادة الانتاج الاجتماعي
- ٢٦٣ ..... ج- دور العائلة في دعم المجهود الحربي
- ..... د- رصد الظواهر الاقتصادية المدانة في المؤسسة العائلية
- ٢٦٤ ..... خلال فترة الحرب
- ٢٦٧ ..... الفصل الرابع عشر: أسرى الحرب وطرق رعايتهم الاجتماعية
- ٢٦٨ ..... أ- من هم أسرى الحرب ؟
- ٢٧١ ..... ب- الاوضاع الاجتماعية والنفسية لاسرى الحرب

الموضوع	الصفحة
ج - الاساليب التي يستعملها العدو ضد أسرى الحرب .....	٢٧٤
د- الرعاية الاجتماعية لاسرى الحرب .....	٢٧٩
الفصل الخامس عشر: أساليب الرعاية الاجتماعية لمعوقي الحرب ...	٢٨٧
أ- مفهوم الرعاية الاجتماعية ومفهوم معوقي الحرب .....	٢٨٨
ب- تشخيص وتصنيف حالات العوق البدني والعقلي .....	٢٩٠
ج- معالجة حالات العوق بالطرق الطبية والنفسية والاجتماعية.....	٢٩٢
د- إعادة تكييف المعوق للمجتمع وتأهيله على العمل الجديد .....	٢٩٦
هـ - الخدمات الاجتماعية لاسر المعوقين .....	٣٠٠
و- المبادئ العلمية والانسانية التي تركز عليها رعاية المعوقين ..	٣٠٢
المصادر العربية .....	٣٠٦
المصادر الاجنبية .....	٣٠٩



## المقدمة

تستأثر دراسات وابحاث علم الاجتماع العسكري في الوقت الحاضر باهتمام  
الاجتماعيين والعسكريين في الكثير من البلدان المتقدمة والنامية وذلك بعد تداخل  
وتفاعل الظواهر الاجتماعية مع الظواهر العسكرية وصعوبة الفصل بينها، وبعد نمو  
وتوسع وتعقد المؤسسات العسكرية بحيث أصبحت كيانات مؤسسية وظيفية كبقية  
الكيانات والهياكل البنوية التي يتكون منها المجتمع الكبير. فكما ندرس المؤسسات  
الوظيفية كالعائلة والمجتمع المحلي والحزب والمصنع والمدرسة والدائرة البيروقراطية  
دراسة سسيولوجية متخصصة فأننا نستطيع دراسة القوات المسلحة كمؤسسة اجتماعية  
دراسة سسيولوجية علمية تتوخى تحليل هياكلها التنظيمية وتحديد وظائفها التركيبية  
وعناصرها التكوينية وتوضيح العلاقات الداخلية بين أفرادها وعلاقتها بالمنظمات  
والبنى المؤسسية التي يتكون منها المجتمع. إضافة الى دراسة العوامل الموضوعية  
والذاتية التي تؤثر في درجة ثبات وسكون القوات المسلحة وفي درجة تحولها  
وداينميكيته.

تهدف الدراسة السسيولوجية هذه الى معرفة ماهية القوى والمؤثرات المسببة  
في تماسك ووحدة القوات المسلحة وتشكيلاتها القتالية أو المسببة في ضعفها وتفككها  
وتناقضها، ومعرفة العوامل والشروط المؤدية الى فاعلية واقتدار القوات المسلحة في  
حسم المعارك واحراز الانتصارات على الاعداء أو المؤدية الى ضعف وعجز القوات  
المسلحة في تحقيق أبسط أهدافها التكتيكية والسوقية. وتهتم الدراسة كذلك بالجماعات  
والنظم غير الرسمية في القوات المسلحة وأثرها في وحدة الجماعات القتالية الاولية  
وفي تحول النسق الرسمي للسلطة العسكرية .

تركز السسيولوجيا العسكرية Military Sociology على ظاهرة الخبز  
من حيث تفسيراتها وأسبابها الموضوعية والذاتية ونتائجها على الفرد والجماعة

---

---

والمجتمع، وتعالج ماهية قيم الحرب الاجتماعية ودورها في التعبئة العسكرية والاندفاع نحو مقاتلة الاعداء وتحقيق الانتصارات عليهم في كافة الاصعدة العسكرية منها والسياسية والاقتصادية والنفسية. وأخيرا تعالج السسيولوجيا العسكرية الخدمات الاجتماعية التي يحتاجها المجتمع في فترة ما بعد الحرب كخدمات اعادة تأهيل المقاتلين العائدين من جبهات القتال الى الحياة المدنية وخدمات رعاية معوقى وأسرى الحرب وخدمات رعاية أسر الشهداء والمفقودين. إضافة الى الخدمات السكنية والصحية والتعليمية والاجتماعية والترفيهية التي يحتاجها المواطنون بعد انتهاء الحرب.

وبالرغم من أهمية وخطورة الموضوعات العلمية والتطبيقية التي يدرسها علم الاجتماع العسكري والتي بدأت الدول المتقدمة في الغرب والشرق كالولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وفرنسا والمانيا والاتحاد السوفيتي والمجر وبولندا ويوغسلافيا الاهتمام بها والتركيز على محاورها منذ فترة الاربعينات من هذا القرن فإن الاقطار العربية لم تهتم لحد الآن بهذا الموضوع الفتى ولم تدرس مواضيعه المتخصصة ولم تستفد من نتائج دراساته العلمية في تطوير جيوشها ومضاعفة قدراتها التنظيمية والقتالية وتعميق درجة وحدة وتفاعل الجيوش مع قياداتها السياسية وجماهيرها الشعبية.

ويرجع عدم اهتمام الاقطار العربية بالسسيولوجيا العسكرية الى عدة عوامل أهمها ندرة علماء الاجتماع العرب الراغبين في التخصص بحقل الاجتماع العسكري، وحساسية الموضوعات التي يدرسها هذا العلم ورفض المؤسسات العسكرية العربية فتح أبوابها للباحثين الاجتماعيين لدراسة الظواهر والحقائق العسكرية دراسة اجتماعية بسبب سرية المعلومات التي تمتلكها المؤسسات العسكرية، ورغبة هذه المؤسسات في الحفاظ على أسرار نظمها وتشكيلاتها وأسلحتها وفنون تدريبها ونقاط قوتها وضعفها وخططها الاستراتيجية والأمنية. لكن البلدان العربية تستطيع تجاوز هذه السلبيات والمعوقات عن طريق فتح شعب متخصصة في دراسات الاجتماع العسكري كالشعب

المتخصصة في حقل الطب النفسي وعلم النفس العسكري التي تستعين بها القوات المسلحة في الوقت الحاضر في معالجة بعض مشكلاتها. كما تستطيع الجامعات العربية من جانبها استحداث فروع بعلم الاجتماع العسكري تلحق بأقسام الاجتماع، أو على الأقل تدريس مادة علم الاجتماع العسكري كمادة من مواد علم الاجتماع. وهنا لا بد من أن تنمو وتزداد أبحاث ودراسات الاجتماع العسكري التي يمكن أن تستثمرها الجيوش العربية في تطوير قدراتها التعبوية والقتالية والادارية والفنية والتربوية لكي تكون بمستوى الجيوش المتقدمة في العالم .

إن اهتمامي بتأليف مثل هذا الكتاب الذي يجمع بين دراسة الاجتماع والعلوم العسكرية والذي قد يعتبر الاول من نوعه في الوطن العربي يرجع الى عدة عوامل لعل من أهمها ندرة المؤلفات والابحاث العربية في حقل الاجتماع العسكري وحاجة كل من الاجتماعيين والعسكريين في الوطن العربي الى أسس وأدبيات الاجتماع العسكري التي توضح لهم الجذور والانعكاسات الاجتماعية للظواهر العسكرية وتفسر لهم المؤسسات العسكرية تفسيرا اجتماعيا علميا عقلانيا. اضافة الى أهميتها في ربط العقيدة العسكرية بالعقيدة السياسية والاجتماعية .

ومن العوامل الاخرى التي شجعتني على تأليف مثل هذا الكتاب انجازي عشرات الابحاث والدراسات العلمية عن المضامين والابعاد الاجتماعية والحضارية للحرب العراقية الايرانية خلال فترة الحرب ونشرها في المجلات والصحف المحلية. وتعتبر مثل هذه الابحاث والدراسات بمثابة المادة الاولية للكتاب. زد على ذلك أن مشاركتي الفعلية في الحرب خلال السنوات ١٩٨١-٨٤ والتي انطوت على ذهابي الى معسكرات التدريب الاجمالي وجبهات القتال في القاطع الجنوبي والاوسط ( سيف سعد ومندلي) والشمالى ( زاخو وبيير زور) وتفاعلي وعملي مع المقاتلين من تشكيلات الجيش الشعبي والقوات المسلحة النظامية قد زودتني بتجارب وخبرات ميدانية ومعلومات قيمة عن طبيعة الحياة العسكرية وظروف المقاتلين ومشكلاتهم

والعلاقة بين الأمرين والمأمورين والفعل ورد الفعل بين أجواء المعركة والمعنويات القتالية والنظم الرسمية وغير الرسمية في القوات المسلحة وعوامل الضعف والافتقار في الوحدات والتشكيلات القتالية وأثرها في فاعلية الأداء العسكري .

يلقي هذا الكتاب الاضواء على أهم الموضوعات التي يهتم بها علم الاجتماع العسكري. فهو يحدد ماهية ومضمون وأبعاد الموضوع وعلاقته بعلم الاجتماع والعلوم العسكرية، ويوضح منهجيته العلمية ومشكلاته النظرية والتطبيقية. ويحلل البنية الاجتماعية للسلطة العسكرية ويدرس العوامل التي تكمن خلف فاعلية الجيش واقتداره في المعارك المصيرية. إضافة الى اهتمامه بظاهرة الحرب وقيمها الاجتماعية وتفسيراتها الاكاديمية واسبابها الموضوعية والذاتية ونتائجها على الفرد والجماعة والمجتمع .

ان الكتاب يحتوي على خمسة عشر فصلا متكاملا يدور الفصل الاول منها حول نشأة وطبيعة واهداف علم الاجتماع العام. بينما يتطرق الفصل الثاني من الكتاب الى المصطلحات والمفاهيم العلمية في علم الاجتماع كمفهوم المجتمع والبناء الاجتماعي والمؤسسات الاجتماعية والوظائف الاجتماعية والجماعة الاجتماعية وداينمكية الجماعة والسلوك الاجتماعي والمنزلة والدور الاجتماعي . . . الخ. والفصل الثالث يدرس ماهية وطبيعة ووظائف علم الاجتماع العسكري. أما الفصل الرابع فيعالج علاقة علم الاجتماع العسكري بعلم الاجتماع والعلوم العسكرية، ويحلل أوجه الشبه والاختلاف بين العلوم الثلاثة من ناحية المصطلحات والمنهجية ومن ناحية النظريات والاهداف الاكاديمية والتطبيقية .

والفصل الخامس من الكتاب يتخصص بطرق البحث الاجتماعي في القوات المسلحة كالطريقة التاريخية وطريقة المقارنة وطريقة المسح الميداني. بينما يركز الفصل السادس على الدراسة الاجتماعية للنظم العسكرية كدراسة الهياكل العمودية والافقية والتحليل البنوي للمؤسسة العسكرية والعلاقات الاجتماعية في تلك المؤسسة،

إضافة الى خصائص المؤسسة العسكرية. والفصل السابع يدرس البيروقراطية في النسق العسكري. وهذا الموضوع يتفرع الى خصائص البيروقراطية كما يحددها ماكس فيبر، ودرجة انطباق خصائص البيروقراطية على النسق العسكري غير الرسمي للنسق العسكري واخيرا العلاقة الجدلية بين العسكري والمدني. في حين يدرس الفصل الثامن دور الجماعة الاولية في التشكيلات القتالية في القوات المسلحة.

أما الفصل التاسع فيتناول الدراسة السسيولوجية للحرب. وتتضمن هذه الدراسة ظاهرة الحرب كظاهرة اجتماعية، والتفسيرات السببية للحرب، والتحليل الوظيفي للحرب، والحرب والحضارة. بينما يدور الفصل العاشر حول التكتيك العسكري والاستراتيجية العسكرية وعلاقتها بالسياسة والمجتمع. والفصل يدرس ثلاثة مباحث أساسية هي التكتيك العسكري (التعبئة) والاستراتيجية العسكرية (السوق) والعلاقة الجدلية بين التكتيك والاستراتيجية العسكرية وسياسة الدولة. ويتناول الفصل الحادي عشر العوامل المؤثرة في اقتدار وفاعلية القوات المسلحة، وهذه العوامل هي القيادة العسكرية والسياسية الايجابية وتوفر الادبولوجية المتكاملة ووحدة التشكيلات القتالية وتوفر روح العائلة بين أفرادها والتدريب والتسليح الجيد وأخيرا الامدادات المادية والبشرية. أما الفصل الثاني عشر فيدرس القيادة العسكرية إذ يتطرق الى مفهوم ووظائف القائد وانواع القيادات العسكرية وتصنيف القادة حسب متغير الشخصية ومتغير التوازن بين العقل والقلب.

ويهتم الفصل الثالث عشر بموضوع دور العائلة في اقتصاد الحرب. ويعالج هذا الفصل أربعة مباحث رئيسية هي دور العائلة في ترشيد الاستهلاك، ودور العائلة في زيادة الانتاج الاجتماعي، ودور العائلة في دعم المجهود الحربي، وأخيرا رصد الظواهر الاقتصادية والاجتماعية المدانة في المؤسسة العائلية خلال فترة الحرب. أما الفصل الرابع عشر فيدرس أسرى الحرب وطرق رعايتهم الاجتماعية. ويتناول هذا الفصل عدة موضوعات اهمها من هم أسرى الحرب؟ والاضاع الاجتماعية والنفسية

---

---

لاسرى الحرب، والاساليب التي يستعملها العدو ضد أسرى الحرب، وأخيرا الرعاية الاجتماعية لاسرى الحرب. والفصل الخامس عشر يتناول بالدراسة والتحليل موضوع أساليب الرعاية الاجتماعية لمعوقي الحرب .

آمل أن أكون قد وفقت في هذا الجهد العلمي ونجحت في تمهيد السبيل إلى دراسة علم الاجتماع العسكري، الذي لم يكد يتناوله أي من الاجتماعيين والعسكريين العرب، وتمكنت من رفد الدارسين والباحثين والمفكرين على اختلاف مستوياتهم بكتاب يزواج بين القوات المسلحة والمجتمع .

### المؤلف

الاستاذ الدكتور احسان محمد الحسن  
قسم الاجتماع - كلية الآداب  
جامعة بغداد

## الفصل الاول

### نشأة علم الاجتماع وأهدافه

يعتبر علم الاجتماع من أهم العلوم الانسانية الفتية التي تهتم بقضايا الانسان ومشكلاته، وتعالج حقيقة الوجود الاجتماعي وما ينطوي عليه من عوامل موضوعية وذاتية، وتعنى ببيئته الاجتماعية وما يكتنفها من ظواهر طبيعية وانسانية ونظم واحكام اجتماعية لها اهميتها في تحديد انماط العلاقات والسلوك الاجتماعي بأنماطه الثابتة والمتغيرة. ولعل من أهم وظائف علم الاجتماع تطوير نوعية بيئة الانسان وتعميق علاقات الانسان بأخيه الانسان وتحسين المظاهر والانماط السلوكية للانسان وتكييفه للوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه ويتفاعل معه (1). ناهيك عن الوظائف المجتمعية لعلم الاجتماع التي تتجسد في تحقيق الاهداف العليا للمجتمع من خلال وضع السبل العملية التي توصل لبلوغ الاهداف. بمعنى آخر أن تنمية المجتمع وتحوله من نمط الى نمط آخر يكون عن طريق التخطيط والتنمية الغائية التي تتوافق مع أفكار المجتمع وتوجهاته ومعطياته المادية وغير المادية والمرحلة الحضارية التاريخية التي يمر بها (2).

إن هذا الفصل يهدف الى دراسة ثلاثة محاور أساسية هي :

- ١- نشأة وتكوين علم الاجتماع.
- ٢- ماهية علم الاجتماع .
- ٣- أهداف علم الاجتماع .

(١) Johnson,H.Sociology,London, Routledge and Kegan Paul,1981,P.2.

(٢) Mannheim,K.Diagnosis of Our Time,London,Routledge and kegan Paul,, 1983,P.38.

## أ- نشأة وتكوين علم الاجتماع :

يمكننا القول بأن أفكار ونظريات علم الاجتماع قديمة قدم الحضارات الانسانية التي عرفها الإنسان وطور من خلالها حياته الاجتماعية الخاصة والعامة. فمادة علم الاجتماع المتعارف عليها من قبل علماء الاجتماع التقليديين والمحدثين كانت، خلال الحضارات القديمة كحضارة وادي الرافدين ووادي النيل والحضارات شبه القديمة كالحضارة الاغريقية والرومانية وحضارة القرون الوسطى كالحضارة العربية الاسلامية، موجودة في عدة علوم انسانية كالفلسفة والتاريخ والجغرافية والدين واللاهوت والسياسة<sup>(1)</sup>. فموضوعات العلاقة بين العقل والجسم وأديولوجيات النظام الاجتماعي وواجبات وحقوق كل من الدولة والشعب وأركان المجتمع وأسس الحضارة وعلاقتها بالمدنية وطبيعة النفس البشرية والعوامل الوراثية والمكتسبة المؤثرة فيها والقيادة ودورها في نشوء المجتمع المثالي كانت موجودة في الفلسفة والسياسة، وموضوعات مراحل الحضارة وخصائصها ومسارات تحولها وانتقالها، والصراع بين الدول والامم والتعاون والاتفاق بينها والشخصيات التاريخية ودورها في القضايا والاحداث التي شهدتها المجتمعات والحضارات هي موضوعات داخلية في حقل التاريخ. أما موضوعات العلاقة بين الظروف الطبوغرافية والمناخية وعادات وتقاليد وقيم وأمزجة الشعوب والمجتمعات، والمدن وخصائصها ووظائفها وأسباب ظهورها وتوسعها واضمحلالها، والنسبة والتناسب بين السكان والموارد الطبيعية وكثافة السكان ودورها في نشوء الحضارات وتطور المجتمعات فهي موضوعات كانت تابعة للجغرافية وهكذا .

غير أن موضوعات علم الاجتماع هذه بدأت تتسلخ عن العلوم التي كانت تابعة لها لاسيما بعد تعقد الظواهر الانسانية وشيوع مبدأ التخصص العلمي والمعرفي ونضوج العلوم وتطور مناهجها وأساليبها الدراسية. من هنا بدأت مواد علم

(1) الخشاب، د. مصطفى . علم الاجتماع ومدارسه، الكتاب الاول، الدار القومية، القاهرة ، ١٩٧٥، ص ١٥-٢٠.



الاجتماع تتجذب بعضا الى بعض وأخذت فيما بعد تكون علما خاصا بها سمي في القرن الرابع عشر الميلادي بعلم العمران البشري الذي وردت الاشارة اليه في مقدمة ابن خلدون (1). وينطوي العمران البشري كما يخبرنا ابن خلدون على عدة نظم ومناشط اجتماعية تتعلق بالظواهر السياسية والدينية والاقتصادية والعائلية التي جاءت لتنظم حياة الانسان وتضفي عليها صفة الاستقرار والديمومة والرفاهية التي تحقق غايات وطموحات الافراد والجماعات على حد سواء. لذا فالمجتمع بالنسبة لابن خلدون ما هو الا تجسيد للانماط المتباينة للعمران البشري كالعمران السياسي والعمران العائلي والعمران الديني والعمران الاقتصادي (2).

وعلم العمران البشري الذي ابتدعه ابن خلدون جاء بعد تطور منهجي لاسيما بعد التأكيد على ضرورة الفصل بين الحقائق والقيم، والنظر الى البناء الاجتماعي نظرة شمولية وتكاملية، والايمان بحتمية التحول التاريخي للمجتمع، أي مروره بمراحل وأطوار حضارية متصلة، كل مرحلة تكمل المرحلة التاريخية الماضية وتحدد السمات الاساسية للمرحلة المستقبلية التي سيشهدها المجتمع فيما بعد. فالمجتمع كما يقول ابن خلدون يمر في ثلاث مراحل متباينة هي مرحلة النشأة والتكوين ومرحلة النضج والاكتمال ومرحلة الهرم والشيوخوخة (3).

لقد ظهر العديد من المفكرين الاجتماعيين في الحضارات الاغريقية والرومانية والعربية الاسلامية. ففي الحضارة الاغريقية ظهر سقراط وأفلاطون وأرسطو، وفي الحضارة الرومانية ظهر سينكا وشيشرون، وفي الحضارة العربية الاسلامية ظهر الفارابي وابن خلدون والمسعودي وابن رشد والماوردي وابن بطوطة (4). والإفكار والبروحات الاجتماعية والفلسفية والتربوية التي قدمها هؤلاء المفكرون قدمها دبت

(1) ابن خلدون، المقدمة، دار القلم، بيروت، ١٩٨٧، ص ٣٠٢.

(2) المصدر السابق، ص ٤١.

(3) ارجع الى المصدر السابق.

(4) الحسن، د. احسان محمد. الاوليات التاريخية لاهتمامات العرب بعلم الاجتماع، المورد، العدد الثالث، ١٩٨٦،

ص ٦٠-٦٢.

بطريقة مباشرة أو غير مباشرة الى ظهور وبلورة الجذور الحقيقية لعلم الاجتماع. لقد طُور افلاطون مثلا الفكر الاجتماعي في ضروب عديدة منها وضع الاسس الفلسفية للمجتمع المثالي الذي كان يدعو له، تعريف مفهوم العدالة، دراسة علاقة أجزاء النفس البشرية بالطبقات الاجتماعية الماثلة في المجتمع الاغريقي، تحديد وشرح الانظمة الاجتماعية الفرعية التي يتكون منها هيكل المجتمع كالنظام الديني والنظام الاقتصادي والنظام السياسي، الخ وأخيرا العلاقة المنطقية بين الفرد والمجتمع (1). أما سينكا من الحضارة الرومانية فقد قدم أفكارا اجتماعية جديدة أهمها العلاقة بين الملكية المادية للانسان ومنزلته الاجتماعية، والعلاقة بين الجاه والثروة والقوة السياسية التي يتمتع بها الافراد والجماعات، وأخيرا ضرورة الفصل بين السلطتين الدينية والسياسية. أما الفارابي من الحضارة العربية الاسلامية فقد طُور الفكر الاجتماعي في نواح كثيرة لاسيما تأكيده على ضرورة بناء وتكوين المجتمع المثالي الذي يكون على غرار جمهورية أفلاطون، وتصنيف المجتمعات الى اقسام كثيرة كالمجتمعات الكاملة والمجتمعات الناقصة، وضرورة الانتباه الى اختيار القائد الذي يتولى مسؤولية ادارة دفة المجتمع المثالي، والقائد هذا ينبغي أن يتسم بصفات قيادية متنوعة يحددها في كتابه آراء أهل المدينة الفاضلة" (2).

وقبل ظهور أوغست كونت كأول مؤسس لعلم الاجتماع الحديث (السيولوجيا) ظهر العديد من المفكرين الاجتماعيين والسياسيين في الحضارة الأوروبية التي أخذت تحمل مشعل الحضارة الانسانية بعد سقوط واطمحلال الحضارة العربية الاسلامية، ومن أشهر هؤلاء المفكرين فيكو وماكيافيلي وتوماس هوبز وجون لوك وجان جاك روسو وجرمي بينثام وهيغل وسانت سيمون وهردر، الخ وقد مهدت أفكار هؤلاء لظهور علم الاجتماع كعلم مستقل عن العلوم

(1) Plato, the Republic, A Pelican Book, Middlesex, England, 1991.

(2) الفارابي، أهل المدينة الفاضلة، دار المشرق، بيروت، ١٩٧٣.

الطبيعية والعلوم الاجتماعية. فنظرية العقد الاجتماعي التي حمل لواءها هوبز ولوك وروسو وفولتير قد نجحت في تفسير أصل نشوء المجتمع والدولة وذلك من خلال الرجوع الى الحالة الطبيعية للانسان وفحص طبيعة قانون الغاب الذي كان يحكم العلاقات بين البشر واشتمزاز الافراد من هذا القانون الطبيعي والاتفاق على انهاءه من خلال قبول العقد الاجتماعي الذي يستهدف تكوين الدولة الشرعية عن طريق الاستفتاء، هذه الدولة التي تسيطر على واجبات وحقوق الافراد وتعيد توزيعها عليهم بطريقة نابغة من مبادئ المساواة والعدالة الاجتماعية<sup>(1)</sup>. وبعد ظهور الدولة يظهر المجتمع بأركانه المؤسسية الوظيفية التي تؤدي واجباتها الجليلة للافراد والجماعات.

وهناك النظرية البايولوجية لتفسير أصل وتطور المجتمع التي اكد عليها العالم الفرنسي كوندرسيه، هذا العالم الذي أصر على أهمية دراسة الارتقاء الاجتماعي للمجتمع الانساني، وقال أن الارتقاء والنمو الاجتماعي شبيه بالارتقاء والنمو عند الكائن الحيواني. ومن أشهر ما قاله عن الارتقاء والتطور الاجتماعي أن المرحلة الاولى لمدينة الانسان هي تكوينه مجتمع صغير يعتمد على الجمع والصيد البري والبحري، وكان باستطاعة أفراد هذا المجتمع صنع أسلحة بسيطة مصنوعة من الحجارة والصخور، وحفر الكهوف والمخابيء التي كانوا يعيشون فيها. غير أن تكوينهم للغة مكنهم من استنباط بعض الافكار والمبادئ الاخلاقية التي ضبطت سلوكهم وتصرفاتهم ومكنتهم من ايصال حاجاتهم ومتطلباتهم الى الآخرين وبالتالي اشباعها. ومن أفكارهم وآرائهم المادية والمعنوية نشأت القوانين والعادات والتقاليد التي كانت سبب ظهور نظام الحكومة المعروف لدينا في الوقت الحاضر<sup>(2)</sup>.

(1) Mackenzie, J. Outlines of Social Philosophy, London, George Allen and Unwin, 1981, P.46.

(2) الحسن، د. احسان محمد. المدخل الى علم الاجتماع، مطبعة الجامعة، بغداد، ٢٠٠٠، ص ١٠٠.

ويعتبر أوغست كونت ( ١٧٩٨-١٨٥٧ ) من أوائل المؤسسين المحدثين لعلم الاجتماع. فقد اشتغل مع سانت سيمون وتراسل مع جون ستيوارت ميل. وكان المفكر الأول الذي اطلق على علم الاجتماع اسم " السوسيولوجي"، أي علم دراسة المجتمع. كما انه من أوائل المفكرين الاجتماعيين الذين يعود اليهم الفضل في تأسيس وبناء النظرية الاجتماعية التي تعتمد على الطريقة النظامية والمنهج التجريبي العلمي الذي سماه بالمنهج الوضعي<sup>(١)</sup>. لقد استعمل كونت مصطلح "وضعية" و" وضعي" تقريبا في كافة المقالات التي نشرها عن المجتمع اذ قال "ينبغي استعمال هذا المصطلح عند دراستنا للسياسة والفلسفة والاجتماع. وغايته من استعمال هذا المصطلح تكمن في رغبته في تحويل موضوعات السياسة والفلسفة والاجتماع الى موضوعات اكثر علمية وواقعية طالما أن هدفها هو إيجاد الحقائق الموضوعية المشتقة من المحيط الاجتماعي الذي يعيش فيه الانسان والابتعاد عن أسلوب التكهن والحرز والاسلوب الميتافيزيقي الذي كانت تستعمله العلوم سابقا .

واعتقد كونت بأن العلم الجديد الذي اكتشفه " علم الاجتماع" يجب أن تتوفر فيه الشروط التالية :

- ١- ينبغي على العلم الجديد إيجاد طرق جديدة يستعملها في البحث تساعده على توسيع وبلورة نظرياته وقوانينه .
- ٢- يجب أن تكون المعلومات والحقائق التي يتكون منها علم الاجتماع متكاملة ومتناسقة وعلى درجة كبيرة من الموضوعية .
- ٣- يجب أن يرفدنا العلم الجديد بقاعدة نظامية وثابتة للتفاعل الاجتماعي .
- ٤- على العلم الجديد أن يكون قادرا على شرح وتفسير قوانين ونظريات الاديان السماوية والاخلاق والآداب والقيم .

(١) Coser,L.Masters of Sociological thought,New York,Harcourt Brace,1997,PP.3-7.

٥- يجب أن لا تكون النظريات الاجتماعية جامدة بل قابلة على التبدل والتغير على مر الزمن.

وعند ظهور كونت ومحاولاته الجادة في إرساء القواعد الثابتة لعلم الاجتماع استطاع العلم الاستقلال عن العلوم الطبيعية والعلوم الانسانية بعد أن قام رجاله واساتذته بوضع الحدود المستقرة بين علم الاجتماع والعلوم الاخرى. وقد نمت وتطورت النظرية الاجتماعية ونمت وتطور معها علم الاجتماع بعد ظهور العديد من علماء الاجتماع التقليديين والمحدثين خلال القرنين التاسع عشر والعشرين مثل هيربرت سبنسر و كارل ماركس واميل دوركهايم وباريتو ووليم كراهام سمنر وفرانك وورد وبارسنز وميرتن ومكايفر .

#### ب - ماهية علم الاجتماع :

هناك عدة تعاريف لعلم الاجتماع. ذلك ان لكل عالم اجتماع تعريفه الخاص. وفي هذا المبحث سنذكر بعض أشهر التعاريف المعروفة في علم الاجتماع التي وردت في مؤلفات أساطين الفكر الاجتماعي، بعدها سنشرح اثنين منها بالتفصيل.

يعرف ابن خلدون علم الاجتماع بالعلم الذي يدرس ما استطاع الانسان انجازه في البيئة الحضرية من معالم المدنية والتراث الحضاري وباقي الفنون الحياتية التي طورت المجتمع ونمته في ضروب ومجالات مختلفة (1) . أما البروفسور موريس كينزبيرك فيعرف علم الاجتماع بالعلم الذي يدرس طبيعة العلاقات الاجتماعية وأسباب هذه العلاقات ونتائجها. والعلاقة الاجتماعية هي أي اتصال أو تفاعل أو تجاوب يقع بين شخصين أو أكثر بغية سد وإشباع حاجات الافراد الذين يكونون هذه أو تلك العلاقة الاجتماعية (2) .

أما العالم الاجتماعي الفرنسي إميل دوركهايم فيعرف علم الاجتماع بالموضوع الذي يدرس المجتمعات الانسانية من ناحية نظمها ووظائفها ومستقبلها، وهو العلم

(١) ابن خلدون، المقدمة .

(٢) Ginsberg.M. Sociology, London , Oxford University Press, 1970,P. 7..

الذي يدرس أصل وتطور المؤسسات الاجتماعية التي يبني منها التركيب الاجتماعي<sup>(١)</sup>. ويعرف البروفسور هوبهوس علم الاجتماع بالعلم الذي يدرس المجتمع الانساني دراسة تتطرق الى شبكة العلاقات الاجتماعية التي يكونها أبناء المجتمع وهم في حالة اتصال الواحد مع الآخر، ووظيفة علم الاجتماع كما يراها هوبهوس هي دراسة المجتمعات البشرية من ناحية نموها ونضوجها واطمحلالها مع التطرق إلى دراسة تاريخها وعلاقاتها المشتركة<sup>(٢)</sup>. بينما يعرف البروفسور إدوارد وسترمارك علم الاجتماع بالعلم الذي يدرس المؤسسات الاجتماعية دراسة مقارنة<sup>(٣)</sup>.

ويعرف ماكس فيبر علم الاجتماع بالعلم الذي يفهم ويفسر السلوك الاجتماعي<sup>(٤)</sup> وبالسلوك الاجتماعي يعني فيبر أية حركة أو فعالية مقصودة يؤديها الفرد وتأخذ بعين الاعتبار وجود الافراد الآخرين، وقد يكون سببها البيئة أو الاحداث التي تقع فيها. بينما يعرف البروفسور جورج زيمل علم الاجتماع بالعلم الذي يهتم بدراسة شبكة العلاقات والتفاعلات الاجتماعية التي تقع بين الافراد والجماعات والمؤسسات على اختلاف أنواعها وأغراضها<sup>(٥)</sup>. أما العلامة الالمانى الفريد فيركانت فيعرف علم الاجتماع بعلم دراسة وتحليل العلاقات الاجتماعية إلى عناصرها الاولى باعتبارها صوراً مجردة. ويعرف محمد الجوهري علم الاجتماع بالعلم الذي يسعى إلى اكتشاف ووصف وتفسير النظام الذي يميز الحياة الاجتماعية للانسان ويحدد قواعد سلوكه وعلاقاته الانسانية. ومن التعاريف المشار اليها نستطيع اشتقاق تعريف اجرائي لعلم الاجتماع يجمع بين كافة الظواهر الاجتماعية التي تركز عليها هذه التعريفات العلمية. فعلم الاجتماع هو العلم الذي يدرس النظم الاجتماعية البنوية وما تنطوي

(١) Durkheim , E. Sociology and Philosophy , New York, the Free Press, 1979 , P. 55.

(٢) Hobhouse, L.T. The idea of progress, London, 1974 , P.352.

(٣) الحسن. د. احسان محمد. بعض نظريات علم الاجتماع في القرن العشرين، مجلة كلية الآداب، العدد السابع عشر، ١٩٧٤، ص ٣٢.

(٤) Weber, Max. Theory of Social and Economic Organization, New York, the Free Press, 1969, P. 88.

(٥) The Sociology of George Simmel, New York, the Free Press, 1981, PP. 10-11.

عليها من سلوك وعلاقات انسانية تحدد بمجملها طبيعة الكيان الاجتماعي ونضجه الحضاري التاريخي والمشكلات المادية والفكرية التي تعترضه .

في هذا المبحث علينا تحليل تعاريف كل من جورج زيمل وهوبهوس لعلم الاجتماع. يعتقد زيمل بأن علم الاجتماع ينبغي دراسة أنواع العلاقات والتفاعلات الاجتماعية كما تقع وتتكرر خلال فترات تاريخية مختلفة وفي موضوعات حضارية متنوعة. لهذا ينتقد زيمل النظريات العضوية التي طرحها كل من كونت وسبنسر وينبذ الاسلوب التاريخي المتداول في ألمانيا والذي يدرس الحقائق والظواهر الاجتماعية دراسة تاريخية. أن زيمل يرفض المدارس العضوية والمثالية التي أرادت دراسة وفهم المجتمع في ضوء تعاليمها وطروحاتها التفسيرية لعلم الاجتماع النظري (1). أن زيمل لا يعتقد بأن المجتمع هو كائن حي كما يعتقد كونت وسبنسر ولا هو شيء ليس له وجود حقيقي وإنما هو شبكة معقدة من العلاقات المزدوجة بين الأشخاص الذين هم في حالة اتصال دائم الواحد مع الآخر. لذا فالحقل الاساسي لعلم الاجتماع إنما هو دراسة الظاهرة الاجتماعية التي تعبر عن أنواع الروابط والتفاعلات التي تقع بين البشر .

يعرف البروفسور هوبهوس علم الاجتماع بالعلم الذي يدرس العلاقات المتفاعلة بين الجوانب المختلفة للحياة الاجتماعية كما تعبر عن نفسها بالمؤسسات الاجتماعية. فالحياة الاجتماعية تظهر عندما تقوم المؤسسات بإداء وظائفها للإنسان والمجتمع، ووظائفها هذه تختلف باختلاف أهدافها ومصالحها واتجاهاتها. فهناك الوظائف الاقتصادية التي تؤديها المؤسسات الاقتصادية وهناك الوظائف الاسرية التي تؤديها المؤسسات الاسرية، وهناك الوظائف الدينية التي تؤديها المؤسسات الدينية وهكذا. فعلم الاجتماع يدرس بنى ووظائف المؤسسات الاجتماعية دراسة تفصيلية لا تتوخى فهم واستيعاب أنشطتها وأحكامها وقوانينها وأهدافها القريبة والبعيدة فحسب بل

(1): The Sociology of George Simmel. Op.Cit.,P. 23.

تتوخى استخلاص الحقائق الاجتماعية المشتركة بينها ورسم القوانين الشمولية التي تحدد أنماط سلوكية وعلاقات ومواقف وقيم أعضائها ومنتسبها أيضا (1).

### ج - أهداف علم الاجتماع :

يقسم علم الاجتماع من ناحية وظائفه وأهدافه إلى قسمين أساسيين هما علم الاجتماع النظري أو علم الاجتماع الصرف Pure Sociology، وعلم الاجتماع التطبيقي (2) Applied Sociology. علم الاجتماع النظري هو ذلك العلم الذي يهتم بدراسة واكتشاف وتراكم المعرفة النظرية الخاصة بالمجتمع والسلوك الاجتماعي والحضاري المادي وغير المادي. بينما علم الاجتماع التطبيقي هو ذلك العلم الذي يهتم بتطبيق مبادئ وأسس ونظريات علم الاجتماع العام على معالجة وحل المشكلات الاجتماعية التي تواجه الإنسان والمجتمع (3). فنظريات علم الاجتماع الرياضي تستعمل في تعميق وحدة الفرق الرياضية لكي تكون قادرة على تحقيق طموحاتها في الفوز في السباقات والالعاب الرياضية التي تخوضها مع الفرق الأخرى. ونظريات علم الاجتماع الصناعي تستعمل في تحقيق وحدة المؤسسة الصناعية وتكامل عناصرها البنوية عن طريق حل المشكلات الانسانية التي تظهر بين الإدارة والعمال، وتعمل على تحسين ظروف العمال داخل وخارج عملهم. وهذا الامر يساعد على زيادة الانتاجية، ورفع نوعية الانتاج. ونظريات علم الاجتماع التربوي تستعمل في تطوير العلاقات التربوية والاجتماعية بين الطلبة والاساتذة، وتعمل من أجل تشجيع العائلات كافة على إرسال أولادها إلى المدارس ودور العلم لغرض التزود بالثقافة والمعرفة الاخصائية التي يمكن الاعتماد عليها في خدمة وتنمية المجتمع في المجالات الحياتية كافة. إن علم الاجتماع النظري يهدف الى جمع وتصنيف وتنظيم

(1) Ginsberg, M. Sociology, PP. 14-15.

(2) الحسن، د. احسان محمد . المدخل إلى علم الاجتماع، دار الطليعة، بيروت، ١٩٨٨، ص ٢٠.

(3) المصدر السابق، ص ٢١.



وتراكم أكبر كمية من المعرفة الاجتماعية التي يمكن الاستفادة منها في فهم واستيعاب بناء ووظائف المجتمع وإدراك ماهية قوانين مسيرته المادية والحضارية. إلا ان اكتساب المعرفة النظرية في حقل علم الاجتماع يستلزم الشروع بتنفيذ مشاريع بحثية تهدف إما الى إيجاد واكتشاف نظريات اجتماعية جديدة مشتقة من واقع المجتمع الانساني وأصوله الحضارية والتراثية، أو تهدف إلى فحص مصداقية وكفاءة النظريات الاجتماعية التي يعرفها علماء الاجتماع في العالم.

لكن المعرفة الاجتماعية الصرفة يمكن تقسيمها إلى حقول دراسية متعددة كل حقل منها يختص بجانب من جوانب المجتمع كعلم الاجتماع الاقتصادي وعلم الاجتماع الرياضي وعلم الاجتماع السياسي وعلم الاجتماع القانوني وعلم الاجتماع الحضري والريفي وعلم اجتماع الخدمة الاجتماعية وعلم اجتماع العمل والفرغ... الخ. ويهتم علماء الاجتماع الصرفة بهذه المواضيع الدراسية اهتماما كبيرا اذ يعتبرونها غاية بحد ذاتها. بينما يعتبرها علماء الاجتماع التطبيقي وسيلة لتحقيق غاية معينة. فالنظريات الاجتماعية تستعمل غالبا في حل المشكلات الانسانية التي يعاني منها المجتمع، وحل هذه المشكلات لا بد أن يكفل توازنه واستقراره وفاعليته ونموه المستمر.

أما علم الاجتماع التطبيقي فإن أهميته تبدو أكثر وضوحا من علم الاجتماع النظري وذلك لاهتمامه ببناء الانسان وتقويمه وتطوير المجتمع وزيادة درجة رفايته وازدهاره. فالعالم الاجتماعي التطبيقي هو ذلك الشخص الذي يختار المفاهيم والاحكام والنظريات الاجتماعية ويستعملها في حل المشكلات الحضارية والانسانية التي يعاني منها المجتمع . بيد أنه لا يستطيع بمفرده حل مشكلات المجتمع دون تعاونه مع الموظف الاداري والسياسي. فالسياسي هو الذي يخطط ويرسم السياسة الاجتماعية التي ترمي الى تنمية المجتمع ورفاهيته، وهو الذي يختار السبل لتحقيق ذلك. إلا أنه

خلال عملية رسمه للسياسة وشروعه بتنفيذ مراحلها يحتاج الى معلومات وحقائق دقيقة وصادقة عن المجتمع لكي يعتمد عليها في تميمته وتطويره. ومثل هذه المعلومات والحقائق يمكن الحصول عليها من العالم الاجتماعي التطبيقي (1).

يمكننا في هذا المجال تحديد أهم الاهداف التي يريد علم الاجتماع تحقيقها للانسان والمجتمع، وهذه الاهداف يمكن درجها بالنقاط التالية :

١- يهدف علم الاجتماع إلى وضع مورفولوجية خاصة بالعلاقات الاجتماعية تأخذ على عاتقها تصنيف العلاقات إلى أنواع مختلفة حسب المؤسسات التي توجد فيها. والهدف من هذه المورفولوجية تحويل العلاقات الانسانية من علاقات سلبية وعدائية الى علاقات ايجابية وتعاونية (2).

٢- يحاول علم الاجتماع توضيح أجزاء البناء الاجتماعي وتحليل عناصرها ومركباتها. فهناك المؤسسات الدينية والاقتصادية والاسرية والسياسية والتربوية، وهذه المؤسسات مترابطة ومتكاملة، وأن أي تغيير يطرأ على إحداها لا بد من أن يترك آثاره وانعكاساته على بقية المؤسسات ، وهنا يحدث ما يسمى بالتحول الاجتماعي .

٣- يهدف علم الاجتماع الى دراسة أنماط السلوك الاجتماعي ودوافعه وآثاره على الفرد والجماعة. ودراسة السلوك الاجتماعي هذه تتوخى محاربة السلوك الانفعالي وتعزيز ودعم السلوك العقلاني الذي تعود مردوداته الايجابية للفاعل الاجتماعي والمجتمع الكبير على حد سواء .

(1) المصدر السابق ، ص ٢٢.

(٢) Ginsberg ,M. Sociology, P. 17.

- ٤- يحاول علم الاجتماع الحديث معرفة قوانين السكون والدايناميكية أو التحول الاجتماعي<sup>(١)</sup>
- ٥- يتوخى علم الاجتماع تشخيص المشكلات الاجتماعية التي تعاني منها المجتمعات قاطبة ومعرفة أسبابها الموضوعية والذاتية وآثارها القريبة والبعيدة وطرق مجابهتها والتصدي لانعكاساتها الهدامة<sup>(٢)</sup>.
- ٦- دراسة طبيعة وأسباب ونتائج الظواهر الاجتماعية المعقدة دراسة اجتماعية تحليلية ونقدية تتبع من واقع وظروف وملابسات هذه الظواهر كدراسة الحركات الاجتماعية والسياسية والثورات والحروب والطبقات الاجتماعية والانتقال الاجتماعي والمنافسة والتعاون والصدقة والعداوة والرئاسية والمرئوسية والتعصب والتحيز... الخ .
- ٧- ربط المؤسسات والنظم الاجتماعية من حيث نشوؤها وتطورها بالمجتمع الذي توجد فيه وتتفاعل معه . فهذه المؤسسات والنظم ظهرت لتنظيم المجتمع وحل مشكلاته وتناقضاته وتوطيد علاقته بالمجتمعات الأخرى. ناهيك عن أهمية دورها في خدمة الفرد وتحقيق طموحاته وأهدافه القريبة والبعيدة .

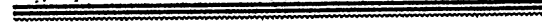
---

(١) Ibid , P. 18.

(٢) Merton, R. Nisbet, Contemporary Social Problems, New York, Harcourt and Brace, 1981, See the introduction .



1



## الفصل الثاني

### مصطلحات ومفاهيم علمية في علم الاجتماع

يستعمل علم الاجتماع وتفرعاته الاختصاصية كعلم الاجتماع العسكري وعلم الاجتماع السياسي وعلم اجتماع المعرفة وعلم الاجتماع الصناعي ٠٠٠ الخ عددا من المصطلحات والمفاهيم العلمية والفنية في سياق طروحاته ونظرياته وقوانينه الشمولية. ومن هذه المصطلحات والمفاهيم يستطيع العالم الاجتماعي صياغة وبناء نظرياته العلمية عن التفاعلات والظواهر والنظم والمؤسسات الاجتماعية، وفي الوقت ذاته يفسح المجال للآخرين لاسيما علماء الاجتماع لفهم وإدراك ما يكتب عنه وما يعنيه ويقصده عندما يكتب عن موضوع اجتماعي ما (1). ذلك أن كافة علماء الاجتماع متفقون علماني ودلالات ومضامين المصطلحات الفنية التي يستعملونها في أبحاثهم ودراساتهم العلمية ويعرفون تمام المعرفة متى يستعملون هذه المصطلحات وكيف يربطون بعضها مع بعض في تفسير ظاهرة اجتماعية تجلب انتباههم أو تثير مشكلة انسانية لهم ولمجتمعهم .

ولعل من أهم المفاهيم والمصطلحات العلمية التي يستعملها علم الاجتماع بصورة عامة وعلم الاجتماع العسكري بصورة خاصة مفاهيم المجتمع والبناء الاجتماعي والمؤسسات الاجتماعية والوظائف الاجتماعية والجماعة الاجتماعية وداينميكية الجماعة والسلوك الاجتماعي والدور الاجتماعي والمنزلة الاجتماعية والظاهرة الاجتماعية. وفي هذا الفصل سوف ندرس ونفسر هذه المصطلحات بشيء من التفصيل والتحليل .

(1) Black, J. and D. Champion. Methods and Issues in Social Research, New York, John Wiley, 1976, PP.19-20.

## أ- المجتمع Society :

هناك تعاريف كثيرة لمصطلح المجتمع الانساني ، وكل من هذه التعاريف يتناول جانبا من جوانب المجتمع وخواصه الرئيسية كالعلاقات الاجتماعية أو النظم والضوابط السلوكية أو التجمع والتفاعل الانساني أو البقعة الجغرافية التي يعيش عليها الافراد والجماعات أو اللغة والتاريخ أو العادات والتقاليد والاهداف المشتركة التي يؤمن بها أبنائه وهكذا. فقد عرف المجتمع بأنه شبكة أو نسيج العلاقات الاجتماعية التي يقوم بين الافراد وتهدف الى سد حاجاتهم وتحقيق طموحاتهم وأهدافهم القريبة والبعيدة (1). أن لكل انسان أو جماعة مهما يكن حجمها أو غرضها طموحات وأهدافا ترمي الى تحقيقها ، غير أنها لا تتمكن من ذلك دون اتصالها وتفاعلها وتعاونها مع الافراد والجماعات، ذلك أن الاتصال والتفاعل مع وحدات المجتمع الاخرى هو الذي يؤمن حاجاتها ويسد مطالبها ويحقق آمالها وطموحاتها.

وهناك من عرف المجتمع بأنه مجموعة من الافراد تقطن على بقعة جغرافية محددة ومعترف بها وتتمسك بمجموعة من المبادئ والمقاييس والقيم والروابط الاجتماعية والاهداف المشتركة التي أساسها اللغة والتاريخ والمصير المشترك الواحد(2). ولعل هذا التعريف لمصطلح المجتمع الانساني من أدق التعاريف المطروحة وأشملها وأكثرها علمية وواقعية. فالتعريف يركز على أهم المقومات والشروط التي ينبغي توفرها في المجتمع الانساني، كالسكان الذين يتكلمون لغة واحدة ولهم تاريخ مشترك ويؤمنون بأهداف مصيرية واحدة، ويعيشون على بقعة جغرافية معلومة ومحددة ومعترف بها سياسيا، علما بأن عامل توافر البقعة الجغرافية التي يعيش عليها أبناء المجتمع ليس شرطا أساسيا في وجود المجتمع. فهناك أبناء مجتمع واحد يعيشون في

(1) Ginsberg, M. Sociology, Oxford University Press, London, 1970, P.7.

(2) Maclver, R. Society: Its Structure and Changes, New York, 1963, P.23.

أقاليم جغرافية مختلفة ومع هذا تربطهم روابط الإلفة والانسجام نظراً لكونهم يتكلمون لغة المجتمع ويشعرون بانتمائهم القومي ولهم تاريخ واحد وأهداف مشتركة متبادلة (1). ومن علماء المجتمع من يركز على عامل السلوك والقيم في تعريف المجتمع الانساني، فالمجتمع حسب آراء هؤلاء ما هو الا نماذج معقدة وشائكة من الممارسات السلوكية التي تنظمها القواعد والضوابط الخلقية والقيمية التي يعترف بها الجميع وجاءت نتيجة صلاحيتها وفعاليتها في تمشية أمور المجتمع والحفاظ على كيانه وتحقيق أهدافه القريبة والبعيدة (2). لكن الممارسات السلوكية اليومية التي يتحلى بها الافراد وتحدد مهامهم وأنشطتهم وطرق علاقاتهم وتفاعلاتهم تتأثر بطبيعة القيم والمباديء التي يتمسكون بها والتي اكتسبوها من خلال عمليات التنشئة الاجتماعية. علماً بأن ممارسات الافراد ونماذج سلوكهم تتلون بطبيعة الادوار الوظيفية التي يحتلونها في مؤسسات المجتمع البنيوية كالمؤسسات الدينية والاقتصادية والسياسية والثقافية والعائلية (3).

#### ب - البناء الاجتماعي Social Structure :

يعتبر اصطلاح البناء الاجتماعي من الاصطلاحات الاساسية التي تستعملها المدرسة البنيوية الوظيفية كمدرسة مهمة من مدارس علم الاجتماع والانثروبولوجيا الاجتماعية. يستعمل هذا الاصطلاح عادة عند تحليل المؤسسات التربوية والاقتصادية والسياسية والعائلية. يعتقد البروفسور فيرث بأن البناء الاجتماعي يشير إلى العلاقات الاجتماعية الجوهرية التي تحدد الشكل الاساسي للمجتمع وتوضح الطريقة التي من خلالها تنفذ الاعمال والانشطة الروتينية والنظامية (4). أما البروفسور فورتس فيعتقد

(1) الحسن، د. احسان محمد. المجتمع الانساني : طبيعته ومقوماته، بحث منشور في كتاب "دراسات في المجتمع العربي"، اتحاد الجامعات العربية، عمان، 1985، ص 17.

(2) Weber, Max. The Theory of Social and Economic Organization, New York, the Free Press, 1969, P: 88.

(3) Parsons, T and E. Shils. Toward A General Theory of Action, Cambridge, Harvard University Press, 1982, P. 19.

(4) Firth, R. Elements of Social Organization, 1964, London, See Ch. 1,2.

بأن البناء الاجتماعي هو ذلك التركيب المنظم للأجزاء المختلفة التي يتكون منها المجتمع كالمؤسسة والجماعة والعملية والمركز الاجتماعي. أما أيفانز بريجارد فيقول بأن البناء الاجتماعي هو نسيج العلاقات الاجتماعية التي تقع بين الجماعات الأولية والثانوية التي يتكون منها المجتمع<sup>(1)</sup>. بينما يقول البروفسور ليج بأن البناء الاجتماعي هو مجموعة الأفكار والآراء التي تهتم بتوزيع النفوذ والقوة بين الأشخاص والجماعات. أما البروفسور رادكلف براون فقد حاول دراسة الفروق الأساسية بين الحضارة والبناء الاجتماعي. ففي كتابه الموسوم " العلم الطبيعي للمجتمع " أشار إلى أن حضارة المجتمع تنعكس في أنماط سلوكية أفرادها وفي تفكيرهم وشعورهم، بينما البناء الاجتماعي هو شبكة العلاقات الاجتماعية التي تربط الأفراد خلال نقطة زمنية معينة. ويؤكد رادكلف براون في دراسته هذه على ضرورة دراسة الحضارة دراسة علمية من خلال النظر إلى البناء الاجتماعي، فالأنماط الحضارية ما هي إلا أنواع من العلاقات الاجتماعية<sup>(2)</sup>.

وقد شاع استعمال الاصطلاح في علم الاجتماع مؤخرًا، إلا أنه لم يكن دقيقًا من ناحية المعنى والأهمية. ففي بعض الأحيان يستعمل اصطلاح البناء الاجتماعي ليعني انتظام السلوكية الاجتماعية وذلك لتكرارها بين فترة وأخرى واتخاذها نفس النماذج والظواهر الفعلية. وأحيانًا يستعمل الاصطلاح في صورته الواسعة ليعني التنظيم الشامل للعناصر والوحدات التي يتكون منها المجتمع كالمنظمات والمؤسسات. كما يستعمل الاصطلاح بكثرة في النظرية البنوية الوظيفية والتي بالنسبة لها يعني العلاقة المتداخلة بين المراكز والأدوار الاجتماعية<sup>(3)</sup>.

(1) Evans- Pritchard, E. Social Anthropology, London, Broadway House, 1967. PP. 54-55.

(2) Radcliff- Brown, A. Natural Science of Society, London, 1952.

(3) دينكن ميشيل. معجم علم الاجتماع، دار الطليعة، بيروت، ١٩٨٦، ص ٢١٦.



فالتفاعل الذي يقع بين الاشخاص داخل النظام الاجتماعي يمكن التعبير عنه من خلال المراكز والادوار الاجتماعية التي يشغلونها .

### ج - المؤسسات الاجتماعية Social Institutions :

يتكون البناء الاجتماعي من المؤسسات البنوية الاساسية التي تحدد طبيعة المجتمع. والمؤسسات البنوية تتكون من تكامل الادوار لاعضائها ومنتسبيها (1). والادوار الاجتماعية لا يمكن أن تكون ثابتة ومترسخة إلا بعد اسنادها وتبريرها من قبل السلطة المؤسسية التي تنتمي اليها وتخضع لاحكامها وقوانينها. فالادوار الاجتماعية في العائلة لا تعتبر شرعية ولا يمكن قبولها اذا لم تتبناها السلطة الابوية في العائلة، والادوار الاجتماعية في الدولة أو الحزب السياسي لا يمكن أن تكون شرعية ومقبولة اذا لم يتبناها قائد الدولة ورئيسها أو مؤسس أو قائد الحزب السياسي. وعندما تكون الادوار الاجتماعية مدعومة من قبل السلطة ومقبولة من قبل الافراد الذين يشغلونها تتحول الى مؤسسة اجتماعية لها قيادة وأحكام وقوانين معينة تحدد سلوكية وعلاقات أفرادها ومنتسبيها .

اذن المؤسسة الاجتماعية هي من التنظيمات الاساسية التي تساعدنا في فهم الفرد بعد فهم طبيعته وسلوكه وعلاقته مع الآخرين. لذا يمكن اعتبار الادوار الاجتماعية بمثابة الوحدات البنائية لتكوين المؤسسة ويمكن اعتبار المؤسسات الاجتماعية بمثابة الوحدات البنائية لتكوين البناء الاجتماعي (2). ولا يمكن اعتبار البناء الاجتماعي بمثابة علاقات متداخلة تربط مؤسسات المجتمع بعضها ببعض بل يمكن اعتباره احكاما وقوانين تحدد سلوكية الافراد وعلاقاتهم الاجتماعية. ويمكن تقسيم المؤسسات الاجتماعية حسب الاغراض والاهداف والوظائف التي تقوم بها. فالمؤسسات السياسية تهتم بتوزيع النفوذ والقوة على الافراد والجماعات وترسم معالم

(1) الحسن، د. احسان محمد. دراسات تحليلية في المجتمع المعاصر، بغداد، مطبعة دار السلام، 1972، ص 51.

(2). Gerth, H. and Mills. Character and Social Structure, New York, 1957, PP.7-9.

الإدارة السياسية في المجتمع وتحدد حقوق وواجبات أركان الحكم بالنسبة لإبناء الشعب وحقوق وواجبات أبناء الشعب بالنسبة لأركان الحكم<sup>(١)</sup>. وتعين واجبات السلطات الثلاث التشريعية والتنفيذية والقضائية وتفصل بينها. وتحدد طبيعة الأيديولوجية السياسية التي تتبناها الدولة، إضافة إلى قيامها برسم نمط العلاقات الدولية التي تربطها بالدول الأجنبية.

والمؤسسات الاقتصادية تتبنى عدة وظائف للمجتمع أهمها تحديد نماذج النشاطات الاقتصادية للمجتمع والإشراف على الإنتاج والتوزيع والاستهلاك والمحافظة على مستويات العملة الوطنية بالنسبة للعملة الأجنبية والسيطرة على شؤون التجارة الداخلية والخارجية ورسم السياسة الاقتصادية التي تتبناها المشاريع الإنتاجية في المجتمع وبناء القاعدة المادية للإنتاج القومي مع تحديث القطاعات الأساسية للاقتصاد كالصناعة والزراعة والتجارة<sup>(٢)</sup>. أما المؤسسات الرياضية التي هي جزء من المؤسسات الثقافية والتربوية في المجتمع فهي الأحكام والقوانين المحددة لسلوكية وعلاقات الرياضيين في النوادي والمراكز والجمعيات والفرق الرياضية. كما أنها الأحكام والنظم المحددة لعلاقات الفرق والتنظيمات والأجهزة الرياضية في المجتمع. وتتكون المؤسسة الرياضية من الأدوار الوظيفية المتكاملة الموجودة في التنظيم الرياضي كالنادي أو الفريق الرياضي مثلاً. فلو أخذنا النادي لرأينا بأنه يتكون من أدوار ذات تسلسل خطي أو طولي تبدأ بدور المدير وتنتهي بدور اللاعب الاعتيادي. والنادي كمنظمة رياضية له نظام سلطة ونظام منزلة ونظام اتصال وبناء أو هيكل يوضح الأدوار الوظيفية التي يتكون منها.

#### د- الوظائف الاجتماعية : Social Functions

هناك معنيان أساسيان في علم الاجتماع لاصطلاح الوظيفة. المعنى الأول هي الواجبات والفعاليات والنشاطات التي تقوم بها المنظمة الاجتماعية والتي تشارك

(١) Davis, K. Human Society, the Macmillan Press, 1967, P.7.

(٢) الحسن، د. احسان محمد. البناء الاجتماعي والطبقية، دار الطليعة، بيروت، ١٩٨٥، ص ١٩-٢٠.

مشاركة فعالة في إشباع حاجات الافراد وتلبية طموحاتهم الذاتية والاجتماعية (1) . فالوظائف الاجتماعية للمؤسسات السياسية مثلا هي الواجبات التي تقوم بها المنظمات السياسية في المجتمع والتي من خلالها يستطيع كل من الفرد والمجتمع تحقيق أهدافه الاساسية وفي الوقت نفسه إنجاز وحدة وتكامل جماعته ومنظماته المختلفة. والوظيفة الاجتماعية كما يقول العالم روبرت ميرتن هي نتيجة موضوعية لظاهرة اجتماعية يلمسها الافراد والجماعات وقد تكون ظاهرة Manifest Function أو تكون كامنة وغير متوقعة Latent Function (2) .

الوظيفة الظاهرة هي نتيجة موضوعية للنظام الذي توجد فيه، وتكون هذه مقصودة ومعترفا بها من قبل الاشخاص الذين يقومون بها كوظيفة تحقيق الوحدة الاجتماعية والروحية لاعضاء الفريق الرياضي. أما الوظيفة الكامنة فهي الوظيفة غير المتوقعة وغير المقصودة من قبل أعضاء المنظمة الذين ينفذونها . فقد يتخذ الفريق الرياضي بعض الاجراءات لتحقيق الوحدة الاجتماعية والنفسية بين أعضائه غير أن هذه الاجراءات لا تنتج بتحقيق الوحدة المنشودة بل تنتج بظهور الانقسام والتكتل داخل الفريق الرياضي. ولكي نميز بين النشاطات التي تساعد على بقاء النظام الاجتماعي والمحافظة عليه والنشاطات التي تسبب اختلاله واضطرابه يجب علينا النظر إلى الوظائف البناءة التي تتماشى مع النظام وتحقق أهدافه وطموحاته Eufunctions والوظائف الهدامة التي تتناقض معه وتحول دون تحقيق أهدافه Dys Functions . ومن الجدير بالاشارة الى أن الوظائف الظاهرة والكامنة قد تكون بناءة أو هدامة بالنسبة للنظام الاجتماعي الذي توجد فيه .

ويستعمل اصطلاح الوظيفة في معنى ثان يقصد به الترابط والتكامل. ففي علم الرياضيات نقول مثلا أن المتغير (س) مكمل لمتغير (ص) أي أن أي تغيير في

(1) Frolov, I. Dictionary of Philosophy, Moscow, Progress Publishers, 1984, P. 152.

(2) Merton, R. Social Theory and Social Structure, The Free of Glencoe, 1980, See ch.1.

(س) لا بد أن يسبب تغييرا مماثلا في (ص) <sup>(1)</sup> . وبالرغم من اختلاف الاستعمالين لاصطلاح وظيفة ( الاستعمال الاجتماعي والرياضي) فإن كليهما مرتبطان ويكمل أحدهما الآخر. لهذا نستطيع القول بأن للوظيفة ظواهر اجتماعية تساعد على استمرارها في القيام بعملها وأن جميع الظواهر الاجتماعية للنظام مرتبطة ومتعلقة الواحدة بالآخرى، وأي تغيير في أي منها لا بد أن يؤثر في جميعها. إذن هناك علاقة مباشرة بين الوظيفة التي هي نتيجة لنظام اجتماعي معين والوظيفة التي هي ترابط بين متغيرات مختلفة. أما الوظيفة الاجتماعية للمؤسسة الرياضية فهي الأنشطة والفعاليات والخدمات التي تقدمها المؤسسة الرياضية لأعضائها ومنتسبيها وتقدمها في ذات الوقت للمجتمع الكبير. فالمؤسسة أو المنظمة الرياضية كالنادي مثلا يقدم عدة خدمات مهمة للأفراد كأشغال أوقات فراغهم وتسليةهم واستجمامهم وتقوية أجسامهم وعقولهم من خلال الألعاب التي ينظمها النادي لهم مع تنمية قدراتهم الرياضية في الألعاب التي يمارسونها. ومن جهة ثانية يقدم النادي الرياضي عدة وظائف للمجتمع الكبير تتلخص في تطوير حضارته الثقافية ونشر الوعي الرياضي بين الأفراد والجماعات وتنمية الأنشطة الترويحية التي يمارسها الأفراد خلال أوقاتهم الحرة والتي لها أهميتها في بلورة مفاهيم الصحة والحيوية في المجتمع .

#### هـ - الجماعة الاجتماعية Social Group :

ينتمي كل واحد منا إلى عدد من الجماعات الاجتماعية التي تختلف بعضها عن بعض بأغراضها وأهدافها وحجومها وطرق تنظيمها وأنماط العلاقات الاجتماعية التي تقع فيها. وعندما ننتمي إلى الجماعة نشغل فيها أدوارا اجتماعية وظيفية، كل دور يكمل الدور الآخر، ومن خلال الأدوار التي نشغلها فيها نقدم واجباتنا الوظيفية لها ونحصل في ذات الوقت على حقوقنا المادية والمعنوية، ومن تكامل الجماعات

(1) دينكن ميشيل . معجم علم الاجتماع ، ص ١٠٢ .

الاجتماعية في المجتمع يتكون البناء الاجتماعي الذي يسعى إلى تنظيم العلاقات الاجتماعية بين الفرد والجماعة من جهة وبين الجماعة والمجتمع من جهة أخرى (1). إضافة إلى اهتمام البناء الاجتماعي بتحديد أنماط السلوك الاجتماعي للأفراد والجماعات والعمل على جعل السلوك قادراً على تحقيق الأهداف العليا للمجتمع أي ضبط السلوك وتسخيره لخدمة أهداف المجتمع، إذن الجماعة، مهما يكن نوعها، تتكون من أفراد تربطهم علاقات ومشاعر محددة وتجمعهم مصالح وقيم ومقاييس وأهداف مشتركة. والمجتمع يتكون من جماعات ذات أغراض ونظم وحجوم مختلفة . ويمكننا تصنيف الجماعات الاجتماعية إلى عدة أنواع أهمها الجماعات الأولية والجماعات الثانوية. الجماعة الأولية Primary Group هي الجماعة التي يطلق علماء النفس عليها بالجماعة النفسية Psychological Group ، وهي الجماعة التي تتكون من عدد صغير من الأفراد تربطهم علاقات صميمية مبنية على الود والتفاهم والمحبة والالفة والانسجام (2). وتتميز هذه الجماعة بصفة الاستمرارية والتفاعل المشترك بين الأفراد وقدرتها على تحقيق أهدافهم من خلال التعاون والتآزر فيما بينهم اللذين يتحققان بفضل الأيديولوجية المشتركة التي يؤمنون بها أو بفضل الأفكار والمبادئ والقيم والمثل المتشابهة التي يعتمدها. وتتجسد الجماعة الأولية بالعائلة أو جماعة اللعب أو الشلة Clique التي يكونها الأفراد في الجماعات الثانوية أو المنظمات الاجتماعية أو الصداقة التي تتكون من شخصين أو أكثر في منظمات المجتمع .

أما الجماعة الثانوية Secondary Group فيطلق عليها علماء النفس الاجتماعي اسم المنظمات الاجتماعية Social Organizations التي تتكون من عدة

(1) الحسن، د. احسان محمد. المجتمع الانساني: طبيعته ومقوماته، ص ١٩ .

(٢) Krech, D. and Crutchfield. Individual in Society, New York, 1983. See the Section on Primary Groups.

جماعات أولية<sup>(1)</sup> . والجماعة الثانوية تتميز بكبر حجمها وسيطرة العلاقات الاجتماعية الرسمية عليها التي تنظمها قوانين المؤسسة التي نكتنفها. وأن الانتماء لها لا يتميز بصفة الاستمرارية كما هي الحالة في الجماعة الأولية. وتتجسد الجماعة الثانوية في كافة المنظمات الاجتماعية التي يتكون منها البناء الاجتماعي كالمدراس والجوامع والنوادي والمصانع والدوائر الحكومية والمزارع والمستشفيات والمؤسسات العسكرية ٠٠٠ الخ. وما يتعلق بالجماعات الرياضية نستطيع القول بأن الفرق الرياضية تشكل الجماعات الأولية أو النفسية بينما النوادي ومراكز الشباب ومعاهد وكليات التربية الرياضية تشكل الجماعات الثانوية أو المنظمات الاجتماعية كما يسميها علماء الاجتماع وعلماء النفس الاجتماعي .

#### و - دايناميكية الجماعة Group Dynamism :

تتعلق دراسة دايناميكية الجماعة بطبيعة التغيرات التي تطرأ على الجماعات الصغيرة نتيجة حدوث تغييرات دايناميكية في بعض أجزاء الجماعات الكبيرة التي تتكون فيها الجماعات الصغيرة. بيد أن الاصطلاح على وجه العموم يشير إلى دراسة الجماعات الاجتماعية الصغيرة دراسة دايناميكية ، أي دراسة التحولات الاجتماعية المستمرة التي تطرأ عليها. لقد أصبحت دراسات الجماعات الصغيرة دراسات متطورة وناضجة خلال الحرب العالمية الثانية نظرا لاهمية الجماعة القتالية الأولية في الميدان ودورها المتميز في تحقيق الانتصار على العدو لأنها تقف في خط النار الأول، ومنها تستمد الوحدات والتشكيلات العسكرية معنوياتها لاسيما عند صمودها في أرض الميدان وتصديها للعدو وفرض الهزيمة عليه بعد منعه من التقدم ومطاردته.

أما دايناميكية الجماعة الرياضية مثلا فتدور حول الحوارات التي تأخذ مكانها بين القائد والاتباع والقرارات التي يتوصلون إليها بشأن توزيع الأدوار والتدريب

(١). Ibid., See the Section on secondary Groups.

والمباريات والواجبات. والحقوق وحل المشكلات التي تواجههم. كما تتعلق داينميكية الجماعة الرياضية ببنائها الاجتماعي ووظائفها وأهدافها والعلاقات بين أعضائها والتغيرات التي تطرأ عليها نتيجة ظروفها وملابساتها وأديولوجيتها وقيمها وسلوكية أفرادها .

#### ز - السلوك الاجتماعي Social Behaviour :

يعرف ماكس فيبر في كتابه " نظرية التنظيم الاجتماعي والاقتصادي" السلوك الاجتماعي بأنه أية حركة أو فعالية مقصودة يؤديها الفرد وتأخذ بعين الاعتبار وجود الافراد الآخرين وقد يكون سببها البيئة أو الاحداث التي تقع فيها أو الاشخاص الذين يلزمون الفاعل الاجتماعي الذي يقوم بعملية الحدث أو السلوك<sup>(1)</sup>. والسلوك الاجتماعي يقوم عادة على ثلاثة متغيرات أساسية هي :

أ- وجود شخصين أو أكثر يتفاعلان معا ويكونان السلوك أو الحدث الذي نريد دراسته في هذا المقام .

ب- وجود أدوار اجتماعية متساوية أو مختلفة يشغلها الافراد الذين يقومون بالسلوك .

ج - وجود علاقات اجتماعية تتزامن مع عملية السلوك<sup>(2)</sup> .

بيد أن سلوك الفرد يتغير من وقت لآخر تبعا لطبيعة وأهمية الادوار الاجتماعية التي تتفاعل مع دوره الوظيفي. فسلوك الطفل الذي يتجسد في كلامه وحركاته وسكناته مع أخيه الطفل يختلف عن سلوكه مع والده أو والدته. كذلك يختلف سلوك الطالب عندما يكون باتصال مع الطالب عن سلوكه عندما يكون باتصال مع المعلم . الخ. إذن يعتمد السلوك الاجتماعي للفرد على طبيعة الادوار الوظيفية التي يشغلها، ونستطيع التنبؤ بسلوك الفرد من معرفتنا لدوره الاجتماعي. فنحن مثلا

(1) Weber, M. The Theory of Social and Economic Organization, P. 88.

(2) Ibid.; P. 89.

---

---

نستطيع تتبؤ سلوك الطبيب أو سلوك المريض أو سلوك الضابط أو الجندي من معرفتنا لادوارهم الاجتماعية .

ويصنف ماكس فيبر السلوك الاجتماعي إلى ثلاثة أنماط هي السلوك الاجتماعي الانفعالي أي السلوك غير المهذب من ناحية الوسطة والغاية، وينبعث من منطقة العقل الباطني ويرمي إلى سد الحاجات الغريزية المطمورة في هذا العقل. أما السلوك الاجتماعي التقليدي فيشتق مع عادات وتقاليد وقيم المجتمع، ويلعب الدور الاساس في تقارب الافراد بعضهم إلى بعض وفي تعميق الوحدة المصيرية والكفاحية بينهم. بينما السلوك الاجتماعي العقلاني هو ذلك السلوك المهذب التي يخرج من منطقة العقل الظاهري ويتلاءم وينسجم مع طبيعة الحياة الواقعية والموضوعية التي يعيشها الافراد والجماعات (1) .

والسلوك الاجتماعي في الجماعة الرياضية ينطوي على الواجبات والانشطة الرياضية التي يقوم بها عضو الفريق أو الجماعة الرياضية. وتتعلق هذه الانشطة بالتدريبات والتمارين والسباقات الرياضية التي تقام بين الفرق. علما بأن سلوك عضو الفريق يعتمد على دوره الوظيفي في الفريق وعلى علاقة دوره بالادوار الاخرى وعلى التوقعات المرتقبة لدوره من قبل الآخرين .

### ح - الدور الاجتماعي Social Role :

الدور هو السلوك المتوقع من شاغل أو لاعب المركز الاجتماعي، والمركز الاجتماعي هو العلاقة أو الاشارة التي تحدد طبيعة الدور الاجتماعي، مما يدل على أن هناك علاقة وثيقة بين الدور الاجتماعي والمركز الاجتماعي (2) . فالمركز الاجتماعي للطبيب يحدد طبيعة تصرفاته المتوقعة أو دوره الاجتماعي ، أي الانشطة

---

(1) Ibid., P. 93.

(2) Roucek, J. and R. Warren. Sociology, Little Field, Adams, Iowa, 1957, P. 46.



والفعاليات التي يقوم بها بعد أشغاله لمركزه الوظيفي. إذن تعريف المركز الاجتماعي يتطلب تحديد الصفات الأساسية لسلوكية شاغل الدور مهما يكن هذا الدور .  
إلا أن دراسة موضوع الدور الاجتماعي تحتم علينا دراسة العلاقة بين الأدوار في المؤسسة الاجتماعية أو دراسة العلاقة بين دورين اجتماعيين كدراسة العلاقة بين دور الطبيب ودور المريض أو بين دور كابتن الفريق ودور عضو الفريق. ولكل دور اجتماعي مجموعة واجبات وحقوق اجتماعية معينة، فواجبات الدور إنما هي مجموعة التصرفات التي يقوم بها لاعب الدور الاجتماعي اثناء تصرفاته وعلاقاته بالآخرين، وحقوق الدور هي الامتيازات والمكافآت التي تقدم لشاغل الدور بعد قيامه بالواجبات المتوقعة منه (1) .

إن دراسة الدور الاجتماعي تتطلب وجود شخص يشغل الدور وأشخاص آخرين لهم علاقة بالدور الاجتماعي. فالاشخاص إذن، وليست المنظمات أو المؤسسات أو الانظمة الفرعية، هم الذين يلعبون الأدوار ويشغلون مراكزها. غير أن هناك اختلافا بين السلوك المتوقع للدور الاجتماعي والسلوك الحقيقي الذي يجسده شاغل الدور في الحياة اليومية. فالعالم نيوكوم في كتابه " علم النفس الاجتماعي" يميز بين السلوك الحقيقي الذي يقوم به شاغل الدور الاجتماعي والسلوك المتوقع للدور نفسه (2) ، بينما يستعمل البروفسور سارين في كتابه " نظرية الدور" اصطلاح تشريع الدور فيوصف السلوك المتوقع للدور. ومن الجدير بالملاحظة أنه على الرغم من تشابه السلوك الحقيقي مع السلوك المتوقع للدور فإن هناك تناقضات واضحة بينهما يرجع سببها لعوامل كثيرة أهمها وضوح أو عدم وضوح الاحكام والقوانين التي تحدد وظائف الدور، ومدى فهم شاغل الدور للاحكام والقوانين التي تحدد الواجبات والانشطة المطلوبة منه وأخيرا مدى قابليته على تنفيذ الواجبات التي تقع ضمن حدود عمله .

(1) الحسن، د. احسان محمد. المدخل إلى علم الاجتماع، دار الطليعة، بيروت، ١٩٨٨، ص ١١٠.

(٢) دينكن ميتشيل. معجم علم الاجتماع ، ص ١٧٧.

---

---

فمثلا الدور الاجتماعي الذي يشغله الرياضي في الفريق يحدد مركزه ويمكن الآخرين من توقع سلوكه ومن ثم التفاعل معه بناء على ذلك. كما ينطوي الدور الاجتماعي للرياضي على جملة الواجبات التي يضطلع بها سواء كان داخل الفريق أو خارجه، وجملة الحقوق والامتيازات المادية والمعنوية التي يتمتع بها بعد قيامه بالواجبات المطلوبة منه.

## الفصل الثالث

### ماهية وطبيعة ووظائف علم الاجتماع العسكري

علم الاجتماع العسكري هو من العلوم الفتية التي ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية، وهو فرع من فروع علم الاجتماع الذي استقل عن العلم الام بعد تعقد الظواهر والعمليات الاجتماعية في المؤسسات العسكرية وبعد إدراك أهمية العلاقة العضوية بين القوات المسلحة والبناء الاجتماعي وبعد تشعب وخطورة الآثار الاجتماعية والحضارية التي تتركها الظواهر والاحداث العسكرية على الانسان والجماعة والمجتمع<sup>(1)</sup>. إضافة إلى دور العوامل الاجتماعية في فاعلية وداينمكية القوات المسلحة بحيث تكون قادرة على تحقيق أهدافها التعبوية والوطنية والتربوية. إلا أن ظهور علم الاجتماع العسكري كعلم مستقل قد اعتمد على عدة عوامل أهمها فهم واستيعاب المتغيرات الاجتماعية التي تقف خلف الظواهر العسكرية كالتعبئة العسكرية والتأهيل للحرب واندلاع الحرب والانتصار أو الهزيمة فيها والقوة أو الضعف العسكري... الخ<sup>(2)</sup>. مع أهمية معرفة النتائج والانعكاسات الاجتماعية للحرب والقيم الاجتماعية التي تتطلبها .

وظهور علم الاجتماع العسكري كان يعتمد على رغبة علماء الاجتماع العسكري والمخططين الاجتماعيين والاقتصاديين في معرفة الفعل ورد الفعل بين المؤسسات العسكرية والمؤسسات البنوية الاخرى كالمؤسسات السياسية والاقتصادية والاسرية والتعليمية والدينية التي يتكون منها التركيب الاجتماعي<sup>(3)</sup>. إن

(1) Doom, J. V. Armed Forces and Society, Mouton, The Hague, 1968, PP. 15-16.

(2) Bebler, A. Development of Military Sociology in Yugoslavia, " Armed Forces and Society", 3, 1976, P.68.

(3) Doom, J. V. Armed Forces and Society, P. 24.

أي تغيير يطرأ على المؤسسات العسكرية كتغيير حجمها أو أديولوجيتها أو سياساتها أو أحكامها ونظمها أو معداتها التكنولوجية وفنونها القتالية لا بد أن يؤثر في بقية المؤسسات البنيوية. كما أن أي تغيير في مؤسسات المجتمع كالمؤسسات السياسية أو الاقتصادية لا بد أن يترك آثاره وانعكاساته الشاخصة على تركيب ووظائف المؤسسات العسكرية<sup>(١)</sup>. علما بأن التغييرات التي تتاب البنى المؤسسية للمجتمع سواء كانت هذه التغييرات مخططة أو عفوية تقود إلى حدوث ما يسمى بالتغير الاجتماعي Social Change<sup>(٢)</sup>.

وقد استقل علم الاجتماع العسكري عن علم الاجتماع وعن العلوم العسكرية للتخصص في دراسة الجماعات الأولية في القوات المسلحة كالحظيرة أو المجموعة المتواجدة في الخطوط الامامية من جبهات القتال. ودراسة هذه الجماعات القتالية (Combat Groups) تتوخى تحليل بنائها الاجتماعي إلى عناصره الأولية ومعرفة وظائفها لافرادها وللوحدة أو التشكيل العسكري الذي تنتمي اليه، وفهم أنماط العلاقات الانسانية الرسمية وغير الرسمية التي تقع بين أفرادها ودور القائد في تحقيق وحدتها وإنجاز أهدافها القريبة والبعيدة<sup>(٣)</sup>. إضافة إلى توضيح طبيعة ظروفها وماهية حاجاتها ومشكلاتها وأثر معنوياتها في أداء مهامها القتالية والادارية. وأخيرا دراسة أهمية الجماعة الأولية في القوات المسلحة للجماعات الثانوية الرسمية التي تتكون منها المؤسسات العسكرية وأهمية الاخيرة للجماعة الأولية القتالية.

واخيرا لا يمكن لعلم الاجتماع العسكري أن يظهر وينمو ويتبلور دون وجود الرجال المتخصصين فيه والعلماء المهتمين بحقله الدراسية ومناهجه العلمية. علما بأن أغلب علماء الاجتماع العسكري هم علماء اجتماع يعملون في القوات المسلحة أو

(١) Davis, K. Human Society, The Macmillan Co., New York, 1967, P.633.

(٢) Ibid., P. 634.

(٣) Janowitz, M. Military Establishment in Contemporary Social Problems by R. Merton and E. Shils, New York, Harcourt Brace, 1961, P. 536.

هم عسكريون لهم اهتمامات متميزة في القضايا والامور الاجتماعية والانسانية<sup>(1)</sup>. كما لا يمكن للعلم أن يستقل عن علم الاجتماع والعلوم العسكرية وأن يثبت حدوده العلمية ويرسي علاقاته الاكاديمية مع العلوم الطبيعية والانسانية دون ظهور العديد من الدراسات والابحاث والمؤلفات عن حقوله الدراسية والعلمية المتخصصة. هذه الدراسات والابحاث المستفيضة والمتنوعة والمهمة التي دفعت العديد من الجامعات في الغرب والشرق الى استحداث اقسام علمية في علم الاجتماع العسكري. فهناك أقسام علمية متخصصة في علم الاجتماع العسكري في الجامعات الامريكية والبريطانية وفي أكاديميات الدول الاشتراكية كأكاديمية العلوم السوفيتية وأكاديمية العلوم البولندية وأكاديمية العلوم المجرية وبعض الجامعات اليوغسلافية<sup>(2)</sup>. كما يجب أن نشير إلى وجود العديد من دراسات علم الاجتماع العسكري في اليان الصهيوني التي قام بها أساتذة متخصصون في الجامعة العربية وباحثون اجتماعيون في الجيش الصهيوني. لقد ظهرت أولى دراسات علم الاجتماع العسكري في الاربعينات والخمسينات من هذا القرن في عدد من الاقطار الصناعية المتقدمة. ومن أهم هذه الدراسات دراسة " المناخ الاجتماعي والانتاجية في الجماعات العسكرية الصغيرة" التي قام بها البروفسور أس. آدمز في الولايات المتحدة الامريكية ونشرت في مجلة علم الاجتماع الامريكي عام ١٩٤٤<sup>(3)</sup>. ودراسة "المنظمات الاجتماعية غير الرسمية في الجيش" التي نشرت في مجلة علم الاجتماع الامريكي عام ١٩٤٠<sup>(4)</sup>.

(١) Lang, K. Military Institutions and Sociology of War, London, 1972, PP.1-3.

(٢) خضر، د. احمد ابراهيم . علم الاجتماع العسكري، دار المعارف، القاهرة، ١٠٨٠، ص ٤٠.

(٣) Adams, S. Social Climate and Productivity in Small Military Groups, American Sociological Review, 19, 1954.

(٤) Informal Social Organization in The Army, American Journal of Sociology, 151, 1990.

وهناك دراسة " النظم العسكرية والمجتمع " التي نشرت على شكل كتاب عام ١٩٥٤ والتي أجراها البروفسور البولندي ستانلو أندرسكي (١) . إضافة إلى الدراسة السوفيتية الموسومة " العقيدة العسكرية السوفيتية " التي قام بها البروفسور كارتوف ونشرت في موسكو عام ١٩٥٣ (٢) . وفي عام ١٩٤٨ قام البروفسور الانكليزي فريمن بتأليف كتاب في علم الاجتماع العسكري عنوانه " الجيش كبناء اجتماعي " (٣) .

وخلال فترة الستينات والسبعينات من هذا القرن ازدادت الدراسات والابحاث المتعلقة بمواضيع علم الاجتماع العسكري خصوصا الدراسات التي قام بها البروفسور مورس جانوتز كدراسة " الصراع العسكري " ودراسة " العسكري المحترف " ودراسة " علم الاجتماع والمؤسسة العسكرية " ودراسة " القوات المسلحة والمجتمع " . وهناك دراسات علم الاجتماع العسكري التي قام بها البروفسور ستوفر كدراسة " العسكري الامريكي " ودراسة " المؤسسات العسكرية " . إضافة إلى دراسات هنتكتن في علم الاجتماع العسكري التي أشهرها دراسة " العسكريون والدولة " ودراسة " المؤسسات العسكرية والمجتمع " ودراسة " دور العسكري في السياسة " .

إن أهمية علم الاجتماع العسكري في حل مشكلات القوات المسلحة والمجتمع، وزيادة كفاءة الوحدات والتشكيلات القتالية خلال فترات الحرب والسلم، مع ارتفاع عدد أساتذته وأخصائييه ونمو دراساته وأبحاثه وتراكم فرضياته ونظرياته وقوانينه العلمية، وقدرتها على تحليل الظواهر الاجتماعية العسكرية، هي التي أدت إلى استقلالية علم الاجتماع العسكري وارتفاع منزلته بين فروع واختصاصات علم الاجتماع وبلورته واعتماد القوات المسلحة عليه في أنشطتها وخططها وعلاقتها بمؤسسات المجتمع الأخرى .

(١) Anderskie, S. Military Organization and Society, London, Routledge and Kegan Paul, 1984.

(٢) Carthoff, R. Soviet Military Doctrine, Illinois, the Free Press of Glencoe, 1973.

(٣) Freeman, F. The Army As A Social Struture, " Social Forces", 28, 1948.

## أ- مفهوم علم الاجتماع العسكري :

هناك عدة تعاريف لعلم الاجتماع العسكري كل تعريف منها يركز على جانب معين من جوانب القوات المسلحة والمجتمع. لكن تعاريف علم الاجتماع العسكري تنظر الى القوات المسلحة كجماعات اجتماعية لها أغراض محددة وأحكام ونظم معينة لها أهميتها في تحقيق أهدافها القريبة والبعيدة. وتعتبر المجتمع كائناً حياً وديناميكياً لا يستطيع الاستغناء عن القوات المسلحة مهما يكن متقدماً وراقياً<sup>(1)</sup>. ذلك أن القوات المسلحة هي التي تضمن وحدته وتدافع عن تراثه ومقدساته وتحميه من العدوان والابتزاز وتصون هيئته وكرامته وتمكنه من إحراز التقدم والرقى. سنذكر ونحلل في هذا المبحث ثلاثة تعاريف أساسية في علم الاجتماع العسكري. التعريف الأول يشير إلى أن علم الاجتماع العسكري هو العلم الذي يدرس العلاقة الجدلية بين القوات المسلحة والمجتمع<sup>(2)</sup>. وبالعلاقة الجدلية بين القوات المسلحة والمجتمع نعني الأخذ والعطاء والفعل ورد الفعل بين القوات المسلحة والمجتمع. فالقوات المسلحة تعتمد في وجودها ونموها وتطورها على المجتمع. ذلك أن المجتمع هو الذي يرفدها بالطاقات والموارد البشرية ويخصص لها ما تحتاجه من أموال ومعدات تكنولوجية وخبرات وكفاءات وتجهيزات وموئل ويزود أعضائها بالمبادئ والمعتقدات والقيم والمقاييس والأخلاق والأهداف التي توحدهم وتزيل الخلافات والانقسامات بينهم وتمنكهم من تحقيق أهدافهم القريبة والبعيدة. والقوات المسلحة من جانبها تؤدي الكثير من الوظائف الأساسية والحساسة للمجتمع الكبير. فهي التي تصون أمن واستقرار المجتمع وتدافع عنه ضد الأخطار والتحديات الخارجية التي قد تداخمه وتعزز استقلاله وسيادته وتحمي مسيرته الحضارية والتنموية وتدريب أبنائه على تحمل

(1) Gerth, H. and C. Wright Mills. Character and Social Structure, London, Routledge and Kegan Paul, 1954, P. 31.

(2) Doorn, J. Armed Forces and Society, P. 39.

السلاح وتوهمهم على خوض غمار الحروب مع الاعداء (1). إذن تعطي القوات المسلحة للمجتمع مثلما تأخذ منه ويعطي المجتمع للقوات المسلحة مثلما يأخذ منها. وإذا ما توازنت كفة العطاء مع كفة الأرباح والامتيازات لكلا الطرفين القوات المسلحة والمجتمع فإن العلاقة بينهما ستتوطد وتنمو (2). وهنا يكون بمقدور الطرفين تحقيق أهدافهما القريبة والبعيدة. لذا يهدف علم الاجتماع العسكري إلى تحقيق التقارب والانسجام بين القوات المسلحة والمجتمع طالما أن الأولى تشكل جزءاً لا يتجزأ من البناء الاجتماعي.

وعرف علم الاجتماع العسكري بالعلم الذي يدرس طبيعة الخلفية الاجتماعية للظاهرة العسكرية وآثار الظاهرة على المجتمع (3). وبالظاهرة العسكرية نعني الحادثة العسكرية التي يتكرر وقوعها بين فترة وأخرى وأن وقوعها يؤثر على مجريات الحياة الاجتماعية والمادية والحضارية لعدد كبير من الناس. ومن أمثلة الظواهر العسكرية الحرب والتعبئة وإعلان النفير العام والدفاع والهجوم والتدريب والتأهيل العسكري والخدمة الإلزامية والتصنيع الحربي الخ. إن لكل من هذه الظواهر العسكرية جذورها وأسبابها الاجتماعية كما أن لها نتائجها وانعكاساتها التي لا تؤثر على القوات المسلحة فحسب بل تؤثر على الأفراد والجماعات والمؤسسات الاجتماعية الأخرى. فلو أخذنا الحرب كظاهرة عسكرية لوجدنا بأنها ليست مجرد عمليات عسكرية تتعلق بتصادم قوتين مسلحتين متعاديتين كل قوة تريد تدمير القوة المعادية وتحقيق الانتصار العسكري عليها بأسرع وقت ممكن. ولا هي مجرد صراعات مسلحة بين مجتمعين أو جيشين لسبب أو آخر بل هي حادثة اجتماعية سياسية يتقاتل فيها جيشان مسلحان من أجل قضية معينة تهمهما أو تهم بلديهما، ويستهدف القتال تحقيق أهداف البلدين المتصارعين علماً بأن الأهداف تتعلق بالسيادة الوطنية والقومية ويرد الاعتبار للبلد

(1) Gerth, H. and C. Wright Mills. Character and Social Structure, P. 26.

(2) الحسن، د. احسان محمد. علم الاجتماع السياسي، مطبعة جامعة الموصل، 1984، ص 133.

(3) Janowitz, M. Sociology and Military Establishment, New York, 1965, PP. 3-5.



المعتدى عليه وتحرير الاراضي المغتصبة والدفاع عن حرمة الوطن وحماية مقدساته وتراثه وشرفه القومي .

لكن للحرب جذورها وأسبابها الاجتماعية التي قد تتعلق بالدفاع عن النظام الاجتماعي والحفاظ على مقوماته وعناصره التكوينية من التحديات والتهديدات الاجنبية أو تتعلق بحماية الارض والقيم<sup>(1)</sup> . كذلك يمكن تفسير ظاهرة الحرب بوجود العداة الحضاري التاريخي بين أمتين أو بلدين، هذا العداة الذي يحفز أحد البلدين بشن العداوة على البلد الآخر لاشباع الروح الانتقامية عنده واذا ما وقع العداوة فإن البلد المعتدى عليه يجب أن يدافع عن نفسه ويتصدى للعداوة ويحتوي<sup>(2)</sup> . وهنا تقع الحرب بين البلد المعتدي والبلد المعتدى عليه. وقد ترجع أسباب الحرب إلى عوامل اديولوجية كرجبة البلد المعتدي في نشر أفكاره واديولوجيته في البلد المعتدى عليه أو في البلدان المجاورة. كما ترجع لاسباب اقتصادية كرجبة البلد المعتدي في نهب ثروات وموارد البلد المعتدى عليه<sup>(3)</sup> أو إرغامه على ترك برامج التنمية والتحديث لكي يبقى بلدا متخلفا وضعيفا أو احتلال اراضيه الغنية بالموارد المعدنية أو الزراعية .

ويهتم علم الاجتماع العسكري بدراسة النتائج الاجتماعية والحضارية للحرب بنوعها السلبي والايجابي. فللحرب نتائج وانعكاسات ايجابية تتجسد في بلورة وانتشار بعض القيم الجيدة بين المواطنين كقيم التقشف والاقتصاد في النفقات وقيم البذل والعطاء والايثار والتضحية في سبيل الآخرين وقيم الاقدام والشجاعة والشهادة وقيم احترام الزمن والانضباط والصبر والتحمل والقيم التعاونية والجماعية.. الخ<sup>(4)</sup> . كما تؤدي الحرب إلى تحقيق التماسك الوطني والقومي وتكوين الوحدة بين الدولة

(١) Ginsberg, M. Essays in Sociology and Social Philosophy, Vol.11, Heinemann, London, 1973,P. 177.

(٢) Ibid., PP. 190-191.

(٣) Ibid., P. 178.

(٤) الحسن، د. احسان محم. الثورة والحرب ، بغداد، ١٩٩١، ص ٥.

والمواطنين للوقوف بوجه الخطر المحدق بالوطن والامة<sup>(1)</sup>. وأخيرا تتمخض الحرب عن مضاعفة الادوار الاجتماعية الوظيفية عند المواطنين واسهام المرأة في ميادين الحرب والبناء والانتاج خصوصا في البلدان النامية. وكما أن للحرب ايجابياتها الاجتماعية فإن لها في ذات الوقت سلبياتها على الفرد والجماعة والمجتمع. فمن سلبيات الحرب الخسائر البشرية والمادية التي يتكبدها المجتمع ودمار الحضارة وتخلفها<sup>(2)</sup>، والآلام والمعاناة والظروف الصعبة والقاهرة التي يواجهها الافراد مع بعثرة وتفكك المؤسسات التقليدية التي يتكون منها البناء الاجتماعي كالعائلة والقرابة والمجتمع المحلي والشريحة الاجتماعية ٠٠ الخ.

إن علم الاجتماع العسكري يدرس النتائج والانعكاسات التي تتمخض عنها الحرب. فمثلا لو أخذنا النتائج الايجابية للحرب العراقية الايرانية على المجتمع العراقي لشاهدنا بأنها كثيرة ومتعددة أهمها ما يلي:

- ١- تحقيق التماسك المصيري بين القيادة السياسية والقوات المسلحة وجماهير الشعب .
- ٢- تحويل الشعب إلى شعب مقاتل وذلك بعد تدريبه العسكري وتأهيله على خوض المعارك المصيرية مع أعداء الامة وإتاحة المجال أمامه للمشاركة في معارك التحرر والاستقلال<sup>(3)</sup>. إذن الحرب أدت الى إزالة الفروق بين الشعب والقوات المسلحة وذلك من خلال خلق الشعب المقاتل الذي يتحمل مسؤوليتي البناء والدفاع عن تراب الوطن .
- ٣- تخفيف أو أذابة الفوارق الاجتماعية والطبقية بين المواطنين وذلك من خلال مشاركة الجميع في الدفاع عن الوطن .

(١) المصدر السابق، ص ١٨٠.

(٢) المقدم بسام العسلي. الحرب والحضارة، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٩، ص ١٧٧.

(٣) اللواء الركن مكي مصطفى حمودات. العقيدة العسكرية بين النظرية والتطبيق، دائرة التدريب، مديرية التطوير القتالي، ١٩٨٣، ص ٧٥-٧٦.

- ٤- مضاعفة الادوار الاجتماعية الوظيفية التي يؤديها الافراد خلال فترة الحرب. فالمواطن أصبح يؤدي عمله الوظيفي أو الانتاجي في يد ويحمل البندقية ويدافع عن الوطن والامة في اليد الاخرى .
- ٥- نشر وبلورة القيم الاجتماعية الايجابية خصوصا القيم الاجتماعية الايجابية عند المواطنين كقيم الصبر والتحمل وإداء الواجب الوطني والقومي وقيم التعاون والتكاتف وتحمل المسؤولية الجماعية وقيم الشجاعة والجسارة والشهادة في سبيل الوطن وقيم النقشف والاقتصاد في النفقات ٠٠٠ الخ من القيم الجيدة التي يثمنها الجميع .
- ٦- تسريع عملية التحول الاجتماعي في المجتمع العراقي. إذ أن الحرب دائما تقود إلى تسريع عمليات التحول الحضاري غير المادي كالتحول في المقاييس والقيم وتبدل العادات والتقاليد وتغيير الاهداف المجتمعية المرسومة .
- كما يدرس علم الاجتماع العسكري النتائج والانعكاسات السلبية للحرب خصوصا تلك النتائج التي تعاني منها الدولة المنحدرة في الحرب .
- أما التعريف الثالث والآخر لعلم الاجتماع العسكري فينص على أنه العلم الذي يدرس السلوك الاجتماعي في القوات المسلحة<sup>(١)</sup> . وبالسلوك الاجتماعي نعني أية حركة او نشاط يقوم به العسكري في وحدته أو تشكيله العسكري، وهذا النشاط يكون مقصودا من قبله وله علاقة بوجود الافراد الآخرين المحيطين به أو الملازمين له. ولكي يكون السلوك اجتماعيا ينبغي أن تتوفر فيه الشروط التالية :
- ١- وجود الادوار الاجتماعية التي يشغلها القائمون بالسلوك .
- ٢- وجود علاقة اجتماعية بين أطراف السلوك .

(١) Lang, K. Military Sociology, " Current Sociology", 16, 1968.

٣- إعتقاد مجموعة رموز سلوكية أو كلامية من قبل القائمين بالسلوك والتي تفسر طبيعته ونمطه ومفهومه (١) .

لكن السلوك الاجتماعي الذي يعتمده العسكري أو تعتمدة الجماعة العسكرية الاولية أو الثانوية يتمثل بالتدريب الرياضي أو التدريب على استعمال السلاح والمواظبة على الدوام وخدمة المجموعة أو الوحدة أو التشكيل والتفاني في إداء الواجب العسكري والمشاركة الفاعلة في القتال عند اندلاع الحرب وتنسيق العمل العسكري مع الجماعات والوحدات القتالية الاخرى واحتواء الهجوم المعادي والدفاع عن الموضع الامامية وشن الهجوم المعاكس ورسم الخطط التعبوية والدفاعية والهجومية والاشراف على تنفيذها والعمل على تحقيق التماسك والوحدة بين المقاتلين. إضافة إلى تقوية معنوية المقاتلين وتعميق ثقتهم بأنفسهم وزرع قيم العقيدة العسكرية فيهم لكي يكونوا مقاتلين أشداء قادرين على تحقيق الاهداف السوقية القريبة منها والبعيدة .

بيد أن للسلوك الاجتماعي العسكري تكتيك Tactics يستطيع المقاتل أو الجماعة القتالية من خلاله إداء السلوك وتنفيذ كافة مستلزماته ومتطلباته وله استراتيجية Strategy أي مجموعة أهداف مخططة يراد تحقيقها والوصول إليها بالسرعة الممكنة (٢) . فلو أخذنا الهجوم Attack كسلوك اجتماعي جماعي منظم لشاهدنا بأنه حدث عسكري له تكتيك واستراتيجية . فالتكتيك هو الوساطة التي ينفذ من خلالها الهجوم، وبالوساطة نعني كافة الاساليب القتالية التي تعتمدها الوحدة المقاتلة في مهاجمة الاعداء كاستعمال الدروع والقاذفات والاسلحة الخفيفة وانتهاج أسلوب التعاون والتنسيق المتقن بين مقاتلي الوحدة كافة في تنفيذ الواجب واعتماد طريقة الضربة السريعة في الهجوم. أما استراتيجية الهجوم فهي تدمير المواقع الامامية

(١) Weber, Max. The Theory of Social and Economic Organization, New York, 1969, P. 88.

(٢) د. باليت. أصول المعرفة العسكرية، ترجمة مصطفى الجمل، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٧١، ص ٣٤-٣٥.

للاعداء. وإبادة أفراده وتدمير آلياته وأسلحته لكي يمكن التقدم في عمق أراضي العدو من أجل محاصرة قسبة أو مدينة استراتيجية من مدن العدو. لكن كلا من التكتيك والاستراتيجية العسكرية تحتاج إلى خطط فاعلة توضح صيغ التكتيك والربط بينها وبين الاستراتيجية وعلاقة الاستراتيجية بالادبولوجية التي يعتمدها النظام الاجتماعي .

ومن الجدير بالإشارة إليه أن السلوك العسكري يمكن تصنيفه إلى ثلاثة أقسام رئيسية هي السلوك العسكري الغريزي أو الانفعالي والسلوك العسكري التقليدي والسلوك العسكري العقلاني (1). علما بأن الأنماط الثلاثة من السلوك العسكري تتفق مع الأنماط الثلاثة من السلوك الاجتماعي التي تكلم عنها ماكس فيبر في كتابه " نظرية التنظيم الاجتماعي والاقتصادي ". فالسلوك العسكري الغريزي هو السلوك غير المهذب والأخلاقي من ناحية الوسطة والغاية كقيام العسكريين بقتل المدنيين. والعزل المقيمين في القرى والقصبات والمدن التي يحتلونها أو قيامهم بقتل أسرى الحرب. والسلوك العسكري التقليدي هو السلوك الذي ينبعث من العادات والتقاليد والقيم والمقاييس التي تعتمدها القوات المسلحة. ومثل هذا السلوك يساعد على وحدة وتماسك أبناء القوات المسلحة وقدرة المؤسسات العسكرية على إداء وظائفها بصورة جيدة وكفاءة. ويتمثل السلوك العسكري التقليدي في مراسيم منح الضباط والمقاتلين أوسمة وأنواط الشجاعة تقديرا لشجاعتهم والإعمال البطولية التي أدوها خلال العمليات الحربية، أو يتمثل بتشجيع الشهداء من العسكريين والحفلات التأبينية التي تقام على أرواحهم بعد مراسيم التشييع والدفن. كما يتجلى السلوك العسكري التقليدي في التحية العسكرية التي يجب أن يؤديها حملة الرتب الصغيرة إلى حملة التي العالية في القوات المسلحة .

(1) Weber, Max. The Theory of Social and Economic Organization, P. 113.

أما السلوك العسكري العقلاني فهو السلوك المهذب والاخلاقي من ناحية  
الواسطة Means والغاية End<sup>(1)</sup> . وأحيانا يسمى هذا السلوك بالنموذج المثالي  
للسلوك الاجتماعي Idea Type of Social Behaviour لان كلا من الوساطة والغاية  
عقلانية وشريفة ومفيدة للفاعل الاجتماعي وللمجتمع الكبير على حد سواء. ويتجسد  
هذا النمط من السلوك العسكري بقيام المقاتلين بالدفاع عن وطنهم وقت تعرضه  
للعُدوان والاحتلال الاجنبي. فالمقاتلون يستعملون فنون القتال الحديث والاسلحة  
والمعدات العسكرية المتطورة في القتال ويضعون من خلال قيادتهم الخطط التعبوية  
والسوقية لمواجهة العدو ومنازلته. وهذه هي واسطة السلوك العسكري العقلاني. أما غاية  
هذا السلوك فهي الدفاع عن الوطن وشرف أبنائه ومقدساته وحماية أمنه وطمأنينته من  
شُرور المعتدين والمغتصبين، وردع العدو وإحراق الخسائر البشرية والمادية به لكي  
يكون عبرة للآخرين. وهنا يستطيع المجتمع الحفاظ على وحدة أراضيهِ والتمتع بسيادته  
وأمنه القومي. وكافة هذه الاهداف التي يتوخاها السلوك العسكري هي أهداف عقلانية  
ومشروعة .

#### ب - طبيعة علم الاجتماع العسكري :

علم الاجتماع العسكري كعلم الاجتماع السياسي أو علم الاجتماع الصناعي  
أو علم الاجتماع الحضري هو فرع من فروع علم الاجتماع. لذا والحالة هذه يتصف  
بنفس الصفات العلمية والانسانية التي يتصف بها علم الاجتماع وفروعه المتعددة. لا  
يمكن اعتبار علم الاجتماع العسكري علما صرفا كالعلوم الطبيعية مثل الرياضيات  
والفيزياء والكيمياء وعلم الاحياء وذلك لانه يتصل بدراسة الفرد والجماعة والمؤسسة  
التي لها احكامها ونظمها وعلاقاتها وأهدافها التي وضعها الانسان<sup>(2)</sup> . ذلك الكائن  
الذي يمتلك العقل الظاهري الذي من خلاله يتصل ويتفاعل مع الآخرين ويمتلك العقل

(١) Ibid., P. 115.

(٢) Johnson, H. Sociology, London, Routledge and Kegan Paul, 1991, PP.3-5.

الباطني الذي يعبر عن الدوافع والحاجات الغريزية ويخفي النوازع والنوايا والمقاصد التي يحملها والتي تؤثر في سلوكه وعلاقاته بطريقة شائكة ومعقدة .

ولا يمكن من جهة ثانية اعتبار علم الاجتماع العسكري علما انسانيا بحتا كعلم الدين واللاهوت والفلسفة والادب وذلك لوجود بعض السمات العلمية والموضوعية التي يتسم بها كالصفة النظرية والتطبيقية ، أي امتلاكه النظريات التي تفسر الظواهر والاحداث العسكرية تفسيراً اجتماعياً علمياً. عقلانياً كـنظريات الهجوم والدفاع ونظريات الحرب ونظريات السوق العسكري ونظريات المواقف والقيم والسلوك ونظريات التدريب والتأهيل القتالي ونظريات المعنويات وعلاقتها بالبناء الاجتماعي ونظريات مجتمع الحرب ومجتمع ما قبل وما بعد الحرب . ومثل هذه النظريات يمكن استخدامها من قبل علماء الاجتماع العسكري والاستفادة منها في تطوير القدرة القتالية لـبناء القوات المسلحة ورفع معنوية المقاتلين وتحقيق الوحدة والتماسك بين الجماعات والتشكيلات العسكرية وإزالة الآثار الاجتماعية السلبية التي تخلفها الحروب خصوصاً الحروب الطويلة الأمد وإعادة تكييف المقاتلين مع المجتمع بعد انتهاء فترة الحرب وإنشاء الخدمات الاجتماعية التي يحتاجها المقاتلون خلال فترة الحرب وبعدها .

إذن علم الاجتماع العسكري هو علم يجمع بين الانسانية والعلمية، فهو علم إنساني لأنه يدرس سلوك العسكري وعلاقاته الاجتماعية ويدرس تركيب ووظائف وأديولوجية الجماعات العسكرية. وفي الدراسة هذه تتلون الجوانب الموضوعية للعلم بالصبغة الانسانية وما تتضمنها من نزعات وأهواء ذاتية وميول واتجاهات فردية ومصالح وأهداف شخصية لا يمكن تحديد معالمها وتشخيص تياراتها ودراستها دراسة موضوعية كما يدرس العالم الفيزيائي طرق توصيل الحرارة أو طرق انتقال الصوت. كما أن علم الاجتماع العسكري هو موضوع علمي إلى درجة معينة لأنه يعتمد كافة المناهج العلمية التي تعتمدها العلوم الطبيعية في جمع مادتها وبياناتها كطرق المقارنة والتجريب والقياس والمسح الميداني والمشاهدة. ويقتفي الأسلوب العلمي في صياغة

فرضياته ونظرياته وقوانينه التي تفسر الظواهر العسكرية تفسيراً علمياً مقنعاً. ويتسم بكافة الصفات التي تميز المواضيع العلمية كالصفة النظرية والامبيريقية والتراكمية والموضوعية .

ويجدر بنا هنا دراسة الصفات التي يتميز بها علم الاجتماع العسكري والتي تجعله موضوعاً علمياً لا يختلف عن المواضيع الأخرى كالاقتصاد وعلم النفس والانثروبولوجيا وعلم الاجتماع. إن العوامل التي تثبت علمية الاجتماع العسكري هي كالاتي :

١- علم الاجتماع العسكري هو علم نظري قادر على بناء وصياغة النظريات وربط بعضها ببعض بطريقة عقلانية وهادفة<sup>(١)</sup>. إن من أسباب استقلالية علم الاجتماع العسكري عن علم الاجتماع زيادة نظرياته وقوانينه العامة وقدرة أخصائييه على اكتشاف نظريات وقوانين أخرى تضاف الى الحقل المعرفي لعلم الاجتماع العسكري. بيد أن النظريات لا يمكن صياغتها دون وجود الفرضيات والآراء والأفكار عن الظواهر والاحداث العسكرية التي تأخذ مكانها في المجتمع. لو أخذنا نظريات القيادة العسكرية المتعلقة بصفات ووظائف القائد لشاهدنا بأن هذه الصفات والوظائف تعتمد على نوعية القيادة العسكرية. فهناك القيادة العسكرية الدكتاتورية والقيادة العسكرية الديمقراطية والقيادة العسكرية الكرزمانية. إن القائد الكرزماتي له صفات ووظائف تختلف كل الاختلاف عن تلك التي تميز القائد الديمقراطي. كما أن نوعية القيادة هي التي تحدد أنماط العلاقات الاجتماعية التي تربط القائد بالاتباع وبالتالي تحدد كمية ونوعية العمل المنجز في الجماعة أو التشكيل القتالي. وما تتجزه الجماعة من أعمال ومهام يحدد قدرتها على تحقيق أهدافها. من هذه

(١) Ibid., P. 4.



الفروض المترابطة يمكننا بناء النظرية أو النظريات المتعلقة بموضوع القيادة العسكرية .

٢- نظريات علم الاجتماع العسكري هي نظريات تراكمية قابلة للكثرة والزيادة بمرور الزمن (١) . مما يدل على علمية علم الاجتماع العسكري قدرة نظرياته وقوانينه العامة الشمولية على الزيادة والتراكم وذلك بفضل كثرة وتنوع البحوث النظرية والميدانية المتعلقة بحقله الدراسي المحدد. لكن زيادة وكثرة البحوث والدراسات التي يجريها علماء الاجتماع العسكري تعتمد على طبيعة المشكلات الانسانية التي يلاقيها أبناء القوات المسلحة أثناء واجباتهم التدريبية والتعبوية والقتالية، وتعتمد أيضا على عدد هؤلاء العلماء وعلى التسهيلات البحثية والعلمية المتاحة لهم. إضافة الى عامل التشجيع والرعاية التي يلقيونها من قبل المسؤولين في الدولة والقوات المسلحة .

لقد ازدادت خلال فترة الستينات والسبعينات من هذا القرن الدراسات الميدانية المتعلقة بطبيعة بناء ووظائف الجماعات الاولى والثانوية في القوات المسلحة. ومن هذه الدراسات اشتمت دراسات جديدة عن معنوية الجماعات القتالية وأثرها في فاعليتها وتحقيق أهدافها. كما خرجت دراسات علمية ناضجة ومتطورة عن أثر القيادة والايديولوجية في رفع معنوية هذه الجماعات. ومن الجدير بالذكر أن هذه الدراسات كانت تعالج أسباب تفكك وحدة الجماعات القتالية وأسباب هبوط معنوياتها خصوصا أثناء الواجبات التدريبية والقتالية. ومن أهم هذه الدراسات دراسة " المناخ الاجتماعي وانتاجية الجماعات العسكرية الصغيرة" التي قام بها أس. آدمز ودراسة " المؤسسات العسكرية وعلم اجتماع الحرب" التي قام بها البروفسور كيرت لانك .

(١) Ibid., P: 2.

كما استطاع علم الاجتماع العسكري بلورة وتطوير معلوماته عن دور العوامل الاجتماعية في تحويل الجماعات والتشكيلات القتالية من جماعات وتشكيلات رسمية إلى جماعات وتشكيلات غير رسمية. علما بأن التنظيم غير الرسمي في القوات المسلحة له فوائده وأضراره بالنسبة للمقاتل والمؤسسة العسكرية التي ينتمي إليها. فالتنظيم غير الرسمي في الوحدات والتشكيلات القتالية يساعد المقاتلين الذين يكونونهم على التمتع بدرجة عالية من الارتياح والطمأنينة ويمدهم بالسمعة والمنزلة العالية التي لا يقرها التنظيم الرسمي العسكري ويمكنهم من تحقيق الوحدة والالفة بينهم وأخيرا يحفزهم على تحدي السلطة التي تظلمهم وتغمر حقوقهم وتمنعهم من الانتقال الاجتماعي وتحقيق طموحاتهم وأهدافهم المنشودة .

ومن جهة ثانية نلاحظ بأن للتنظيم غير الرسمي في القوات المسلحة أضراره ومساوئه. فهو يقود إلى قيام المقاتلين بتحدي واستفزاز السلطة الرسمية في المؤسسات العسكرية وظهور الحواجز النفسية والاجتماعية بين الأمرين والمقاتلين التي قد تقود إلى الصراع والاقنتال بينهم. كما أن قيادة التنظيم غير الرسمي قد تصدر الأوامر إلى المقاتلين بتقليص الانتاجية والتهاون في إداء الواجب والاعتراب عن المؤسسة العسكرية. ومثل هذه المعلومات المهمة عن التنظيم غير الرسمي في القوات المسلحة تفسر الأسباب الموضوعية والذاتية لتحول الهيكل التنظيمي من نمط الى نمط آخر وتشير إلى درجة التناقض بين النمطين من التنظيم مع تحديد مساوئ العلاقات غير الرسمية في القوات المسلحة بغية معالجتها ووضع حد لها. ومن أهم الدراسات التي أجريت حول هذا الموضوع دراسة مورو بيركر الموسومة "النظم الاجتماعية غير الرسمية في الجيش" (1) .

ان هذه الدراسات تمدنا بمعلومات متشعبة يمكن أن نشق منها النظريات التي تفسر سلوكية وعلاقات العلاقات الاجتماعية بأنواعها المختلفة في القوات المسلحة.

(١) Berger, M. Informal Social Organization in the Army, New York, 1966.

ناهيك عن أهميتها في فهم واستيعاب مشكلات الجماعة القتالية وأثرها المخرب في تماسك وفاعلية القوات المسلحة .

٣- علم الاجتماع العسكري هو علم امبريقي وميداني Empirical Science<sup>(1)</sup> . يستطيع العالم الاجتماعي العسكري القيام بالبحوث الامبريقية عن كافة المواضيع النظرية والمشكلات العلمية التي يريد دراستها دراسة علمية. وبالبحث الامبريقي نعني البحث الذي يلتزم بمنهجية المسح الميداني التي تفرض على الباحث الذهاب إلى الميدان الاجتماعي سواء كان جبهات القتال أو الاماكن والمؤسسات العسكرية التي يتواجد فيها العسكريون أو المنطبة السكنية والمجتمع المحلي الذي يعيشون فيه. وهناك يقابل الباحث العسكريين مقابلة رسمية أو غير رسمية تتوخى جمع المعلومات والبيانات منهم لكي تكون الدليل المعتمد لكشف الحقيقة والواقع .

لو أراد الباحث دراسة معنويات المقاتلين خلال فترة الحرب، أو كشف ظروف ومشكلات المقاتلين في الجبهة، أو معرفة الجوانب التعبوية والتربوية للقوات المسلحة، أو دراسة العلاقات الانسانية بين الضباط والجنود، أو معرفة مواقف المقاتلين حول طبيعة الاسلحة التي يستعملونها في المعركة، أو كشف دور القيم الاجتماعية والايديولوجية في تكوين الجيش العقائدي ، أو توضيح مواقف العسكريين حول استخدام المرأة في القوات المسلحة ، فإنه يستطيع القيام بدراسات ميدانية حول جميع هذه المواضيع التي تتعلق بمادة علم الاجتماع العسكري.

والدراسة الميدانية تتطلب تحديد عنوان البحث<sup>(2)</sup> وليكن دراسة طبيعة العلاقات الانسانية بين الضباط والجنود مع الإشارة إلى العوامل التي دفعت الباحث إلى اختيار هذا الموضوع دون غيره من المواضيع. إضافة الى ذكر الفوائد العلمية المتوخاة من إجراء مثل هذه الدراسة. وبعد اختيار موضوع الدراسة الميدانية يصمم

(١) Johnson, H. Sociology, P. 2.

(٢) Moser, C.A. Survey Methods in Social Investigation, London, Heineman, 1997, P. 39.

الباحث عينته أو عيناته الإحصائية ويصمم استارته الاستثنائية<sup>(1)</sup> . وبعد الانتهاء من هذه المراحل يبدأ بالمقابلات الميدانية الرسمية وغير الرسمية الهادفة إلى جمع المعلومات المطلوبة من الميدان<sup>(2)</sup> . وتتبع عملية المقابلات عملية تبويب البيانات الإحصائية وتحليلها تحليلًا علميًا منطقيًا. وبعد التحليل الإحصائي توزع النتائج الإحصائية مع الجداول على فصول ومباحث الدراسة لكي تمكن الباحث من كتابتها والانتهاء من البحث برمته .

وعند الانتهاء من عمليتي جمع المعلومات وتحليل البيانات يستطيع الباحث صياغة النظريات والقوانين العلمية عن العلاقات الإنسانية بين الضباط والجنود من حيث أسباب قوتها أو ضعفها ونتائج القوة أو الضعف على فاعلية ووحدة القوات المسلحة. إضافة إلى تبيان المقترحات والتوصيات التي من شأنها أن تقوي وتوطد هذه العلاقات خدمة لإزالة الحواجز النفسية والاجتماعية بين الشريحتين الاجتماعيتين والتي بدورها تؤدي غرضها المنشود في تكوين الجيش العقائدي . كما أن المعلومات النظرية النظامية التي نحصل عليها حول موضوع العلاقات الإنسانية بين الضباط والجنود من خلال القيام بالبحث الميداني الامبريقي تساعد العلم على توسع مفاهيمه وحقائقه وفروضه ونظرياته وقوانينه العلمية بحيث يكون قادرا على تفسير وتحليل الظواهر الاجتماعية في القوات المسلحة تحليلًا علميًا عقلانيًا موزونًا. ومثل هذا التفسير والتحليل يمكن العلم الجديد من تطوير الظروف الاجتماعية والإنسانية التي يعيشها المقاتلون في جبهات القتال والثكنات العسكرية .

٤ - علم الاجتماع العسكري يهتم بما هو كائن ولا يهتم بما يجب أن يكون<sup>(3)</sup>.

من الشروط العلمية التي يتسم بها علم الاجتماع العسكري اهتمامه بوصف وتحليل العمليات والظواهر والتفاعلات الاجتماعية التي تأخذ مكانها في المؤسسات

(١) Ibid., P. 73.

(٢) Ibid., P. 185.

(٣) Johnson, H. Sociology, P. 2.

العسكرية كاهتمامه بوصف وتجليل ظاهرة التدرج الهرمي للمؤسسة العسكرية. واهتمامه بدراسة الفعل ورد الفعل بين القوات المسلحة والمجتمع واهتمامه بالعلاقات الإنسانية بين أفراد القوات المسلحة واهتمامه بتشخيص المشكلات الاجتماعية التي تواجه العسكريين وتوضيح أسبابها وعلاجها. إضافة لدراسته لبناء ووظائف وأديولوجية الجماعات القتالية الصغيرة والكبيرة واهتمامه بأسباب ونتائج الحروب والعوامل المسؤولة عن الفوز أو الخسارة العسكرية المتمخضة عن الصراع العسكري المسلح بين الدول والشعوب .

إن العالم الاجتماعي العسكري في دراسته لنظم البيروقراطية العسكرية أو في دراسته للنظم الاجتماعية الرسمية وغير الرسمية في المؤسسات العسكرية يهتم بوصف وتحليل هذه النظم كوصف ماهية الأدوار الوظيفية التي تتكون منها البيروقراطية العسكرية والعلاقات العمودية والافقية التي تربطها وفوائدها ومضارها للمؤسسة العسكرية والمجتمع. ولا يهتم العالم الاجتماعي العسكري بتقييم النظم البيروقراطية العسكرية بعد مقارنتها مثلا بالنظم العسكرية اللامركزية المعتمدة على تحويل الأمرين والقادة باتخاذ القرارات والإجراءات الحاسمة دون الرجوع إلى القيادة العسكرية العليا. كذلك يتخصص العالم الاجتماعي العسكري بوصف وتحليل النظم العسكرية الرسمية وغير الرسمية من حيث هياكلها ووظائفها وقياداتها دون الدخول في مسائل تقييمها أي تفضيل نظام على نظام آخر على الرغم من أهميته في توضيح فوائد ومضار كل نظام من هذه الأنظمة الاجتماعية العسكرية. إذن عندما يهتم العالم الاجتماعي العسكري بموضوع الوصف والتحليل ولا يدخل في مسائل التقييم والأحكام القيمة فإن موضوعه يجب أن تطغى عليه الروح العلمية التي ترفع من مكانته وهيئته كفروع أساسي من فروع علم الاجتماع<sup>(1)</sup>.

(1) Doom, V. Armed Forces and Society, P. 17.

ومع هذا فإن من حق العالم الاجتماعي العسكري الدخول في مجال التقييم إذا كان يشغل مركزا إداريا أو سياسيا حساسا يستطيع من خلاله رسم سياسة المؤسسة العسكرية التي يعمل فيها، أو إذا كان مخططا عسكريا مؤهلا على وضع الخطط التكتيكية والاستراتيجية وانتقاء الإصالح منها لعمليات الدفاع والهجوم والمناورة في القطعات أثناء المعارك الحاسمة والمعقدة (١) .

### ج - وظائف علم الاجتماع العسكري :

إن من مهام علم الاجتماع العسكري كما بيّنا أعلاه توضيح طبيعة الفعل ورد الفعل بين المؤسسات العسكرية للمجتمع والمؤسسات البنوية الأخرى التي يتكون منها البناء الاجتماعي. وإذا ما قام علم الاجتماع العسكري بهذه الوظيفة فإن أبناء القوات المسلحة سيدركون أهمية وفاعلية المنظمات الاجتماعية الأخرى كالعائلة والمدرسة والمصنع والدائرة البيروقراطية والجامع أو الكنيسة والمزرعة والنادي . . . الخ لانشطة واستمرارية وتطور المؤسسات العسكرية. ومن جهة أخرى سيدرك أبناء المجتمع قاطبة أهمية وفاعلية وداينمكية المؤسسات العسكرية في الدفاع عنهم والحفاظ على تراثهم وقيمهم ومقدساتهم. ومثل هذه الحقيقة لا بد أن تؤدي دورها الفاعل في تكامل وتعاون وانسجام المؤسسات البنوية مهما تكن أغراضها ووظائفها.

إن القوات المسلحة ومؤسساتها البنوية ترمي إلى الدفاع عن تربة الوطن وحرمة المجتمع وشرف الأمة من الاطماع والتحديات والاستفزازات العدوانية التي قد يتعرض إليها بين فترة وأخرى (٢) . وتتوخى سلامة أمن الدولة والمحافظة على استقلاليتها وشرعيتها واستمرارية تقدم المجتمع وصيانتته من القوى الطامعة والمستغلة. وأخيرا تهدف إلى دعم وحدة المجتمع وتعزيز كيانه القومي والمحافظة على قواه المنتجة والخلاقية وحماية مثله الاجتماعية وتراثه الحضاري والقيمي من

(١) د. باليت. أصول المعرفة العسكرية، ص ٤٧.

(٢) الحسن، د. احسان محمد. علم الاجتماع السياسي، ص ١٣٣.

التحلل والفوضى والارتباك الذي قد يدخل إليه نتيجة تعرضه للاستغلال والتعدوان والاحتلال.

ومن جهة ثانية تقوم المؤسسات البنوية الاخرى كالدولة والعائلة والمنظمات الاقتصادية والتربوية بإداء مهامها والإيفاء بالتزاماتها إزاء القوات المسلحة لكي تتمكن من خدمة الوطن والامة خدمة تتميز بالجدية والفاعلية (1). فالدولة مثلا تمويل القوات المسلحة وتلبي متطلباتها الإدارية والفنية والتدريبية وتجدد نشاطاتها وواجباتها وقت السلم والحرب. بينما تتولى المؤسسات العائلية والقربانية مهمة رفد القوات المسلحة بالطاقات البشرية التي تحتاجها وتهتم بنفس الوقت بتنشئة وإعداد المواطنين، الذين هم أبناء القوات المسلحة، اعدادا اجتماعيا وتربويا ووطنيا صحيحا بعد أن تزرع عندهم السمات السيكولوجية والاخلاقية والاجتماعية التي يثمنها المجتمع (2). أما المنظمات الاقتصادية كالمصانع والمزارع والمصارف فهي التي تزود المؤسسات العسكرية بالمعدات والاسلحة، الاجهزة والمختبرات، البنايات والاثاث، وسائل النقل والمواصلات، المواد الغذائية والمؤونة والتجهيزات، وأخيرا الاعتمادات المالية، الخ. فالقوات المسلحة والمؤسسات العسكرية التابعة لها لا تستطيع الاعتماد على نفسها في سد حاجاتها وتحقيق أهدافها وطموحاتها. وهذا الامر يتطلب منها تكوين أقوى العلاقات مع بقية المنظمات المؤسسية في المجتمع والتعاون معها والايمان بفلسفتها واستراتيجيتها لكي تنسق العمل الجدي والفعال معها خدمة لاغراض الدولة والمجتمع (3).

إن من أهم الوظائف التي يقوم بها علم الاجتماع العسكري تعبئة الإمكانيات المادية والعلمية والبشرية التي يزخر بها المجتمع واستثمارها في خدمة الحرب خصوصا عندما تستمر الحرب لفترة طويلة من الزمن وتأخذ الطابع الاستنزافي. إن

(1) المصدر السابق، ص ١٣٥.

(2) الحسن، د. احسان محمد. العائلة والقربانية والزواج، بيروت، دار الطليعة والنشر، ١٩٨١، ص ٨٧.

(3) Friedeburg, L: Rèarmament and Social Change, New York, 1972, PP. 11-13.

علم الاجتماع العسكري يمكن أن يشارك مشاركة فعالة في تحويل الاقتصاد من اقتصاد يهتم بتلبية حاجات المجتمع وقت السلم كالحاجة إلى المواد الاستهلاكية والكمالية ، الصحة والاسكان، الخدمات الاجتماعية والثقافية والترفيهية... الخ... إلى اقتصاد يهدف إلى تلبية حاجات المجتمع وقت الحرب كالحاجة إلى الأسلحة والمعدات العسكرية، الذخيرة والمؤن، المواد الغذائية، والطاقات البشرية المدربة على تكنولوجيا الحرب (1). إضافة إلى المساهمة في توجيه البحث العلمي التطبيقي نحو اختراع وإنتاج الأسلحة المتطورة وزجها في الحرب بغية دحر العدو وتحقيق الانتصار الحاسم عليه. كما يستطيع علم الاجتماع العسكري تحويل القوى العاملة في المجتمع من قوى وطاقات تنتج البضائع وتعرض الخدمات للسكان المدنيين إلى قوى وطاقات تنتج للحرب وتهيئ الرجال لخوض المعركة، وفي نفس الوقت تلبي ما يحتاجه السكان المدنيون من سلع وخدمات أساسية. وعن هذا الطريق فقط يتمكن المجتمع من خوض المعركة مع الأعداء وتصعيد نطاقها والاستمرار بها حتى يحرز النصر الحاسم والمبين عليهم. وبعد تحقيق النصر على الأعداء يعم السلام في المجتمع ويبدأ السكان بإعادة بناء ما دمرته الحرب وتنمية المجتمع تنمية شاملة.

ومن المهام الأخرى التي يضطلع بها علم الاجتماع العسكري دراسة الظروف والأحوال الاجتماعية والنفسية للفرق والتشكيلات المقاتلة للعدو وذلك من خلال محاولة القيام بمسوحات شاملة عن الحالة المعنوية للعدو، ثقته بنفسه وقيادته، مدى اعتقاده وإيمانه بعدالة القضية التي يقاتل من أجلها، درجة التأييد والدعم المادي والمعنوي التي يتلقاها من شعبه ومن الشعوب المجاورة له. كما يهتم علم الاجتماع العسكري بجمع الحقائق والمعلومات عن المشكلات الاقتصادية والاجتماعية التي تواجه العدو ويفسر أثر هذه المشكلات في ظواهر الارتباك والحيرة والخذلان وفقدان الثقة بالنفس والفوضى والتحلل التي تخيم عليه وتسبب له الانقسامات والكوارث. وعلماء الاجتماع

(1) خضر، د. أحمد إبراهيم ، علم الاجتماع العسكري، ص ٢١.

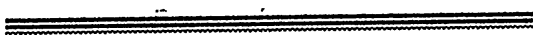


---

---

العسكري يحتاجون مثل هذه المعلومات عن العدو بغية التعرف على معنويته ونقاط قوته وضعفه. وبعد معرفة الظروف الاجتماعية والنفسية والاقتصادية المحيطة بالعدو وتحويلها إلى متغيرات كمية وإحصائية يستطيع علماء الاجتماع العسكري شن الحملات الاجتماعية والنفسية ضده والتي تستهدف تدمير معنويته وروحه القتالية وقدراته الكامنة التي يتمتع بها. وبعد تدمير معنويته وتشتيت قواه النفسية والفكرية يمكن تحقيق الانتصار عليه بمجرد تسديد الضربات العسكرية الموجهة إليه .

وأخيرا يستطيع علماء الاجتماع العسكري مساعدة السياسيين والقادة العسكريين في جمع الحقائق والبيانات عن الفرق والتشكيلات المقاتلة للعدو خصوصا ما يتعلق بدرجة تدريبها ومؤهلاتها العسكرية، تدريبها وكفاءتها على استخدام السلاح في المعركة، أساليبها واستراتيجياتها العسكرية وأخيرا ظروفها الاجتماعية والاقتصادية والنفسية. ومثل هذه المعلومات التي يجمعها علماء الاجتماع العسكري عن العدو قبل اندلاع الحرب يمكن أن يعتمد عليها السياسيون والعسكريون في مواجهة العدو والتصدي لخطته ومآربه .



## الفصل الرابع

### علاقة علم الاجتماع العسكري بعلم الاجتماع

### والعلوم العسكرية

يهتم علم الاجتماع بدراسة الظواهر الاجتماعية الناتجة عن تعامل وتفاعل الناس بعضهم مع بعض في الجماعات المختلفة كالاسرة والجيش والمدرسة ومكان العمل والحزب السياسي أو في المجتمعات المختلفة كالحى والقرية والمدينة. ولذلك لا يبعد عن الصواب من يقول أن علم الاجتماع يدرس العلاقات والتفاعلات الاجتماعية التي تنشأ بين الافراد والجماعات من حيث تكوينها وشدهتها ومدى استدامتها واتجاهاتها وأهدافها وما ينظمها أو يشكلها أو يغيرها (1). وهناك بعض العلماء يتعتقدون بأن ميدان الاجتماع يشمل العلوم الاجتماعية كلها بضمنها العلوم العسكرية والعلوم السياسية ولذلك قالوا أن علم الاجتماع هو علم العلوم. ولكن الحقيقة والواقع أن لكل علم من العلوم الاجتماعية كالعلوم العسكرية والعلوم السياسية وعلم النفس والاقتصاد والتاريخ ميدانه الخاص ومصطلحاته العلمية وطرقه المنهجية وأساليبه الدراسية ومشكلاته الاكاديمية التي تجعله متميزا عن غيره من العلوم الاخرى، وفي نفس الوقت مكمل لها طالما أن العلوم الاجتماعية كلها تدرس زوايا المجتمع المختلفة (2). ولما كانت زوايا وأركان المجتمع متكاملة فإن العلوم الاجتماعية ذاتها تكون متكاملة ومترابطة ولا يمكن فصل بعضها عن بعض فصلا كاملا.

(1) Ginsberg, M. Sociology, London, Oxford University Press, 1970, P. 7.

(2) Davis, K. Human Society, New York, the Macmilan Co., 1967, PP. 4-5.

إن علم الاجتماع الآن يهتم بدراسة الإنسان بصفته نتاجا للحياة الاجتماعية. ويحلل هذا العلم السلوك الاجتماعي وأنماط التفاعل والعلاقات الاجتماعية التي تربط الأفراد واحد بهم بالآخر والعادات والتقاليد والحضارة وبناء ووظائف الانظمة الاجتماعية والقيم والمثل التي تنظم الحياة الاجتماعية . إضافة إلى دراسة أنماط المؤسسات البنوية التي يتكون منها التركيب الاجتماعي من حيث أسسها وعناصرها التكوينية وأصولها التاريخية ووظائفها المؤسسية وأهدافها القريبة والبعيدة (١) . وأخيرا طبيعة العلاقات الاجتماعية بين أركانها الداخلية من جهة وبين المجتمع الكبير من جهة أخرى. وأخيرا يهتم علم الاجتماع بدراسة أسباب الاستقرار والسكون الاجتماعي وأسباب التحول والديناميكية الاجتماعية (٢) .

أما العلوم العسكرية فتدرس طرائق تشكيل القوة القتالية وفنون استعمالها وأهميتها في الردع ورد الاعتبار والحفاظ على تراب الوطن وحمايته من شرور المعتدين (٣) . وتهتم بدراسة طبيعة وأشكال العنف المنظم الذي يشجع قتل الأعداء وبعثرة قواتهم وإحراق الهزيمة بهم (٤) . إضافة إلى تخصص العلوم العسكرية بفهم ماهية وأهمية وأنماط العقيدة العسكرية وما تتطوي عليها من أفكار ومبادئ تتعلق بالتحضير والتأهب للحرب والالتزام بمبادئها وتجهيزها بكافة اللوازم والمعدات والموارد المادية والبشرية التي تحتاجها . وأخيرا تركز العلوم العسكرية انتباهها على القضايا التكتيكية والاستراتيجية للحرب ومتطلباتها السوقية والعلاقة بين الحرب النفسية وطبيعة المجتمع من جهة، والحرب النفسية والقوات المسلحة من جهة أخرى. ونستطيع أن نقول بأن العلوم العسكرية تدرس المؤسسات العسكرية التي تعتبر جزءا لا يتجزأ من البناء الاجتماعي. وبالمؤسسات العسكرية نعني النظم والاعراف والتقاليد التي تحدد

(١) Gerth, H. and C. Wright Mills. Character and Social Structure, Op.Cit., PP. 22-23.

(٢) Ginsberg, M. Sociology, P. 17.

(٣) Lang, Kurt. Military. In International Encyclopedia of Social Sciences, New York. The Macmillan Co., V.10, 1968.

(٤) Gerth, H. and C. Wright Mills. Character and Social Structure, P. 26.

الإيماط السلوكية لابتناء القوات المسلحة وتنظم العلاقات بينهم. إضافة إلى اهتمامها بقبضايا التدريب والتأهيل واكتساب المهارات القتالية والتسليح والتصنيع الحربي والاشراف على التشكيلات القتالية ومراعاة اختصاصاتها وتوزيعها الجغرافي في الاماكن المطلوبة لكي تؤدي دورها الفاعل في الدفاع عن حدود الوطن وحماية أراضيه وشعبه وقيمه من المعتدين .

ويشترك علماء الاجتماع والاختصاصيون العسكريون في تبني نظرة شاملة للتنظيم الاجتماعي. فالظواهر العسكرية كالتسليح والحروب والمعاهدات والاتفاقيات العسكرية والتصنيع الحربي والانتصار والفشل العسكري يمكن تحليلها على ضوء البناء الاجتماعي بحيث يصبح الواقع العسكري تابعا للواقع الاجتماعي<sup>(١)</sup>. واكتسب ميدان الاجتماع العسكري Military Sociology أهمية خاصة بعد أن تبلورت مفاهيم ومصطلحات جديدة كانت قد اشتقت من كلا العلمين علم الاجتماع والعلوم العسكرية كمصطلحات النسق System، والجماعة Group، والقوة Power، والسوق Strategy، والتكتيك Tactics والقيادة والصفوة Leadership and Elite واستعملت هذه المصطلحات في بناء وتكوين فرضياته ونظرياته الاجتماعية والعسكرية المتطورة والقادرة على تفسير ظواهره وملايساته. وبعد ان استخدمت الطرق المنهجية العلمية في جمع معلوماته وحقائقه التي يعتمد عليها في شرح وتفسير الظواهر والتفاعلات والمشكلات التي يهتم بدراستها والتي تشتق من مجاله الدراسي وأفقه النظري والاكاديمي. وقد ظهر علم الاجتماع العسكري في الفترة التاريخية التي أصبح من الممكن فيها التمييز بين ما هو اجتماعي Social وبين ما هو عسكري Military، ويمكن اعتبار فترة الاربعينات من هذا القرن تاريخا محددًا لظهور علم الاجتماع العسكري خصوصا عندما كان السوسيولوجيون الاوروبيون في الحرب العالمية الثانية. يجرون بحوثهم على الكتائب العسكرية دون التركيز على النسق العسكري كموضوع

(١) خضر، د. أحمد ابراهيم،: علم الاجتماع العسكري: التحليل السوسيولوجي لنسق السلطة العسكرية، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٠، ص ١٩.

للبحث السوسيولوجي المنظم، وقد نشرت النتائج الأساسية لهذه البحوث في مجلدات عسكرية كمجلدات " الجندي " التي تعتبر الحجر الأساسي في تطور علم الاجتماع العسكري . يرى كيزت لانك أن علم الاجتماع العسكري قد بدأ نقطة انطلاقه في البلدان الأوروبية خلال الخمسينات لكن بداياته تعود إلى الحرب العالمية الثانية (١) .

لقد كانت الحرب العالمية الثانية هي المجال الأول الذي استخدم فيه علماء الاجتماع الأمريكيون قدراتهم المهنية في دراسة التنظيمات العسكرية الأمريكية وقد أجروا بحوثاً متعددة في موضوعات مختلفة من أهمها عمليات الدعاية السياسية والروح المعنوية وإدارة الأفراد (٢) . ومن الجدير بالذكر أن الاهتمام بمتطلبات الحرب السياسية ضد القوات الألمانية واليابانية أدى إلى جهود منظمة نظرت إلى هذه القوات على أنها انساق اجتماعية. وخلال الحرب العالمية الثانية قامت وحدتان مستقلتان للعلوم الاجتماعية بإعادة ترتيب ما حصلت عليه من معلومات استراتيجية وصبتها في قوالب سوسيولوجية وشرحتها من خلالها درجة صمود قوات المحور لهجوم الحلفاء. وقد نما وتزايد عدد السوسيولوجيين المهنيين المدربين في الحرب وخدم كثير منهم في القوات المسلحة بعد الحرب وأضافوا بذلك إلى المؤلفات العلمية الكثير من خبراتهم وتحليلاتهم في هذا الميدان .

أما علم الاجتماع العسكري في الاتحاد السوفيتي فقد نما وتطور خلال فترة الستينات من هذا القرن. حيث زادت السلطات العسكرية السوفيتية من استخدام البرامج النظرية التي طورتها المدارس السوفيتية الحديثة في علم الاجتماع. وقد أسست الجمعية الاجتماعية السوفيتية التي بلغ عدد أعضائها في عام ١٩٧٠، ١٤٦٩ عضواً قسماً عسكرياً بها. كما بدأت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في عام ١٩٧٦م بأعداد الكوادر العسكرية من الاجتماعيين التي اهتمت بتكثيف أبحاثها عن الروح المعنوية

(١) Lang, Kurt." Military Sociology" Current Sociology, 16, 1968.

(٢) خضر، د. ابراهيم احمد، علم الاجتماع العسكري ، ص ٤٤ .

والتضامن والانضباط والتعاون بين الجنود<sup>(١)</sup>. واهتم الضباط السوفييت خصوصاً السياسيون منهم بدراسة السلوك والشخصية والعلاقات الاجتماعية بين الجنود واتجاهات الجنود وفهم القوانين التي من خلالها يمكن تحطيم معنويات العدو. وقد استمرت السلطات السوفيتية في هذه الدراسات على الرغم من مقاومة بعض عناصر الحزب وبعض الضباط لها.

وتطور علم الاجتماع العسكري في يوغسلافيا، حيث كانت هناك جهود كبيرة في الثلاثين سنة الاخيرة عنيت بتحليل الثورة وحرب التحرير القومية اليوغسلافية (١٩٤١-١٩٤٥). وجمعت نتائج هذه الجهود في مجلدات ووثائق ومقالات عن وحدات جيش التحرير اليوغسلافي تناولت مظاهر الحرب ومناطقها والتشكيلات العسكرية العدو والصديقة. وكانت هناك مؤسستان عسكريتان لعبتا دوراً هاماً في تنظيم وتنسيق هذه الجهود وهما مؤسسة التاريخ العسكري لجيش الشعب اليوغسلافي والموسوعة العسكرية. ويمكن أن نجد في هذه الجهود الحد الأدنى من التحليل الاجتماعي للعديد من المظاهر المتنوعة للقوات المسلحة اليوغسلافية قبل الحرب والعلاقات المدنية العسكرية بعد الحرب والعلاقة بين البناء الاجتماعي وتكوين التشكيلات العسكرية المتعددة خلال فترة الحرب بالإضافة إلى التحليل الاجتماعي والسياسي لداينميكية الحرب<sup>(٢)</sup>. وقد ساهم في هذه الاعمال العديد من المؤرخين العسكريين منهم والمدنيين.

لكن علم الاجتماع العسكري في يوغسلافيا قد تطور بفعل دوافع نشأت أساسياً من حاجات ومشكلات القوات المسلحة اليوغسلافية. كما تطورت موضوعاته طبقاً لحاجات المنهج التعليمي للتربية العسكرية وحاجات الاقسام السياسية فني القوات المسلحة. وتجسد معظم موضوعات العلوم الاجتماعية في المدارس العسكرية الاطار الايديولوجي للفلسفة اليوغسلافية. وهذه الموضوعات تتعلق بالماركسية والطبيعة

(١) المصدر السابق، ص ٤٧.

(٢) المصدر السابق، ص ٤٩.

الاجتماعية للقوات المسلحة و سسيولوجيا الحرب والمظاهر السياسية والاجتماعية للعقيدة العسكرية اليوغسلافية والتنظيمات العسكرية ومعنويات القتال التي يشترك فيها علم الاجتماع العسكري مع علم النفس العسكري<sup>(١)</sup> وقد حدد الاطار التنظيمي لتطور علم الاجتماع العسكري داخل القوات المسلحة اليوغسلافية باستحداث قسم الاجتماع العسكري . ويدرس الطلبة في المدارس العسكرية العليا مواد تتناول أساسيات علم الاجتماع العام وأساسيات علم الاجتماع العسكري. وتتناول محاضرات علم الاجتماع العسكري طبيعة العلم والحرب كظاهرة اجتماعية والدور الاجتماعي للقوات المسلحة والانماط المختلفة من المجتمعات المعاصرة والنظرة الماركسية للطبيعة الاجتماعية للقوات المسلحة والتحليل الاجتماعي والسياسي لحرب التحرير القومية والاساس الاجتماعي لعقيدة الحرب والدفاع القومي في يوغسلافيا.

#### أ- علاقة علم الاجتماع العسكري بعلم الاجتماع :

إذا فهمنا وأدركنا ماهية علم الاجتماع العسكري وطبيعته وأغراضه ومنهجيته وقارناها بماهية وطبيعة وأغراض ومنهجية علم الاجتماع فإننا نستطيع استنتاج وتحليل أوجه الشبه والاختلاف بين العلمين وبالتالي معرفة واستيعاب العلاقة المتفاعلة بينهما. إن علاقة علم الاجتماع العسكري بعلم الاجتماع إنما هي علاقة وثيقة ومترسخة إذ لا يمكن للعلمين الاستقلال والانفصال عن بعضهما البعض طالما أن الاختصاصي الاجتماعي يعتمد على دراسات وإبحاث علم الاجتماع العسكري عند معرفته أثر العوامل الاجتماعية في الظواهر العسكرية كالتعبئة الشاملة وإعلان النفير العام والحرب والمعاهدات العسكرية بين الدول . . . الخ والنتائج والانعكاسات التي تتركها هذه الظواهر على البنية الاجتماعية. كما أن العالم الاجتماعي العسكري يعتمد على دراسات علم الاجتماع في فهم العلاقة المتفاعلة بين مؤسسات المجتمع وأثر

(١) المصدر السابق، ص ٥١.



الانسان فيها. إضافة إلى استعمال مصطلحات ومنهجية ونظريات علم الاجتماع في دراسة الظواهر الاجتماعية في المؤسسات والنظم العسكرية التي يتخصص فيها العالم الاجتماعي العسكري .

إن علاقة علم الاجتماع العسكري بعلم الاجتماع تتجسد في حقيقة كون علم الاجتماع العسكري فرعاً مهماً من فروع علم الاجتماع وكون علم الاجتماع أقرب المواضيع لعلم الاجتماع العسكري. فعلم الاجتماع العسكري يعتمد على علم الاجتماع في صياغة وعرض نظرياته وفي طرح وربط قوانينه الكونية بعضها ببعض وفي دراسته للمؤسسة العسكرية دراسة اجتماعية مشتقة من طبيعتها المؤثرة فيها. لكن علم الاجتماع كما أسلفنا هو علم واسع يدرس جميع أنظمة ومؤسسات المجتمع دراسة عامة وشاملة، ومثل هذه الدراسة تساعده على اشتقاق القوانين العامة التي تفسر حقيقة الوجود الاجتماعي بما فيه من تعقد وتشعب وغموض. ويهتم علم الاجتماع بدراسة الفعل ورد الفعل بين المؤسسات المادية والمثالية للمجتمع ويحدد العوامل التي ترسم العلاقة بينها وتدفعها نحو التباين والاختلاف أو التماسك والتكامل<sup>(١)</sup>. ويدرس علم الاجتماع أيضاً العادات والتقاليد والقيم والمقاييس والمثل الاجتماعية ويشخص أثرها في بناء وتكوين النماذج السلوكية لأفراد وجماعات المجتمع. كما يركز على دراسة أسباب السكون والاستقرار الاجتماعي ودراسة الحركة والديناميكية الاجتماعية. إضافة إلى اهتماماته بفحص نتائج الاستقرار والديناميكية الاجتماعية على الإنسان والمجتمع الكبير. وأخيراً يدرس علم الاجتماع مشكلات المجتمع المادية والحضارية دراسة علمية وتحليلية تتطرق إلى أسبابها ونتائجها والظواهر الانسانية المرضية التي تجلبها للمجتمع ثم يقترح الاجراءات والحلول التي من شأنها أن تعالج هذه المشكلات وتضع حداً لها.

(١) الحسن. د. احسان محمد. علم الاجتماع السياسي، ص ٦٥.

أما علم الاجتماع العسكري فيختص بدراسة المؤسسات والنظم العسكرية والظواهر والازمات العسكرية دراسة اجتماعية علمية تحليلية تهدف إلى تشخيص وتحليل العوامل الاجتماعية والحضارية التي تقف وراء الظواهر والاحداث العسكرية، وترمي إلى دراسة الاصول والجذور الاجتماعية للمنظمات العسكرية في المجتمع. إضافة إلى اهتمام علم الاجتماع العسكري بدراسة الآثار الاجتماعية التي تتركها الظواهر العسكرية التي تحدث في المجتمع كالمعاهدات والاتفاقيات العسكرية بين الدول والتعبئة العسكرية والحروب والتصنيع الحربي<sup>(١)</sup>. فلو أخذنا ظاهرة التصنيع الحربي لشاهدنا بأن لهذه الظاهرة أسباب ونتائج اجتماعية واضحة المعالم على الافراد والجماعات فمن الاسباب الاجتماعية لظاهرة التصنيع الحربي ما يلي:

- ١- رغبة القيادة السياسية الاجتماعية التي تعيش في المجتمع بإنشاء الصناعات الحربية التي تعزز الاستقلال السياسي والسيادة الوطنية للدولة وتمكنها من حماية حدودها والدفاع عن مصالحها ضد الدول الطامعة والمستغلة .
- ٢- وجود القيم والمقاييس الاجتماعية المشجعة على قيام الصناعات الحربية الخفيفة منها والثقيلة<sup>(٢)</sup> .
- ٣- توفر الموارد البشرية الضرورية الماهرة وغير الماهرة التي تستطيع استثمار المواد الطبيعية وتحويلها إلى منتجات عسكرية لها أهميتها في تزويد الجيش بالمعدات التي يحتاجها .
- ٤- توفر الاجواء الاجتماعية اللازمة لقيام الصناعات الحربية كالاستقرار السياسي والخبرة والمهارة ومساواة المرأة مع الرجل في الواجبات والحقوق

(١) Janowitz, M. Armed Forces and Society: A World Perspective in Armed Forces and Society, Op.Cit.,P. 15.

(٢) الحسن، د. احسان محمد. الاسس الاجتماعية والحضارية للتصنيع في الزطن العربي ، قضايا عربية، العدد التاسع، ايلول ١٩٨٠، ص ١٧٢.

الاجتماعية وتقييم العامل ومنحه حقوقه كاملة وثممين العمل المبدع  
والخلاق ٠٠٠ الخ.

أما النتائج الاجتماعية التي تتمخض عن ظاهرة التصنيع الحربي فيمكن  
إجمالها بالنقاط التالية :

١- الهيبة الوطنية والعزة القومية وقدرة القطر على تصنيع أجهزته ومعداته  
الدفاعية بنفسه.

٢- زيادة الطلب على الايدي العاملة والقضاء على البطالة، وارتفاع الرواتب  
والاجور الذي يؤدي إلى تحسن الاوضاع المعاشية والاجتماعية في المجتمع  
أو إلى التضخم .

٣- تسريع عملية الانتقال الاجتماعي وذلك بسبب ارتفاع كمية الطلب على  
الايدي العاملة بكافة صنوفها ومستوياتها وتغير العرض للايدي العاملة.

٤- تغيير كافة المؤسسات والنظم الاجتماعية التحتية منها والفوقية وذلك كنتيجة  
حتمية لتغير المهنة وقيام التصنيع في المجتمع.

٥- تغيير القيم والمقاييس والتقاليد بسبب دخول التصنيع في المجتمع حيث ان  
التصنيع يحتاج إلى القيم التي تدعمه وتعزز استمرارية وجوده وتطوره.

إن علاقة علم الاجتماع بعلم الاجتماع العسكري إنما هي علاقة وطيدة  
تتعرض في حقيقة اعتماد علم الاجتماع على دراسات وأبحاث ونتائج علم الاجتماع  
العسكري. هذه المعلومات التي تساعده على فهم ومعرفة طبيعة المؤسسات العسكرية  
التي يدرسها العالم الاجتماعي جنباً إلى جنب مع بقية المؤسسات الاجتماعية الوظيفية  
الأخرى من حيث نشؤها وتطورها وأسسها الاجتماعية والعوامل المؤثرة في ديمومتها  
واستقرارها وصيرورتها. ومثل هذه المعلومات يستفيد منها العالم الاجتماعي عند  
دراسته وتحليله للعوامل والظواهر المشتركة التي تظهر في المنظمات العسكرية  
كالقوات المسلحة وفروعها وبتشكيلاتها. أما أهمية علم الاجتماع العسكري فتتجسد في  
قابلية علم الاجتماع على تحليل وتفسير ماهية الظواهر والعوامل الاجتماعية التي

تؤثر في استقرار ودايناميكية المجتمع وتتجسد في العلاقة العضوية بين مؤسسات المجتمع المختلفة وفي العوامل الذاتية والموضوعية التي تؤثر في العلاقات الاجتماعية والسلوك الاجتماعي للأفراد. وأخيراً تبرز أهمية علم الاجتماع بدراسته للتفاعل العضوي بين الفرد والجماعة والمجتمع وقدرته على تفسير ظواهر الاستقرار والحركة الاجتماعية وتشخيص القوانين التي تحكمها وتسيطر على فاعليتها. ومثل هذه الحقائق والمعلومات يستفيد منها العالم الاجتماعي العسكري فائدة كبيرة عند قيامه بدراسة وتحليل الأحداث والظواهر العسكرية في المجتمع .

وأوجه الشبه والتكامل بين علم الاجتماع وعلم الاجتماع العسكري يمكن درجتها بالنقاط التالية :

١- إن علم الاجتماع يدرس جميع مؤسسات المجتمع دراسة بنائية وظيفية ودراسة تحويلية في آن واحد. فالعالم الاجتماعي يدرس مثلاً المؤسسات الاقتصادية والمؤسسات العسكرية دراسة تفصيلية وتحليلية ثم يربط بينها ربطاً سببياً وعقلانياً يستهدف فهم أثر الأحداث العسكرية في الظواهر الاقتصادية أو أثر الأحداث الاقتصادية في الأحداث العسكرية. وعلم الاجتماع العسكري يدرس الفعل ورد الفعل بين المؤسسات العسكرية والمجتمع، أي يدرس الأسباب والنتائج الاجتماعية للأحداث والظواهر العسكرية. إذن كل من علم الاجتماع وعلم الاجتماع العسكري يدرسان الفعل ورد الفعل بين المؤسسات العسكرية وبقية مؤسسات المجتمع .

٢- يستعمل علم الاجتماع العسكري نفس المصطلحات التي يستعملها علم الاجتماع كاصطلاح المؤسسة والمنظمة والدور والمنزلة والقوة والصفوة والاستقرار والتغير والديمقراطية والديكتاتورية والكرزمانية . . . الخ.

٣- تشابه الطرق المنهجية والعلمية التي يستعملها العلمان في جمع المعلومات والحقائق وصياغة المفاهيم والنظريات. إن كلا العلمين يستعملان الطريقة

التأريخية وطريقة المقارنة وطريقة المسح الميداني وطريقة المشاهدة والمشاهدة  
بالمشاركة .

٤- إن كلاً من العلمين يتقيدان بالمنهج والأساليب العلمية التي تتبعها العلوم  
الاجتماعية والطبيعية على حد سواء ، ويتميزان بالصفات العلمية  
والموضوعية التي تتسم بها بقية العلوم ككونهما علمين نظريين وتطبيقيين في  
آن واحد. وإن اساليبهما البحثية والتحليلية تتميز بالجانب الامبريقي  
والموضوعي (١) . كما أن نظريتهما وقوانينهما العامة قابلة للزيادة والكثرة  
والتراكم. إضافة إلى كونهما علوما تهتم بالوصف والتحليل والعرض ولا تهتم  
بالتقييم الفلسفي والاحكام القيمية التي تشغل بال الفلسفة والدين والنلاهوت.  
وبالرغم من تشابه العلمين فإن هناك ثمة فروقاً أساسية بينهما وهذه الفروق  
يمكن تلخيصها بالنقاط التالية :

١- يدرس علم الاجتماع المجتمع برمته بما فيه من مؤسسات ومنظمات  
اجتماعية، سلوك وعلاقات اجتماعية ، وسكون وداينميكية اجتماعية. بينما  
يدرس علم الاجتماع العسكري إثر العوامل الاجتماعية والحضارية في  
الحوادث العسكرية ويدرس في نفس الوقت نتائج الحوادث العسكرية على الفرد  
والجماعة والمجتمع.

٢- إن حقل علم الاجتماع اوسع بكثير من حقل علم الاجتماع العسكري حيث أن  
علم الاجتماع يدرس الحياة الاجتماعية برمتها، بينما علم الاجتماع العسكري  
يدرس العلاقة الجدلية بين المؤسسات العسكرية والمجتمع .

٣- إن حقل علم الاجتماع أقدم تاريخياً من حقل علم الاجتماع العسكري. فالحقل  
الاخير ظهر بعد تشابك الحياة الاجتماعية مع الحياة العسكرية وبعد زيادة

(١) Johnson, H. Sociology: A Systematic Introduction, London, Routledge and Kegan Paul, 1981, P. 2.

أهمية القوات المسلحة في الدفاع عن المجتمع وبعد تعقد المؤسسة العسكرية وتأثرها بطريقة أو أخرى بالحياة الاجتماعية (1).

٤- يعني علماء الاجتماع بدراسة أثر القيم والقواعد الاجتماعية في الروابط القائمة بين الوحدات الاجتماعية المختلفة التي يتكون منها البناء الاجتماعي. في حين يعني علماء الاجتماع العسكري بدراسة العلاقة المتفاعلة بين المجتمع والقوة العسكرية التي تدافع عنه أي بين البنى الوظيفية والمؤسسات العسكرية.

#### ب - علاقة علم الاجتماع بالعلوم العسكرية:

لا نستطيع فهم وإدراك طبيعة العلاقة المتفاعلة بين هذين العلمين دون معرفتنا لطبيعتهما ومنهجيتهما وأهدافهما ومجالتهما النظرية والتطبيقية ودون تشخيص الفوارق الجوهرية بينهما كعلمين مستقلين تربطهما روابط علمية ومنهجية ونظرية قوية ومتماسكة. فالعلوم العسكرية هي من العلوم الاجتماعية المهمة التي تهتم بدراسة أصول وبنى ووظائف وعقائد المؤسسات العسكرية وتتخصص بتحليل وفهم طبيعة الأحداث العسكرية وما تنطوي عليها من أسباب ومظاهر ونتائج قصيرة وبعيدة المدى.

أن العلوم العسكرية تتخصص بدراسة القوات المسلحة دراسة علمية تحليلية. ومثل هذه الدراسة تدور حول شرعية ودوافع مهام القتال والحرب التي تتناط بالقوات المسلحة، والخلفية الاجتماعية للمقاتلين وتمويل وتجهيز التشكيلات والوحدات المقاتلة بالمعدات والأجهزة الحربية التي تعتمد عليها في القتال. إضافة إلى الأساليب التكتيكية والاستراتيجية التي تنتهجها القوات المسلحة في الدفاع والهجوم. وأخيرا العقيدة أو المذهب العسكري الذي تؤمن به القوات والتشكيلات والذي يؤثر في أنشطتها وسلوكيتها وقدرتها على تحقيق أهدافها. ويسعى العالم العسكري النظري إلى تحليل

(1) Coates, C. et al. Military Sociology, Maryland: The Social Sciences Press, 1965.

ومقارنة النظم العسكرية في العالم وتقويم عوامل الصراع والتناقض بينها وأسباب التعاون والتكامل بينها. وهناك موضوع النظرية العسكرية الذي تهتم به العلوم العسكرية . وينصب اهتمام هذا الموضوع على دراسة الأساس الفكري والفلسفي للعقيدة العسكرية. وواجب العالم العسكري المتخصص في هذا الميدان الدراسي أن يجتهد في نقطتين أساسيتين هما عملية التعريف والتعميم والتصنيف الضرورية لصياغة المفاهيم التي يدور حولها الفكر العسكري. والثانية هي اكتشاف طبيعة النظم العسكرية ووظائفها وأغراضها وعلاقتها بالادبولوجية السياسية التي يتبناها النظام الاجتماعي. إضافة إلى الصيغ التكتيكية والاستراتيجية التي تعتمد عليها القوات المسلحة والتي تساعد على تحقيق أهدافها خلال فترات السلم والحرب (١).

أما حقل علم الاجتماع العسكري فيدور حول دراسة العوامل والمتغيرات الاجتماعية التي تكمن خلف الظواهر والاحداث العسكرية، وتشريح المؤسسات العسكرية تشريحا سسيولوجيا، والخلفية الاجتماعية والطبقية لآبناء القوات المسلحة، والاساس الاجتماعي للعقيدة العسكرية، والعلاقة بين القيادة السياسية والقوات المسلحة من جهة وبين الجماهير والقوات المسلحة من جهة أخرى. إضافة إلى اهتمامات علم الاجتماع العسكري بالتنظيمات الرسمية وغير الرسمية في القوات المسلحة ودراسة التحليل السسيولوجي لنسق السلطة العسكرية. وأخيرا دراسة المشكلات الاجتماعية والانسانية التي تواجه أبناء القوات المسلحة نتيجة لطبيعة المهام القتالية التي يتحملونها خصوصا خلال أوقات الحرب .

إن العلوم العسكرية تحتاج إلى اختصاص علم الاجتماع العسكري حاجة ماسة وذلك لقدرته على تزويدها بالحقائق والقوانين الاجتماعية التي تفسر السلوك العسكري تفسيراً عقلانياً وعلمياً ، وكفاءته على تخمين النتائج الاجتماعية التي

(١) د. باليت . اصول المعرفة العسكرية، مرجع مذكور سابقا، ص ٣٤ و١١٢.

تتمخض عن السلوك العسكري والاحداث العسكرية التي تأخذ مكانها في المجتمع. إضافة إلى مساعدة العلوم العسكرية على فهم المؤسسات العسكرية من خلال دراسة علاقتها بالمؤسسات البنيوية الاخرى التي تتفاعل معها في الحياة العملية. وأخيراً يلعب علم الاجتماع العسكري الدور الكبير في فهم وإدراك عملية التحول الحضاري والاجتماعي التي تمر بها المؤسسات العسكرية في المجتمع. فالعالم الاجتماعي العسكري يزود العالم العسكري بمعلومات قيمة عن قوانين التحول الاجتماعي للمؤسسات العسكرية وعن اسباب ونتائج تحول المؤسسات العسكرية وعلاقة تحول هذه المؤسسات بتحول المؤسسات الاخرى وهكذا .

أما أهمية العلوم العسكرية لعلم الاجتماع العسكري فلا تقل عن أهمية علم الاجتماع العسكري للعلوم العسكرية . فالعلوم العسكرية تزود العالم الاجتماعي بمعلومات مفصلة ومسهبه عن المؤسسات والنظم العسكرية من حيث أصولها التكوينية وبنائها ووظائفها ونظمها وتطورها، وتزوده بحقائق وبيانات مهمة عن الظواهر العسكرية المختلفة كالتعبئة العسكرية وإعلان النفير العام والحروب والقيادة العسكرية والاهداف العسكرية والتكتيك العسكري والسوق العسكري والمناورة بالقطعات والدفاع والهجوم والانسحاب والهدنة العسكرية . . الخ. وأخيراً تزوده بمعلومات وتفصيلات نظرية ووصفية عن الاحداث العسكرية التي تقع في المجتمع كالاتفاقيات والمعاهدات العسكرية، والنصر العسكري والفشل العسكري، والصراعات العسكرية الباردة والساخنة بين الدول والاحلاف السياسية والعسكرية . . الخ . ومثل هذه المعلومات يستفيد منها العالم الاجتماعي العسكري فائدة كاملة في دراسته للسلوك العسكري والاحداث العسكرية دراسة سسيولوجية لا تكتفي بفحص ماهيتها وجوانبها العسكرية فقط بل تذهب إلى العوامل المجتمعية المختلفة التي تؤثر فيها وتعطيها صفاتها المستقرة وطابعها المميز . كما تتجسد الوظائف التي تقدمها العلوم العسكرية لعلم الاجتماع العسكري بالمصطلحات العلمية التي تستعملها العلوم العسكرية والتي



استعار العالم الاجتماعي العسكري الكثير منها. واستعملها في بناء فرضياته وصياغة قوانينه وأحكامه العلمية. ومن هذه المصطلحات القوة العسكرية، والصفوة العسكرية، النسق العسكري، المحور العسكري، السلطة العسكرية، المواقف العسكرية، العلاقة المدنية العسكرية، الأهداف التكتيكية والاستراتيجية، الفرق والتشكيلات العسكرية، الخ. إضافة إلى اعتماد العالم الاجتماعي العسكري على العلوم العسكرية من ناحية الطرق المنهجية التي تستعملها الأخيرة. ومثل هذه الطرق تلعب الدور المؤثر في زيادة وتراكم فرضيات ونظريات علم الاجتماع العسكري وتقود إلى نموه وتطوره واتساع مادته العلمية.

أما الفروق الموضوعية بين العلوم العسكرية وعلم الاجتماع العسكري فيمكن تلخيصها بالنقاط الجوهرية التالية:

- ١- تتخصص العلوم العسكرية بدراسة السلوك العسكري والمؤسسات العسكرية والظواهر والاحداث العسكرية التي تقع في المجتمع بينما يتخصص علم الاجتماع العسكري بدراسة الاسباب والنتائج الاجتماعية التي تتمخض عن السلوك العسكري.
- ٢- إن حقل العلوم العسكرية أوسع بكثير من حقل علم الاجتماع العسكري. فالعلوم العسكرية تتخصص بدراسة جميع المؤسسات العسكرية دراسة عامة وشمولية، في حين يتخصص علم الاجتماع العسكري بدراسة الحقائق والمتغيرات الاجتماعية التي تقف خلف السلوك العسكري.
- ٣- إن حقل العلوم العسكرية أقدم تاريخياً من حقل علم الاجتماع العسكري. فقد نشأ علم الاجتماع العسكري بعد تعقد وتشعب أجهزة وميادين القوات المسلحة وزيادة وظائفها وتضخم مسؤولياتها، وبعد تفرع علم الاجتماع إلى حقول دراسية أخصائية تهتم بدراسة وبحث الجوانب المختلفة للمجتمع دراسة عميقة وشاملة. أما العلوم العسكرية فقد ظهرت منذ القدم وقد صاحب ظهورها نشوء الدولة والمجتمع والماكنة الادارية والسياسية والدفاعية والأمنية التي تتحمل

مسؤولية حكم المجتمع وتنظيم شؤونه والدفاع عن حرمة أراضيه ومقدساته وأمنه واستقراره.

٤- إن العلم العسكري وعلم الاجتماع العسكري يدرسان نفس الظواهر الاجتماعية، غير أن إطار بحث كل منهما يختلف عن الآخر فموضوعهما المشترك هو الاحداث العسكرية. بيد أن العلم العسكري يدرسها في إطار القوات المسلحة بينما يدرسها علم الاجتماع العسكري في إطار النظم العسكرية كنظم مهمة في البناء الاجتماعي.

#### ج - مشكلات علم الاجتماع العسكري:

علم الاجتماع العسكري كغيره من فروع وتخصصات علم الاجتماع كعلم الاجتماع السياسي وعلم الاجتماع الصناعي وعلم اجتماع العمل والفراغ وعلم اجتماع العائلة وعلم الاجتماع الحضري وعلم اجتماع المعرفة يعاني من عدة مشكلات أكاديمية ومنهجية. ومثل هذه المشكلات تعيق برامجه العلمية وتمنع نضوجه وتطوره وتضعف منزلته العلمية وتؤدي إلى عدم قابليته على حل المشكلات والتناقضات الانسانية التي تعاني منها القوات المسلحة في المجتمع . لهذا ينبغي في هذا المبحث تحديد ماهية هذه المشكلات التي يعاني منها علم الاجتماع العسكري كعلم فتي وناهض لكي يمكن معالجتها والتصدي لاثارها السلبية. ومن أهم المشكلات التي تواجه علم الاجتماع العسكري ما يلي:

١- تعتمد علماء الاجتماع في الماضي عدم دراسة المؤسسات العسكرية دراسة موضوعية وتحليلية نظراً لحساسية هذه المؤسسات وسرية حركتها وأعمالها والفنون القتالية التي تعتمدها والظروف الاجتماعية والاقتصادية لأفرادها<sup>(١)</sup>.

(١) Doorn, J.V. Armed Forces and Society: Sociological Essays,P. 17.

٢- رفض المؤسسات العسكرية تقديم أية معلومات عن حجمها ونظمها وأعرافها وتسليحها وفنون تدريباتها وعقيدتها القتالية ومشكلات منتسبيها وعلاقتها بالدولة إلى أية جهة كانت. مع عدم سماح هذه المؤسسات للباحثين والمختصين الاجتماعيين بالدخول إليها بغية دراستها وفرز مشكلاتها وتحديد صيغ علاقتها بالمؤسسات الأخرى .

٣- تشكيك القادة والمسؤولين العسكريين بدور وأهمية علم الاجتماع في دراسة القوات المسلحة (١) . نظرا لعدم معرفتهم ما يستطيع هذا العلم أن يؤديه في تحليل واستيعاب طبيعة ومشكلات الجماعة العسكرية كالحظيرة والفصيل والسرية والفوج واللواء خصوصا وأن علم الاجتماع هو علم دراسة الجماعات الاجتماعية .

٤- ابتعاد علماء الاجتماع عن دراسة وتحليل المؤسسات العسكرية وما تنطوي عليه من تدريب وتسليح وقتال ميداني ودفاع وهجوم واحتلال وانسحاب... الخ وذلك لاعتقادهم بأنهم مسالمون وإنسانيون ، وهدفهم هو التعاون والمحبة والاخوة بين أبناء الجنس البشري وليس الحرب والدمار والضغينة والكراهية بين الاقوام والشعوب (٢) .

٥- قلة الخبراء والمتخصصين والباحثين في علم الاجتماع العسكري نتيجة لصعوبة الموضوع وتعقده العلمي، وطول فترة الدراسة والتدريب في اختصاصه مع قلة الحوافز المادية والمعنوية التي تقدم لخبرائه ورجاله وأساتذته. إضافة إلى عدم رغبة علماء الاجتماع في التخصص بالمواضيع العسكرية وعدم رغبة المؤسسات العسكرية بالاستفادة من اختصاص علم الاجتماع نتيجة عدم معرفة هذه المؤسسات الدور الذي يؤديه علم الاجتماع في تطور عملها وزيادة كفاءتها .

(١) Ibid.,P. 20.

(٢) Andreskie, Stanlaw. Organization and Society, London, Routledge and Kegan Paul, 1992,P. 1.

- 
- 
- ٦- تعقيد: وعدم وضوح الحدود العلمية والاكاديمية التي تفصل بين علم الاجتماع العسكري والعلوم العسكرية من جهة، وبين علم الاجتماع العسكري وعلم الاجتماع من جهة أخرى. فالعلم العسكري وعلم الاجتماع يبحثان نفس الموضوعات التي يبحثها علم الاجتماع العسكري ويختص بها على الرغم من وجود الفوارق الاكاديمية والعلمية الواضحة بينهما.
- ٧- حساسية المواضيع التي يدرسها علم الاجتماع العسكري لا تساعد العالم أو المتخصص على بحثها وتحليلها بصورة حيادية وإيجابية ولا تمكنه من جمع المادة الأساسية التي تفسر الظواهر والحقائق التي يهتم بها العلم.
- ٨- عدم بلورة وفاعلية الطرق المنجية التي يستعملها علم الاجتماع العسكري في جمع مادته وحقائقه مع عدم استطاعة معظم هذه الطرق كشف حقيقة الظواهر الاجتماعية والعسكرية التي يهتم بها الموضوع وتعرية العوامل والمتغيرات التي تؤثر فيها وتعطيها خصائصها الموضوعية الثابتة .

## الفصل الخامس

### طرق البحث الاجتماعي في القوات المسلحة

لا يستطيع علم الاجتماع العسكري، الذي تعتمد عليه أغلب الجيوش المتقدمة في العالم في إداء انشطتها ورسم سياساتها ومواجهة مشكلاتها وزيادة كفاءاتها التعبوية والقتالية، جمع مادته العلمية وتصنيف بياناته الميدانية وصياغة فروضه ونظرياته وقوانينه الشمولية التي تصف وتحلل الظواهر والاحداث العسكرية تحليلا سسيولوجيا علميا عقلانيا دون استعماله مجموعة من الطرق المنهجية التي تتلاءم مع طبيعة مواضيعه الدراسية ودرجة نضجه الاكاديمي وأهدافه العلمية. والطرق المنهجية التي يعتمدها علم الاجتماع العسكري في ابحاثه ودراساته النظرية والميدانية لا تختلف كثيرا عن الطرق المنهجية التي تعتمد عليها العلوم الاجتماعية الاخرى كالاقتصاد وعلم النفس والانثروبولوجيا والتاريخ أو تعتمد عليها العلوم التي انفصلت عن علم الاجتماع مؤخرا كعلم اجتماع المعرفة وعلم اجتماع القانون وعلم اجتماع الفراغ وعلم اجتماع التربية... الخ.

إن العالم الاجتماعي العسكري. أو الباحث الاجتماعي الذي يعمل في القوات المسلحة قد يستعمل طريقتين أو أكثر من طرق البحث الاجتماعي عند دراسته لأي موضوع من مواضيع علم الاجتماع العسكري " كالمهام التعبوية والتربوية للقوات المسلحة" أو " العلاقات الإنسانية بين الضباط والجنود" أو " أثر الخدمة العسكرية في وحدة وتماسك أسر العسكريين" أو " الآثار الاجتماعية للحرب طويلة الأمد على المجتمع البشري" ... الخ. واستعماله لطريقة من الطرق دون الطريقة الاخرى يعتمد على طبيعة وحدود واهداف البحث الذي يزمع القيام به، كما يعتمد على تفرسه

بطريقة بحث معينة دون الطريقة الاخرى. والباحث العسكري قبل دراسته وبحثه للموضوع هو الذي يختار طريقة البحث الملائمة ويستثمرها في جمع المعلومات وتحليل البيانات وكتابة الدراسة برمتها.

يستعمل علم الاجتماع العسكري ثلاث طرق منهجية في جمعه وتصنيفه وتحليله وصياغته للمعلومات والافكار التي تتعلق باختصاصه العلمي. وهذه الطرق هي :

١- الطريقة التاريخية Historical Method .

٢- طريقة المقارنة Comparative Method .

٣- طريقة المسح الميداني Field Survey Method .

والآن نود شرح هذه الطرق المنهجية بالتفصيل موضحين أساليبها الدراسية وكيفية دراستها للموضوع وفعاليتها في جمع وتحليل المعلومات .

أ- الطريقة التاريخية :

تفترض هذه الطريقة بأن العالم الاجتماعي العسكري لا يستطيع دراسة وفهم وتحليل النظم العسكرية والسلوك العسكري والاحداث العسكرية التي تقع في المجتمع خلال الفترة الحاضرة دون دراستها دراسة تاريخية مفصلة طالما أن النظم والاحداث العسكرية المعاصرة ما هي إلا وليدة التحولات التاريخية التي طرأت عليها فغيرتها وجعلتها تتميز بصفاتنا الحاضرة التي نشعر بها (1) . كما أن دراستنا لماضي وحاضر النظام العسكري ستساعدنا على التنبؤ بطبيعته المستقبلية (2) . وهنا نستطيع أن نشق قوانين شمولية عن طبيعة النظام العسكري لها القدرة على تفسير أنشطته وحكم فعاليات أفراده وجماعاته وتحديد مسيرته التحولية وأثرها في خدمة بقية مؤسسات المجتمع .

(١) الحسن، د.احسان محمد. علم الاجتماع: دراسة نظامية ، بغداد، مطبعة الجامعة، ١٩٧٦، ص ١٢٠.

(٢) ابن خلدون، المقدمة، بيروت، دار القلم، ١٩٧٨، ص ٩-١٢.

إن لكل نظام عسكري تاريخه الخاص وأن النظم تخضع لنمو وتطور مستمر عبر الزمان، وبدون المعرفة الحقة بأصول وتطور النظم العسكرية والاجتماعية فإننا لا نعرف طبيعة هذه النظم ثم بالتالي لا تكون لدينا دراسة شاملة للجماعات والتشكيلات العسكرية والعقيدة القتالية التي تؤمن بها. والمنهج التاريخي قديم قدم كتابات أرسطو الذي اعتقد بأن فهم أي شيء يتطلب فحص بداياته الأولى وتطوراتها اللاحقة<sup>(1)</sup>. فالمنهج التاريخي يسعى إلى تفسير النظم المختلفة في وجودها الواقعي واتجاهاتها ويزودنا بمعرفة متكاملة عنها حول أصولها وتطوراتها المتوقعة<sup>(2)</sup>. لذا فالمنهج التاريخي يمدنا بإحساس تاريخي ومنظور تطوري. فالأحداث ليست منعزلة أو مستقلة بعضها عن بعض ولكنها مترابطة في سياق زمني محدد. في هذا الصدد علينا أن نقتفي المراحل التاريخية التي مرت بها الجيوش في العالم لكي نفهم طبيعة الجيش في الوقت الحاضر وندرك أهمية المسؤوليات التي يضطلع بها وعلاقته بالمجتمع الذي يدافع عنه. وإذا فهمنا ماضي الجيوش وحاضرها فإننا من خلال الطريقة التاريخية نستطيع التنبؤ بمستقبل الجيوش وما تستطيع أن تقوم به من مهام ومسؤوليات للمجتمعات.

لقد مرت الجيوش العالمية التي هي مؤسسات عسكرية اجتماعية لها أهميتها الدفاعية والامنية في ست مراحل تاريخية مهمة هي :

١- التشكيلات القتالية القبالية للجرمانيين القدماء التي كانت تهدف إلى القيام بغزوات وحروب من أجل احتلال الجزية وفض الغنائم وكسب المال<sup>(3)</sup> وتتكون هذه التشكيلات القتالية من رجال أحرار مسلحين بالهراوات والسيوف والرماح، وبعضهم كان يستعمل السفن في القتال واحتلال السواحل وتهديد

(١) Tomlin, E. The Great Philosophers of the World, London, Hutchinson House, 1949, P. 82.

(٢) محمد حسن، د. عبد الباسط. أصول البحث الاجتماعي، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٧١، ص ٤٠٤.

(٣) Gerth, H. and C. Wright Mills. Character and Social Structure, Op.Cit., P. 223.

القاطنين فيها. أما استراتيجية المقاتلين فهي الهجوم والغزو السريع الذي كان يستعمل أسلوب الحصار والتطويق والانقضاض على الاهداف المرسومة. وقد استعملت الخيالة والمشاة المجهزين بالاسلحة القاذفة كالرماح والاسهم في احتلال الاهداف والتعرض للعدو .

٢- الجيوش الكنسية للامبراطورية الرومانية الشرقية التي تتكون من مقاتلين عبيد تمنحهم الكنيسة حق القتال والدفاع عنها وعن ممتلكاتها ومبادئها ورعاياها (١). وهذه الجيوش تنظم في تشكيلات وفرق قتالية يمولها الامراء والكهنة الكبار والاسياد ويجهزونها بالمعدات ولوازم القتال والمؤن والملابس. وقادة وضباط هذه التشكيلات والفرق كانوا يختارون من بين المخلصين والمتفانين في خدمة الكنيسة والامراء وأصحاب الاراضي من الاقطاعيين والمتنفذين . وغالبا ما تكون هذه الفرق القتالية مترجلة وتستعمل السيوف والرماح والمنجنيقات في القتال. أما هدف هذه الفرق العسكرية فهو تدمير العدو من خلال مواجهته مواجهة مباشرة .

٣- فرسان الغرب الاقطاعيين المتمرسين بمهنة القتال. إن اختيار هؤلاء الفرسان لمهنة القتال يتأتى من عدة مصادر أهمها شجاعتهم وتشجيعهم من قبل الكنيسة على الدفاع عنها ورغبتهم في نيل الشرف العسكري وإخلاصهم لسيد الارض او الامير وحبهم لروح المجازفة والتحدي وحبهم لاحتلال المزيد من الاراضي التي ترفع من عظمة ومجد الكنيسة (٢) . أما التكتيك القتالي الذي يعتمده الفارس فهو ركوب الحصان واستعمال السيف والرمح والدرع في قتال الاعداء الذين يتحدونه ويهددون أمن وسلامة الكنيسة ومصالح الامير أو صاحب الارض الذي يعمل الفارس لمصلحته .

(١) Ibid., P. 224.

(٢) Ibid., P. 225.



٤- جيش أوليفر كرمويل الذي ينحدر من الطبقة الدينية العليا وترتكز شرعيته على عامل ديني. والمقاتل في هذا الجيش إما يجهز نفسه بمعدات ولوازم القتال أو يعتمد على البرلمان الذي يقوم بتجهيز كافة المقاتلين بالمعدات والمؤن والملابس مجاناً. والانخراط في صفوف هذا الجيش كان يعتمد على العامل الديني الذي يحفز المقاتلين على الدفاع عن الكنيسة ومبادئها الدينية المقدسة. وينظم هذا الجيش بشكل وحدات تتكون من مقاتلين يختلفون بعضهم عن بعض بالرتب العسكرية التي يحملونها والوحدات القتالية تجهز بمسدسات وأسهم ورماح وتعتمد في القتال أسلوب المواجهة الخطية الذي يمكن المقاتلين من الهجوم على العدو بشكل خطوط أفقية (تنظيم النسق) وتدميره تدميراً كاملاً.

٥- الجيوش المتعاقدة مع الامراء ومجالس المدن<sup>(١)</sup>. وتتكون هذه الجيوش نتيجة للعقود التي يوقعها المقاتلون مع الامراء وأسياد الاراضي والكهنة الكبار. ويمكن لقادة الجيش استخدام الجنود المرتزقة الذين يسارعون إلى الانتماء للجيش رغبة في الربح السريع وكسب الغنائم والتمتع بالنساء. ويستعمل المقاتلون المرتزقة السيوف والبنادق والمدافع في العمليات العسكرية التي يقومون بها. واستراتيجية جيش المرتزقة تتلخص في إنهاك وتفثيت قوة العدو وقطع الامدادات والمؤن عنها واستنزافها لكي يمكن بعد ذلك إبادة أبادتها كاملة ومن ثم قهر العدو والهيمنة على ممتلكاته وضم أراضيه إلى اراضي جيش المرتزقة .

٦- الجيوش الحديثة التي تكونها الدول المستقلة للحفاظ على أراضيها وسيادتها وأمنها واستقرارها والتي ينتمي اليها الافراد بسبب الشعور القومي وروح المواطنة والدفاع عن الوطن<sup>(٢)</sup>. ويلزم الجنود على احترام وطاعة الضباط

(١) Ibid., P. 228.

(٢) Ibid., P. 229.

والامراء والقادة وذلك حفاظا على وحدة وتماسك الجيش وانضباطه وسلامة مسيرته. أما أساس الانضباط والطاعة والولاء في الجيش فيعتمد على الاخلاص للوطن والرغبة في تحقيق أهدافه والحفاظ على سلامته. وفي حالة حدوث التمرد والعصيان في الجيش فإن الافراد المسؤولين عن هذا الامر يعاقبون بالطرد أو التجميد وسحب كافة الحقوق والامتيازات أو يعاقبون بالموت إذا اقتضت الظروف. والانخراط في صفوف الجيش الحديث يكون إلزاميا ، فجميع المواطنين الصالحين للخدمة العسكرية يساقون للانتماء إلى الجيش للتدريب والخدمة خلال فترة محددة .

وينظم الجيش الوطني بموجب مبادئ البيروقراطية المعتمدة على التدرج الهرمي للمراكز العسكرية وما تتطوي عليه هذه المراكز من واجبات وحقوق إجتماعية يعينها القانون العسكري. أما التسليح في الجيوش الحديثة فقد تطور تأريخيا من استعمال البنادق والقنابل اليدوية إلى استعمال المدافع والدروع والعجلات والطائرات الحديثة والسفن الحربية وحاملات الطائرات. كما أدخلت الجيوش المعاصرة أساليب الحروب الكيماوية والاشعاعية والذرية في مواجهة الاعداء والتصدي لطموحاتهم التوسعية وأطماعهم الاقليمية. أما التكتيك العسكري الذي تعتمده الجيوش الحديثة فبفتاوت بين تكتيك الحرب الهندية الذي يعتمد البندقية والقنبلة والسرية الخاطفة في الهجوم والانسحاب، وتكتيك المركز. واخيرا للحروب الحديثة أهداف استراتيجية تتلخص بإنهاك العدو وتدميره وبالتالي احتلال أراضيه وفرض القيود والشروط عليه .

هكذا يمكن الاعتماد على الطريقة التاريخية في دراسة النظم العسكرية كالجيوش مثلا واقتفاء التطورات التاريخية التي تطرأ عليها فتبدل خصائصها القتالية والاجتماعية من طور إلى طور آخر ينسجم مع طبيعة الظروف الحضارية والسياسية والتكنولوجية التي تشهدها المجتمعات. ونستطيع هنا اقتفاء التطورات التاريخية التي طرأت على تكتيك الحرب أي الطريقة التي من خلالها تشن الحرب وتنفذ صيغها

العنقية. والطريقة التاريخية تساعدنا في متابعة أهم التغييرات التي طرأت على تكتيك الحرب وفنونها ابتداء من فترة القرون الوسطى ومرورا بالحروب النابليونية وانتهاء بالحروب العالمية الحديثة كالحرب العالمية الثانية . . .

ينظر للحرب من مدخلين رئيسيين هما المدخل التكتيكي والمدخل الاستراتيجي. وعرف التكتيك بأنه استخدام القوات العسكرية في المعركة (1) . بينما عرفت الاستراتيجية بأنها جملة المعارك التي يخوضها الجيش والتي تحقق هدف الحرب (2) . وقد أشار هاملي إلى أن مسرح الحرب هو مجال الاستراتيجية بينما ميدان المعركة هو مجال التكتيك. كما قال فون دير جولتز بأننا نسمي الاستراتيجية علم القيادة بينما نسمي التكتيك علم استخدام القوات، وأضاف بأن الاستراتيجية إنما هي قاعدة تختص بالتدابير التي تستخدم في تحريك القوات إلى الجبهة الحاسمة في أكثر الظروف ملائمة، بينما يختص التكتيك بما يحدث في الاشتباك نفسه. بعيد تعريف كل من التكتيك والاستراتيجية المتعلقة بالحرب نستطيع توضيح التغييرات التاريخية التي طرأت على تكتيك الحروب .

منذ الفجر المبكر للتاريخ وأسلحة الحرب تنقسم إلى فئتين أساسيتين هما: أسلحة الصدمة كالسيف والرمح وهي تستخدم من مسافة قريبة، والقذائف مثل السهم والطلقة (الرصاص) والقنبلة وهي التي تعمل على تدمير العدو من بعد. وبصورة عامة إن أسلحة الصدمة تعتبر الاداة الأكثر حسما لأنها تستعمل بصفة شخصية ومن مسافة قريبة. ولكنها في نفس الوقت تفتقر إلى المرونة في الاشتباك لان استخدامها صعبة نهائية حاسمة لا بد أن تنتهي بالنصر أو الهزيمة. ففي الهجوم بواسطة المشاة مثلا أنه ما أن تلتحم القوات المهاجمة بالقوات المدافعة حتى يتحتم هزيمة إحداهما والاحتمال ضئيل في أن يتمكن أحد الطرفين من أن ينقذ الموقف بالتخلص من القتال وإعادة التخطيط لاشتباك آخر .

(1) باليت . أصول المعرفة العسكرية، مصدر مذكور سابقا، ص ٣٤.

(2) المصدر السابق، ص ٣٥.

وفي مقابل ذلك فإن استخدام القذائف يوفر المرونة للقائد بعد دفع القوات للاشتباك. ذلك لأن هذه الأسلحة تستخدم على الأقل لفترة زمنية واحدة. وبذا يمكن فض اشتباك القوات الرئيسية وإعادة تجميعها ثم إعادة دفعها للاشتباك بصرف النظر عن تأثير القذائف . ومع ذلك فهذه الأسلحة ليس لها ما لاسلحة الصدمة من قدرة على الحسم (1) .

لقد بني الكثير من التطور التكتيكي في العصور القديمة من الحرب على أساس مدى تغلب واحدة من فئتي الأسلحة على الأخرى. وكان أسلوب الموقعة في الأشكال القديمة من الحرب ينحصر في تكتيكات الصدمة، ثم بدأت القذائف في التطور، ولكن على اعتبار أنها عنصر مساعد لاسلحة الصدمة أكثر منها أدوات مستقلة. وعندما أصبحت اليوم أسلحة الحرب مدمرة ورهيبة اتجه الكثيرون إلى تفسير التكتيك بأسلوب قوة السلاح فقط. إنه موقف يمكن إدراكه لأن الطبيعة الحاسمة للتسليح الحديث قد أذهلت القادة في الميدان . ولكنه مع ذلك موقف خاطيء لأن الاقتصار في الاعتماد على قوة الأسلحة وتفوقها يحرم القائد من التعبير الكامل عن فنه ومهارته .

يجب أن نؤكد منذ البداية أن الترسانة الفكرية للقائد (أي التكتيك) تتألف من عنصرين أساسيين متساويين في الأهمية هما قوة الأسلحة والمهارة في بقاء هذه الأسلحة متحركة أثناء المعركة. وهذه الحركة هي مبعث الديناميكية أو القوة الدافعة في الميدان . ولهذا السبب نصف التكتيك بأنه فن النيران والحركة (2) . ويغيب هذا المفهوم عن العديد من قادة الجيوش حتى أنهم خاضوا معظم المواقع وهم وقوف على قدم واحدة. إذ اعتبروا أن قوة النيران هي العنصر الوحيد السائد والحاسم في التكتيك. وهناك بلا شك مواقع أحرز فيها النصر أساسا بفضل تفوق السلاح مثل موقعة العلمين التي خاضها مونتغمري في شمال إفريقيا إبان الحرب العالمية الثانية. ولكن

(1) المصدر السابق، ص ٤٧ .

(2) المصدر السابق، ص ٤٨ .

الإعتماد الزائد على هذا العنصر وحده يحد من قدرة التكتيك ويثبطه. لذا يجب الإعتماد على الحركة والمناورة بالقطاعات وعلى القوة النارية في آن واحد. إذن الحركة عند دراستنا للتكتيك يجب اعتبارها شريكا متساويا مع قوة النيران .

وبعد فترات زمنية تطور مفهوم التكتيك القتالي فأخذ لا يعتمد على القوة النارية وحركة القطاعات فحسب ، بل يعتمد أيضا على التشكيلات المناسبة التي تتخذها القطاعات في الميدان بحيث تمكنها من استعمال أسلحتها ومعداتنا على أنسب وجه. هناك ثلاث تشكيلات أساسية سواء كانت القوات التي تقوم بالقتال تتكون من عشرة أفراد أم من عشرة آلاف فرد، وسواء كانوا مسلحين ببنادق البارود القديمة أم بالصواريخ المضادة للدبابات . وهذه التشكيلات الأساسية هي تشكيل النسق وتشكيل الرتل وتشكيل المربع. وكافة التشكيلات الأخرى ما هي إلا مشتقات منها. إن تشكيل النسق يعطي أقصى تركيز (حشد) لقوة الأسلحة في لحظة الاشتباك ولكنه يفتقر إلى العمق والمرونة. أما تشكيل الرتل فيوفر القدرة على المناورة والعمق ولكنه يفتقر إلى المواجهة وتأمين الأجناب. أما التشكيل المربع فيجمع بين العمق وأمن الأجناب ويوفر تركيزا معقولا، ولكن قدرته على المناورة أقل. غير أنه يستخدم عادة في التكتيك الدفاعي سواء في مربعات الفرق عند نابليون أو في المفهوم الحديث للمحلات الدفاعية ذات الشكل الدائري .

وبعد فترة من الزمن تطور التكتيك فأخذ يعتمد على طبيعة وشكل الأرض في ميدان القتال بالاشتراك مع الأسلحة وتشكيلات القوات . ومن الجدير بالملاحظة أنه لفترة طويلة من التاريخ لم يضع الاستخدام التكتيكي الأرض في حسابه ولم تصبح الأرض عاملا رئيسيا في استخدام الجيوش في ميدان القتال إلا عند مجيء القائد البريطاني مارلبورو الذي حارب في غرب ووسط أوروبا واعتمد على عامل الأرض

كعامل تكتيكي في القتال يضاف إلى عوامل القوة النارية وسرعة الحركة وطبيعة التشكيل المقاتل (1).

أذن تطور مفهوم التكتيك القتالي في الحرب عبر العصور. فقد كان يعني طبيعة الاسلحة والقوة النارية المستخدمة في القتال، وبعدها أخذ يعتمد على سرعة حركة القطعات في مجابهة العدو. وبعد فترة من الزمن أخذ التكتيك الحربي يعني طبيعة التشكيلات المستخدمة في القتال. وأخيرا دخلت طبيعة الارض التي تقاتل عليها القطعات كمتغير آخر من متغيرات التكتيك الحربي .

ب - طريقة المقارنة :

وهي الطريقة التي يستعملها العالم اجتماعي العسكري في جمع معلومات وصفية وتحليلية حول نظم عسكرية مختلفة ومتباينة من ناحية درجة تقدمها التعبوي وطبيعة الاسلحة التي تستعملها وماهية العقيدة العسكرية التي تعتمد عليها. وهذه النظم العسكرية قد تكون متباينة الواحدة عن الاخرى ومعرضة لظروف وعوامل بيئية تجعلها مختلفة في مستواها التدريبي والتكتيكي وقدرتها القتالية وقابليتها على تحقيق أهدافها الاستراتيجية. وبعد جمع مثل هذه المعلومات عن النظم العسكرية المختلفة يقوم العالم الاجتماعي العسكري بمقارنتها ثم استخراج القوانين العامة منها، هذه القوانين التي تستند إلى أدلة وبراهين إحصائية وعلمية لها أهميتها في تفسير طبيعة هذه النظم العسكرية (2). ولهذه القوانين الفضل الكبير في تحديد طبيعة السلوك العسكري والنظم العسكرية والعلاقة المتفاعلة بين القوات المسلحة والمجتمع. إضافة إلى قدرة هذه القوانين على تنبؤ الحوادث والظواهر العسكرية التي تأخذ مكانها في المجتمع .

(1) المصدر السابق، ص ٥٠.

(2) Mill, J.S. The Scientific Method, London, 1979, See the Introduction.

وكما ذكرنا سابقا فإن القيادة العسكرية تكوّن على أنماط مختلفة كالقيادة العسكرية الديكتاتورية والقيادة العسكرية الديمقراطية والقيادة العسكرية الكرزمانية<sup>(1)</sup>. وكل من هذه الأنماط من القيادات العسكرية قد يكون موجودا في مجتمع وغير موجود في المجتمع الآخر. فالقيادة العسكرية الديكتاتورية كانت شائعة في الجيش الألماني النازي خلال عهد هتلر والقيادة العسكرية الكرزمانية كانت تمثل في قيادة هتلر للجيش الألماني وقيادة ستالين للجيش السوفيتي وقيادة موسوليني للجيش الإيطالي أبان الحرب العالمية الثانية. والقيادة العسكرية الديمقراطية كانت تتمثل مثلا في قيادة تيتو لجيش التحرير اليوغسلافي وقيادة مونتيغمري لقوات الحلفاء في الهجوم المعاكس الذي شنوه على القوات النازية في الجبهة الغربية عام ١٩٤٤. ومن الجدير بالإشارة إليه أن طريقة المقارنة تدرس صفات ووظائف وخصوصيات هذه الأنماط المختلفة من القيادات التي توجد في مناطق مختلفة من العالم. وبعد دراستها هذه تقارن بين هذه الأنماط من القيادات ثم تستخرج القوانين التي تفسر طبيعة هذه الأنماط من القيادات وتوضح فوائدها ومضارها للجيوش التي تعتمد عليها.

ويمكننا اعتماد طريقة المقارنة في دراسة استراتيجيات الحرب دراسة مقارنة تتوخى فهم واستيعاب طبيعتها والمقارنة بينها واستخراج قوانين شمولية تفسر أهميتها في الوصول إلى الأهداف العسكرية العليا. واستراتيجية الحرب التي تعتمد عليها الدولة تعتمد على ظروفها الجغرافية والبشرية والاقتصادية والسياسية. كما تعتمد على أدبيولوجيتها وقوتها العسكرية والدول المتحالفة معها. فالإتحاد السوفيتي له استراتيجية حرب تختلف عن تلك التي تعتمد عليها بريطانيا. والاستراتيجية العسكرية البريطانية تختلف عن الاستراتيجية العسكرية الأمريكية. والاختلاف في الاستراتيجيات العسكرية لهذه الدول كما وضحا يعتمد على ظروف وخصوصيات كل دولة على أفراد.

(١) الحسن، د. احسان محمد. علم الاجتماع السياسي، مطبعة جامعة الموصل، ١٩٨٤، ص ٢١٥.

ففي الاتحاد السوفيتي مثلا حيث تشمل متطلبات الاستراتيجية الخواص المميزة لاراضي أوراسيا الشاسعة، أي المساحات الواسعة والمسافات الطويلة والمجتمعات غير المتجانسة والموارد البشرية الضخمة فإن الاستراتيجية التقليدية تعبر عن نفسها بأشكال وأوضاع تختلف اختلافا ملحوظا عن الشكل النابليوني او القاري. فقد بنيت مفاهيم الحرب منذ ايام كوتوزوف وحتى حملات ستالين ضد هتلر على أساس العمق والكتلة (1) ، وبالكتلة يقصد حجم القوات المستخدمة في القتال، لا على أساس الدفاعات الثابتة أو المناورة الموضوعية. فمثلا كان مفهوم الاستراتيجية العسكرية السوفيتية يقتضي أن يكون الدفاع قادرا على امتصاص رأس حربة الهجوم بدلا من إعداد خط دفاعي جامد، أما في الهجوم فقد نادى هذا المفهوم باكتساح مراكز المقاومة بواسطة ثقل الكتلة بدلا من القيام بالاختراق بواسطة النفاذ من حيز ضيق على نمط الهجوم الخاطف . وبمعنى آخر فإن الاستراتيجية السوفيتية التقليدية تحسب امكانيات الدفاع كمحصلة للمقاومة مضروبة في العمق والمسافة، والهجوم على أساس القوة الدافعة أي الكتلة مضروبة في سرعة التحرك بدلا من حشد القوات. هذه هي التقاليد السوفيتية الخاصة بالكتلة والعمق والمسافة، وهو نمط متميز من الاستراتيجية كان ملموسا في المواقع الحربية بالجبهة الشرقية.

أما البريطانيون الذين نشئوا على تقاليد الخبرة البحرية وكانوا ملتزمين بميزات تركتها لهم امبراطورية اتسعت على نطاق عالمي وكذلك بنقص مزمن في القوة البشرية والموارد القومية فقد قاموا بوضع استراتيجتهم العسكرية على أساس الاقتصاد في المجهود (2). وأفضل طريقة لتحقيق ذلك هي أن يوزعوا بعناية وعلى اتساع العالم قوتهم ومواردهم على أغراض أساسية ومكملة الواحدة للآخرى. وكان ذلك هو المفهوم الجزري أو البحري للاستراتيجية كنقيض للتقاليد القارية أو تقاليد الكتلة والعمق. عندما سقطت فرنسا وأصبحت بريطانيا ودول الكومنولث تقف وحدها ضد العدوان الالمانى

(1) باليت، أصول المعرفة العسكرية، ص ١١٢.

(٢) المصدر السابق، ص ١١٣.



ثم الياباني فيما بعد عبر مفهوم الاستراتيجية البحرية عن نفسه تعبيراً كاملاً تحت رعاية تشرشل. وكان هذا هو الحل العسكري الذي ظل في جعبة الامبراطورية لاكثر من ثلاثمائة عام وكان تشرشل هو القائد الذي بعث الحياة في تقاليد الماضي وسخرها بنجاح لخدمة الحظر.

وشهدت السنوات الاولى من الحرب العالمية الثانية تحقيق الاستراتيجية البحرية البريطانية وذلك بنجاحها في إحباط المطامع التوسعية الالمانية . ففي تلك الظروف العصيبة لم يكن هناك غير العناية بتوزيع الموارد الهزيلة حول محيط دائرة العدوان الالمانى في الجزر البريطانية وفي شمال إفريقيا وفي العراق وايران لكي تستطيع احتواء التفوق المذهل للقوة العسكرية الالمانية في تلك السنوات القليلة. إلا أنه بعد زيادة نطاق المشاركة الامريكية التي بدأت في خريف عام ١٩٤٣ كان لا بد من أن يصطدم هذا النمط من الاستراتيجية مع ما أملاه المفهوم الامريكي. إن الاستراتيجية العسكرية الامريكية هي استراتيجية مباشرة تختار هدفاً عسكرياً واحداً وتستخدم كل الموارد الممكنة بجرأة تكتيكية لتحقيق الهدف المنشود<sup>(١)</sup> بينما الاستراتيجية العسكرية البريطانية تتوخى دائماً المرونة في اختيار الاهداف بسبب إحساس البريطانيين بعدم ضمان توفير التحقيق المطلوب لتوفير الموارد. بينما يرى الاستراتيجيون الامريكان بأن الاهداف يجب أن تكون واضحة وأن الموارد متوفرة لتحقيق الاهداف. لذلك كانت الولايات المتحدة الامريكية تنظر بعين الشك إلى أية محاولة للخروج عن الخطة المتفق عليها.

وليس معنى ذلك أن هذا النوع من المدخل الاستراتيجي على صواب وان الآخر على خطأ، إذ يمكن تبسيط الحرب بأسلوب الأشياء المطلقة. فالتقاليد المختلفة تتبثق من الظروف المختلفة. كل لها مدخلها الخاص لاي مشكلة عسكرية معينة وذلك

(١) المصدر السابق، ص ١١٤.

على ضوء الموارد المادية المتيسرة والاحوال الجغرافية والاجتماعية وموقف القوة البشرية والعوامل الاخرى المشابهة .

أما الاستراتيجية العسكرية التي اعتمدها القطر العراقي في مواجهة العدوان الايراني فإنها استراتيجية تعتمد على تعبئة القوات المسلحة وال جماهير في مجابهة الخطر الايراني وتعتمد على توظيف الموارد المتاحة في خدمة متطلبات الحرب والبناء. إن هذه الحرب تعتبر أول حرب تخطط لها القيادة في العراق وتعتمد بصورة مباشرة على القوات المسلحة وعلى عمق الشعب من حيث الامكانيات المادية والمعنوية التي أساسها السوق العام والشامل لامكانيات الدولة (1). وقد تمخضت المعركة عن انتصار العراق في جميع المعارك التي خاضها في قواطع العمليات ومنع القوات الايرانية المعتدية من البقاء في الاراضي العراقية وتكبيدها خسائر فادحة في الارواح والمعدات وإلحاق الهزائم المتوالية بها وإضعاف معنوياتها القتالية وبعثرة قواتها ومعداتها. ومن الاسباب التي تكمن خلف انتصار العراق ما يلي :

- أ- تعيين ووضوح الهدف أو الاهداف المطلوب تحقيقها .
- ب- تحديد الوسائل المستخدمة .
- ج - دراسة الظروف الموضوعية المرئية سلفا والظروف الموضوعية المتحركة، أي عوامل الموقف العام والخاص .
- د - تطبيق مبادئ الحرب تحت تأثيرات الظروف الموضوعية وما تحتاجه من ابتكار بالوسائل والاساليب .
- هـ - إدامة المعنويات والحماس والوعي والثقة بعدالة القضية وما تتطلبه من تضحية لدى عموم الشعب والمقاتلين منهم بوجه خاص (2) .

(1) حمودات، مكي مصطفى ( اللواء الركن)، العقيدة العسكرية بين النظرية والتطبيق، ٣١، دائرة التدريب، مديرية التطوير القتالي ، بغداد، ١٩٨٤، ص ٤٩-٥٠.

(٢) المصدر السابق، ص ٦٠.

- و - وجود الجيش المدرب  
ز - التسليح والتجهيز الـمتفوق نسبيا .  
ح - الاعداد الفكرى والنفسى للمقاتلين . وهنا نقصد وضوح القضية التى يقاتل من أجلها المقاتل .

### ج - طريقة المسح الميدانى

تعتبر طريقة المسح الميدانى من أهم الطرق العلمية التى يستعملها علم الاجتماع العسكرى فى جمع معلوماته وبياناته من الميدان . ذلك أنها تزود الباحث بحقائق جديدة لم يتوصل إليها العلماء والمتخصصون من قبل . ومثل هذه المعلومات والحقائق يمكن صياغتها صياغة نظرية تساعد على زيادة نظريات وفرضيات العلم ، وتنتج فى تراكم المعرفة المتعلقة بحقل الاجتماع العسكرى . وإذا ما تراكمت المعرفة النظرية فى اختصاص الاجتماع السياسى فإنه يكون قادرا على حل كافة المشكلات العسكـرية ذات الجذور الاجتماعية ، وحل المشكلات الاجتماعية فى القوات المسلحة . وهذا ما يؤدي إلى كفاءة المقاتلين واقتدارهم على إداء المهام والمسؤوليات التى تتسبب إليهم خلال فترات السلم والحرب .

يمكن استعمال طريقة المسح الميدانى فى كافة الأبحاث والدراسات التى يهتم بها العالم الاجتماعى العسكرى كأبحاث القيادة العسكـرية والعلاقات الإنسانية بين الضباط والجنود ومعنويات الجماعات الأولية المتواجدة فى الخطوط الامامية من الجبهة والمهام التعبوية والاجتماعية للقوات المسلحة والعلاقة العسكـرية- المدنية والعوامل السببية للانتصار العسكرى والفشل العسكرى وأثر قيم الحرب فى سلوكية المقاتلين والخدمات الاجتماعية فى القوات المسلحة ومجتمع ما بعد الحرب . الخ . إن جميع هذه المواضيع البحثية وغيرها من المواضيع يمكن دراستها دراسة ميدانية تحليلية . فلو أخذنا موضوع العلاقات الإنسانية بين الضباط والجنود وأردنا دراسته دراسة ميدانية فإننا يجب أن نتبع الخطوات العلمية التالية :

١- تحديد الاغراض التي دفعت الباحث لاختيار مثل هذا الموضوع ودراسته دراسة علمية تحليلية، مع توضيح الفوائد العملية التي يتوخاها البحث وأثره في تطوير الجوانب الانسانية للقوات المسلحة من خلال تماسكها ووحدتها وقدرتها على تحقيق أغراضها وأهدافها القريبة والبعيدة. كما يستطيع الباحث تحديد الصعوبات المنهجية والعلمية والفنية التي واجهته اثناء القيام بمثل هذه الدراسة والاجراءات التي اتخذها في التصدي لها وتذليلها .

٢- دراسة أدبيات الموضوع والاطلاع على الابحاث السابقة التي أجراها الباحثون حول مثل هذا الموضوع في العراق والاقطار العربية والدول الاجنبية ، مع دراسة أهم المدارس الفكرية في علم الاجتماع كمدرسة النسق المفتوح Open System Theory ومدرسة التبادل الاجتماعي Social Exchange Theory والمدرسة الوظيفية Functionalism والمدرسة البنائية Structuralism والمدرسة المادية التاريخية Historical Materialism والمدرسة التفاعلية Interactionalism . . . الخ من المدارس الفكرية والمنهجية في علم الاجتماع<sup>(١)</sup>. وبعد الاطلاع على هذه المدارس ومعرفة علاقتها بموضوع البحث المزمع اجراؤه ينبغي على الباحث اعتماد افكار وتعاليم إحدى هذه المدارس . فمدرسة التبادل الاجتماعي تبدو للباحث افضل من غيرها في فهم واستيعاب موضوع العلاقة الانسانية بين الضباط والجنود. لذا يمكن اعتمادها واستعمال مفاهيمها وطروحاتها في دراسة موضوع العلاقة الانسانية في القوات المسلحة .

٣- تصميم عينة الدراسة الميدانية . في مثل هذه الدراسة يتطلب منا اختيار عينتين، عينة الجنود وعينة الضباط . ومثل هاتان العينتان يمكن أن تختارا أما بالطريقة العشوائية أو بالطريقة المقننة أو العمدية. علما بأن الطريقة

(١) Martindate, D. The Nature and Types of Sociological Theory. 2 nd Ed. Boston, Houghton, Mifflin Co.,1981.

العشوائية للاختيار تعطي فرصة متساوية لجميع وحدات مجتمع البحث بأن تختار في العينة المطلوبة (1). في حين يعتمد اختيار العينة المقننة على ميول واتجاهات وظروف الباحث. كما أن تصميم العينة يتطلب تحديدها، أي تحديد عدد الوحدات التي تدخل فيها كاختيار عينة من الجنود تتكون من ٢٥٠ جندي وعينة أخرى من الضباط تتكون من ١٥٠ ضابط. ومن الجدير بالذكر أن حجم عينة الدراسة يعتمد على عدة متغيرات كتجانس أو عدم تجانس مجتمع البحث، الوقت المتيسر عند الباحث، الموارد المالية المخصصة للدراسة، توفر أو عدم توفر الباحثين المساعدين، وأخيراً الإجراءات الإحصائية الكمية التي تستعمل في تحديد حجم عينة البحث (2). وأخيراً يتطلب تصميم العينة الإحصائية تحديد الموقع الجغرافي الذي تختار منه العينة. فعينتا الضباط والجنود قد تكونان مسحوبتين من الفرقة الأولى مثلًا أو مسحوبتين من مقر القوة الجوية أو مقر وزارة الدفاع. علماً بأن اختيار المكان الذي تسحب منه العينات الإحصائية قد يتم بالطريقة العشوائية أو المقننة.

٤- تصميم الاستمارة الاستبائية، الاستمارة الاستبائية هي الأداة التي من خلالها يقابل الباحث المبحوث ويستلم منه المعلومات المطلوبة (3). لذا والحالة هذه ينبغي أن تكون استمارة الاستبيان متعلقة بصورة مباشرة بموضوع البحث. توجد في الاستمارة الاستبائية مجموعة أسئلة موجهة للمبحوث، وفي حالة الإجابة عليها فإن الباحث يكون قد حصل على المعلومات والبيانات التي يريد جمعها من الميدان. كما أن الاستمارة الاستبائية تحتوي على نوعين من الأسئلة الأساسية أو أسئلة المعلومات الأساسية

- (١) Moser, C.A. Survey Methods in Social Investigation, London, Heinemann, 1967, P. 74.
- (٢) Ibid., p. 52-53.
- (٣) Handbook of Household Surveys, United Nations, New York, 1994, P. 134.

عن المبحوث والاسئلة الاخصائية التي تتناول موضوع البحث المطلوب دراسته.

فالمعلومات الاساسية المطلوبة من الضابط أو الجندي تتعلق بعمره ومستواه الثقافي والعلمي ورتبته ومقدار دخله الشهري وحالته الزوجية وحجم أسرته وخلفيته الاجتماعية وانحداره الطبقي ومنطقته السكنية. أما المعلومات الاخصائية التي يريد الباحث جمعها حول طبيعة العلاقات الانسانية التي تربط الجنود بالضباط فتدور حول نمط العلاقة التي تربطهما، أي هل أن العلاقة إيجابية أم محايدة أم سلبية. وما هي اسباب العلاقة الايجابية أم السلبية وما هي نتائجها على فاعلية وتماسك القوات المسلحة؟ وكيف نستطيع تقوية العلاقة الانسانية في القوات المسلحة وهكذا. علما بأن الاسئلة الاستبائية تقسم إلى اسئلة مفتوحة تعطي الحرية للمبحوث بالاجابة على الاسئلة كما يريد، واسئلة مغلقة تحدد اجابات المبحوثين مسبقا .

ومن الجدير بالاشارة هنا إلى ان الاسئلة الاستبائية يجب أن تكون قصيرة ومركزة ومتعلقة بموضوع الدراسة بصورة مباشرة. كما يجب أن تكون واضحة وقليلة العدد وخالية من المصطلحات العلمية التي لا يفهمها المبحوثون . وإذا اتسمت الاسئلة الاستبائية بهذه المواصفات فإن المبحوث لا بد أن يتعاون مع الباحث وهنا يستطيع الباحث تنفيذ البحث وإكمال مراحل العملية كافة.

المقابلات الميدانية . تقسم المقابلات الى قسمين أساسيين هما المقابلة الرسمية التي تستعين باستمارات الاستبيان والمقابلة غير الرسمية أو المقابلة الطبية التي لا تستعين باستمارات الاستبيان بل تعتمد على مجموعة اسئلة يطرحها الباحث على المبحوث ويتوقع الاجابات السريعة عليها. والمقابلة Interview بمعناها العلمي الدقيق هي العلاقة التفاعلية بين الباحث الذي يستلم المعلومات والحقائق والمبحوث الذي يزوده بهذه المعلومات والحقائق

- ٥

من خلال إجابته على الاسئلة المطروحة عليه<sup>(1)</sup>. وينبغي على الباحث أو المقابل أن يتصف بمجموعة مزايا تمكنه من إجراء المقابلات الناجحة مع المبحوثين كصفة الصدق والامانة والدقة في تسجيل المعلومات وصفة السرية في العمل وعدم افشاء المعلومات التي يحصل عليها من المبحوث إلى الآخرين وصفة المهنية وتحمل أعباء المسؤولية وصفة الصبر والقدرة على تحمل المشاق. كما ينبغي أن يكون الباحث أو المقابل مزودا بمستوى جيد من المعرفة الاجتماعية التي تساعد على إجراء المقابلات الناجحة مع الآخرين. إن من أهم متطلبات المقابلة الناجحة أن يتصف المقابل بالاسلوب المهني الذي لا يتعالى على المبحوث ولا يبخس قيمته ولا يكون معه العلاقات العميقة المبنية على الميانة واللامبالاة بمنزلة ودور الإنسان . فالمقابلة يجب أن تدور حول الاسئلة المطروحة في الاستمارة الاستبائية . ولكن قبل ابتداء المقابلة ينبغي على المقابل أن يستدرج المبحوث ويكسب ثقته ويشجعه على الاجابة على الاسئلة الموجهة اليه.

٦- تنظيم المعلومات الاحصائية. بعد جمع المعلومات ورجوع الاستمارات الاستبائية إلى دائرة البحث مملوءة بالمعلومات المطلوبة تجري عليها العمليات التالية :

أ- التأكد من صحة الاجابات الموجودة في استمارة الاستبيان. بعد وصول استمارات الاستبيان إلى دائرة البحث يقوم موظفو الدائرة بتدقيق هذه الاستمارات للتأكد من أن لكل سؤال جوابا وأن الاجابات متسقة وغير متناقضة وكاملة .

(١) Ibid.,P. 142.

ب- الترميز. وهي العملية التي بواسطتها يرمز الباحث جميع الاجابات التي يذكرها المبحوث. (1). والرمز يكون على شكل رقم أو حرف وهذا الرقم أو الحرف يساعد الباحث على تبويب وتعداد المعلومات وادخالها في جداول إحصائية لتكون جاهزة للتحليل الاحصائي . والترميز يكون على ورقة الترميز Code Sheet هذه الورقة التي تقسم عادة إلى ثلاثة أعمدة الاول منها يخصص إلى تسلسل الاسئلة والثاني إلى الاجابات التي يذكرها المبحوث والثالث إلى رموز الاجابات. وبعد عملية تحوي الاجابات إلى رموز في ورقة الترميز تنقل الرموز إلى بطاقات خاصة تسمى ( I.B.M. ) وكل بطاقة منها تحتوي على ثمانين درجة أو نقطة وكل درجة تخصص إلى سؤال معين. وللنقطة أو الدرجة عشرة احتمالات من الاجوبة التي يذكرها المبحوث . ونقل المعلومات إلى هذه البطاقات يتم باستعمال آلة التنقيب Puncher التي تتولى وظيفة تنقيب البطاقة. وكل ثقب في البطاقة يدل على جواب معين ذكره المبحوث . وبعد إكمال عملية نقل الاجوبة إلى البطاقة المخصصة نشاهد عدة ثقوب على البطاقة الواحدة، وهذه الثقوب تشير إلى اجابات المبحوث على الاسئلة الموجهة اليه (2) .

٧- تكوين الجداول الاحصائية . بعد إجراء عملية تنقيب بطاقات (I.B.M.) تنقل إلى ماكينة التفريق والتعداد Sorter- Counter Machine لكي تصنف البطاقات حسب الاجابات التي ذكرها المبحوثون بعد توجيه الاسئلة اليهم. وبعد تصنيفها إلى مجاميع تقوم نفس الماكينة بعملية تعدادها. فالماكينة تفرق البطاقات التي تحتوي على الاجابات السلبية عن البطاقات التي تحتوي على الاجابات الايجابية لسؤال معين ثم تعد البطاقات الايجابية والبطاقات السلبية.

(١) الحسن، د. احسان محمد. الاسس العلمية لمناهج البحث الاجتماعي، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر،

١٩٨٣، ص ١١٧.

(٢) المصدر السابق، ص ١١٩.



---

---

وعند الانتهاء من عمليتي التفريق والتعداد توضع المعلومات في جدول احصائي يوضح الاجابات السلبية والاجابات الايجابية بالنسبة لسؤال معين. فالجدول قد يشير إلى أن (٤٠) جنديا أجابوا على سؤال معين بالنفي، (٨٠) جنديا أجابوا على نفس السؤال بالايجاب. ونفس الجدول يوضح مجموع عدد الجنود الذين تمت مقابلتهم. وبعد تكوين الجداول الاحصائية المتعلقة باجابات المبحوثين على الاسئلة التي وجهت اليهم يقوم الباحث بتحليلها إحصائيا للحصول على النتائج النهائية للبحث .

.....

## الفصل السادس

### الدراسة الاجتماعية للنظم العسكرية

تعتبر النظم العسكرية التي تهيمن على إدارة وكفاءة وإعداد وتطوير القوات المسلحة من النظم البنيوية المهمة التي تتفاعل وتتعاون مع بقية النظم الاجتماعية كالنظام الاقتصادي والسياسي والعائلي في تحقيق أهداف المجتمع القريبة والبعيدة والنظم العسكرية هي الاحكام والاعراف والصيغ الاجرائية التي تحدد أنماط العلاقات الاجتماعية والممارسات السلوكية لابناء القوات المسلحة بحيث يعرف كل واحد منهم واجباته وحقوقه وقنوات اتصالاته بالآخرين ويفهم مركزه الوظيفي في المؤسسة العسكرية ويدرك أهداف المنظمة العسكرية خلال أوقات السلم والحرب<sup>(1)</sup>. كما نعني بالنظم العسكرية ايضا التشكيلات والوحدات القتالية على اختلاف اختصاصاتها ومستوياتها وحجومها وما تشغله من بنايات ومساحات أرضية وما تمتلكه من أسلحة وأجهزة ومعدات وذخيرة ومؤن وما ترفعه من أهداف وشعارات واستراتيجيات وما تتبناه من أيديولوجيات ومبادئ وفلسفات .

إن النظم العسكرية أذن هي نظم اجتماعية لا تختلف عن النظم الاجتماعية الاخرى كالمجتمعات المحلية والمصانع والمدارس والمستشفيات والدوائر البيروقراطية والعوائل... الخ. واعتبارنا النظم العسكرية نظاما اجتماعية يتأتى من الصفات المؤسسية التي تتميز بها القوات المسلحة وهي :

- ١- وجود أبنية ومعدات وأجهزة مادية تستعملها الوحدات والتشكيلات القتالية.
- ٢- وجود نماذج معينة من العلاقات والممارسات الاجتماعية التي يلتزم بها شاغلو الادوار الوظيفية .

(١) Gerth,H. and C. Wright Mills. Character and Social Structure, Op.Cit.,PP: 32-33.

٣- وجود الاحكام والاعراف والصيغ السلوكية التي تنظم انشطة القوات المسلحة وتقودها إلى السير نحو تحقيق أهدافها .

٤- وجود القيم والمقاييس والمبادئ التي تحقق وحدة القوات المسلحة وتماسكها لكي تستطيع تحقيق أهدافها وطموحاتها المنشودة.

ولكن في دراستنا للنظم العسكرية سنتناول بالفحص والتحليل جملة من المواضيع المهمة التي تعالج النظم العسكرية معالجة سسيولوجية كدراسة الهياكل العمودية والافقية للنظم العسكرية وتحليل النظم العسكرية تحليلاً بنيوياً وظيفياً مع دراسة أنماط العلاقات الاجتماعية في المؤسسة العسكرية واخيراً تحديد اهم المزايا التركيبية والاجتماعية التي تتميز بها المؤسسة العسكرية . والآن سوف نتطرق إلى هذه الموضوعات بالتفصيل .

#### أ- الهياكل العمودية والافقية للمؤسسة العسكرية

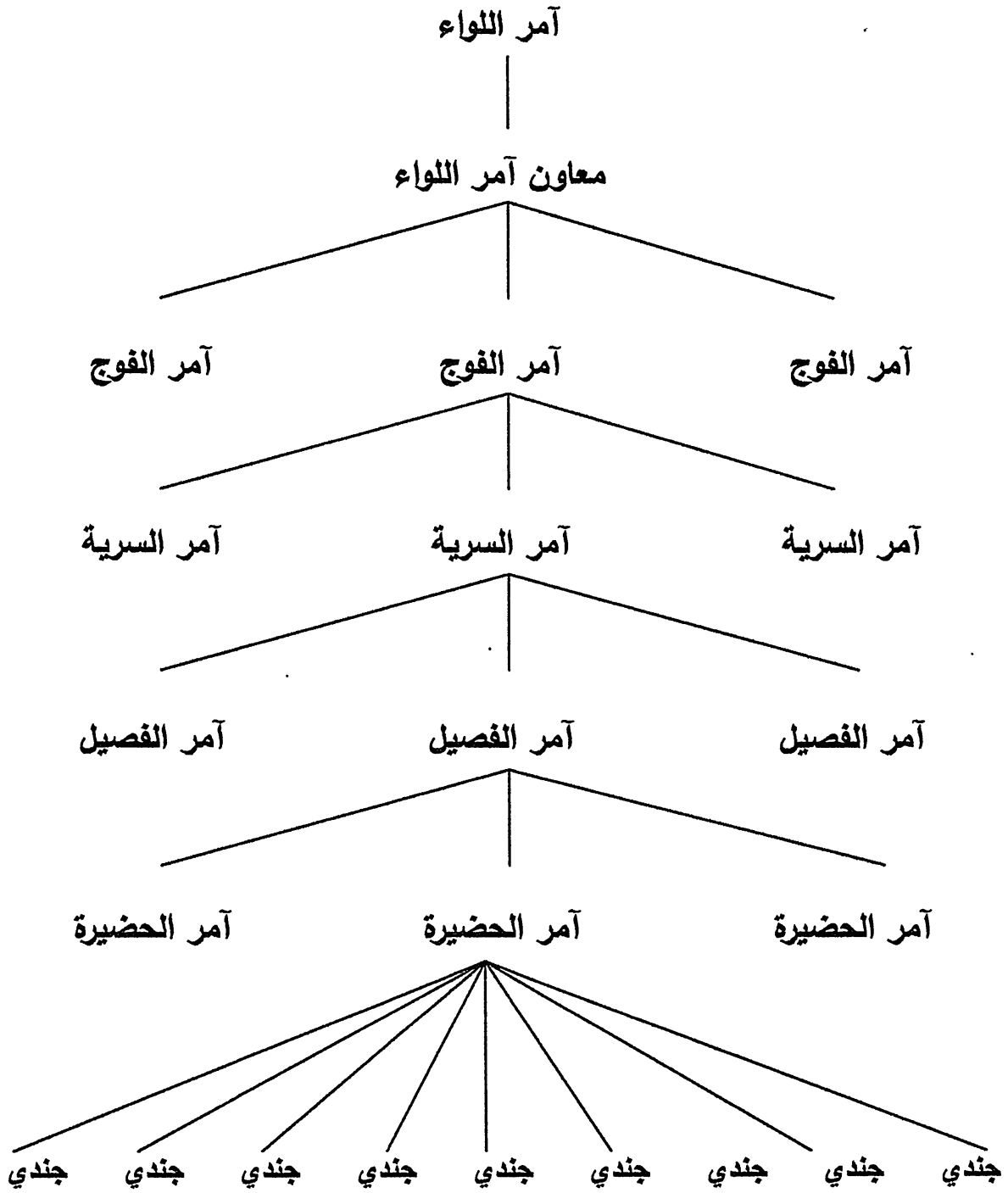
يفرض النسق البيروقراطي للمؤسسة العسكرية وجود هياكل عمودية وأفقية تساعد على سير وتنفيذ العمل فيها وذلك من خلال توزيع العمل على الادوار الوظيفية ومتابعة الادوار في إداء مهامها والتنسيق بينها وربط فعاليتها بأهداف المؤسسة العسكرية التي تعتبر جزءاً لا يتجزأ عن أهداف المجتمع الكبير<sup>(١)</sup> . إن من أهم المزايا الهيكلية للتشكيل العسكري كالفيلق أو الفرقة أو اللواء تقسيم نظمه التكوينية إلى صنفين رئيسيين هما النظام العمودي Vertical System والنظام الافقي للتشكيل Horizontal System . ويمكن رسم هذه النظم على خارطة توضح أقسام ووحدات وأدوار التشكيل والعلاقات العمودية والافقية التي تقع بينها. في هذه الخارطة نشاهد النظام العمودي للتشكيل القتالي الذي يتمثل بمجموعة المواقع والمراكز المختلفة بوظائفها وسلطتها وأهميتها والمترابطة فيما بينها بمهامها التعبوية والادارية والفنية. إن كل موقع ومركز وظيفي في التشكيل القتالي للواء مثلاً متعلق بالمواقع والمراكز

(١) Janowitz, M. The Military Establishment, in Contemporary Social Problems by R. Merton and Nisbet, New York, Harcourt, Brace, 1981, P. 520.

الآخري حيث أن وظائف الموقع تخدم المؤسسة العسكرية برمتها وان المراكز المختلفة إنما هي مراكز رئاسية ومرؤوسية (1) . فالجندي في الفصيل يتفاعل مع بقية الجنود اثناء الواجب التدريبي أو القتالي ولكنه يستلم الاوامر والتوجيهات من آمر الفصيل الذي هو الملازم الاول أو الثاني . علما بأن آمر الفصيل يستلم اوامره من آمر السرية ويمررها بدوره إلى الجنود لكي يضعوها موضع التنفيذ. والشكل المرسوم أدناه يوضح النظام العمودي للواء والادوار القتالية التي يكتنفها (التدرج الهرمي في اللواء) ومن الجدير بالذكر أن النظام العمودي للواء يلبي كافة حاجات العمليات التدريبية والقتالية والادارية ويتلاءم مع متطلباتها الآنية والمستقبلية . فمن حاجات اللواء التي يلبيها النظام العمودي الحاجة للنظام والضبط والطاعة والولاء وتحمل المسؤولية ، إضافة إلى توزيع الواجبات على الادوار وتحديد مواقع المسؤولية لكي يتم بموجبها تشخيص مواطن الخلل ومحاسبة المقصرين. ففي النظام العمودي تتطلق السلطة من مصادر محددة ومعترف بها، وهذه المصادر تتميز بالشرعية والقانونية التي يلتزم بها الفرد ويتصرفون بموجبها. كما إن أوامر السلطة الشرعية في اللواء تكون واضحة ومفهومة وتتميز بالاستمرارية والفاعلية. وعندما يحدد النظام العمودي في اللواء مواقع المسؤولية فإنه يكون مؤهلا لتوزيع المكافآت على الافراد الذين يستحقونها ولصدار العقوبات بحق المخالفين والمقصرين .

---

(1) Coser, L.A. Masters of Sociological Thought , Op.Cit.,P. 181.



وهناك فائدة أخرى للنظام العمودي الذي ينتهجه النسق التنظيمي للواء تكمن في قدرته على التنسيق بين فعاليات وواجبات الافواج والسرايا والفصائل التي يتكون منها اللواء. فالنظام يحصر المسؤولية في قمة هرم السلطة التي يشغلها أمر اللواء، وموقع أمر اللواء يمنح قوة السيطرة الفعلية واتخاذ القرارات المتعلقة بإدارة اللواء وتنظيم فعالياته والإشراف على تدريباته ومهامه القتالية والتعبوية ومقابلة متطلباته الإدارية والتمويلية والتسليحية والمالية، وأخيرا التنسيق بين واجباته القتالية والواجبات القتالية للالوية الأخرى التي تتكون منها الفرقة. وأمر اللواء هو الذي يوزع الواجبات على أمراء الافواج والسرايا والفصائل ويتخذ القرارات بشأن مسائل التدريب والتعبئة والدفاع والهجوم ضمن الخطة التكتيكية أو الاستراتيجية التي تضعها القيادة العامة للقوات المسلحة. ويشرف على عملية تنفيذ برامج وخطط اللواء الآتية والمستقبلية وتطوير قدراته القتالية والفنية والإدارية. إضافة إلى تطوير وحداته المقاتلة ومقابلة كافة احتياجاتها وتحقيق الوحدة والانسجام بين أفرادها ورفع حالتها المعنوية لكي تكون قادرة على إداء مهامها التعبوية والقتالية على أحسن صورة ممكنة. وخالصة القول هي أن الفوائد التي يجلبها النسق العمودي للتشكيل القتالي كاللواء هي التي تحدد استمراريته وقابليته على النمو والتطور وترفع من قدراته القتالية واستعداده اللامحدود على إداء المهام التي يكلف بها في كافة الاوقات والظروف (1).

أما النظام الأفقي للمؤسسة العسكرية فيلبي حاجات التشكيل أو الوحدة العسكرية للمعرفة الإحصائية والخبرات العلمية والتكنولوجية. فالعملية القتالية تقسم إلى حقول إحصائية كل حقل يشرف عليه فوج أو سرية مستقلة كفوج المشاة والفوج الآلي وفوج العجلات والدروع وفوج الخيالة وفوج الهندسة... الخ. وبالرغم من استقلالية هذه الافواج بعضها عن بعض فإنها ترتبط فيما بينها بتكامل وظائفها

(1) Schneider, E. Industrial Sociology, New York, Mc Graw-Gill, 1977, P. 83.

وخضوعها لقيادة عليا تتكون من أمراء الالوية وقائد الفرقة بل وحتى قائد الفيلق . بيد أن فاعلية النسق الافقي في القوات المسلحة تظهر في وجود وحدات أخصائية لها أهميتها في تزويد التشكيل القتالي بالمهارات والخبرات .

والوحدات الاخصائية في التشكيل القتالي تشتمل على وحدة المشاة والمدفعية والهندسة والعجلات والشؤون الادارية ٠٠٠ الخ. علما بأن هذه الوحدات مصممة لخدمة النظام العمودي في المؤسسة العسكرية بطريقة او أخرى. كما أن النسق الافقي للمؤسسة العسكرية يؤدي خدماته من خلال ضباطه ومراتبه الذين يعملون كخبراء ومشرفين ومساعدين لأمر التشكيل كاللواء أو الفرقة. إن أصحاب المراكز الافقية في التشكيل القتالي لهم أهميتهم في إدارة وتنظيم الوحدات والاقسام التي يشرفون عليها كمسؤوليتهم عن قضايا التعبئة والتدريب ومسؤوليتهم عن مهام الدفاع والهجوم ومسؤوليتهم عن القضايا التموينية والادارية ومسؤوليتهم عن القضايا التسليحية والاستعداد لخوض المعركة ٠٠٠ الخ. ومن الجدير بالاشارة اليه هنا أن كافة التشكيلات والنظم العسكرية تعتمد على النسقين العموي والافقي في إداء مهامها والايفاء بالتزاماتها نظرا لاهمية النسقين المتزايدة في تنظيم سير الفعاليات وضبط الافراد وتنظيم العلاقات بينهم وبالتالي تحقيق أهداف المؤسسة العسكرية القريبة منها والبعيدة.

#### ب - التحليل البنوي للمؤسسة العسكرية :

تعتبر النظم أو المؤسسات العسكرية من أهم النظم البنوية التي يتكون منها التركيب الاجتماعي نظرا للوظائف المهمة التي تؤديها للنظام الاجتماعي الذي يكتنفها ويشرف عليها ويرعاها ويعمل على استقرارها وديمومتها. إن اهمية النظم العسكرية تتجسد في قيام جماعاتها وتشكيلاتها المقاتلة بالدفاع عن حرمة الوطن من الاخطار والتهديدات الاجنبية التي قد يتعرض لها والتصدي للعدوان الخارجي المحتمل مهما



يكن مصدره والحفاظ على الامن والنظام في الداخل إذا دعت الضرورة لذلك (١). ومثل هذه المهام الدفاعية والامنية التي تضطلع بها المنظمات العسكرية على اختلاف صنوفها ودرجاتها لا يمكن القيام بها دون مبادرة هذه المنظمات إلى تكوين وحداتها القتالية عن طريق التجنيد والتعبئة البشرية وتصنيف الافراد إلى مقاتلين مسلحين أو أداريين وخدميين أو منتجين وحرفيين ٠٠٠ الخ . إضافة إلى واجبات التدريب العسكري والتأهيل على ممارسة الاختصاصات التي تتطلبها الصنوف القتالية والهندسية والادارية والمهنية الموجودة في القوات المسلحة. وأخيرا الاستعداد والتهيئة الحربية لخوض المعارك الصغيرة والكبيرة دفاعا عن أرض الوطن. غير أن الاستعداد للحرب يتطلب تسليح الوحدات والتشكيلات القتالية بأحدث الاسلحة المتطورة التي تضمن ردع العدو وحسم المعركة لصالح الوطن والامة بأسرع وقت ممكن .

إن النظم العسكرية تشكل جزءا مهما من التركيب الاجتماعي إذ تربطها علاقات وثيقة ومباشرة بالنظم المجتمعية الأخرى كالنظم السياسية والاقتصادية والثقافية والاسرية والدينية (٢) . فلو أخذنا مثلا العلاقة بين النظم العسكرية والنظم الاقتصادية لشاهدنا بأن لهذه النظم صلات وروابط عضوية-تكاملية . ذلك أن النظم العسكرية لا تستطيع إداء وظائفها وتحقيق أهدافها القريبة والبعيدة دون وجود النظم الاقتصادية. فالنظم الأخيرة هي التي تجهز القوات المسلحة بالمعدات والمستلزمات الحربية التي تمكنها من القتال والدفاع عن حرمة الوطن وتزود افرادها بالملابس والمواد الغذائية التي يحتاجونها وتوفر لهم البنايات والمصانع والمزارع والمختبرات التي تتطلبها طبيعة واجباتها الدفاعية والامنية. كما إنها تساعد على منح القادة والأميرين وبقية المقاتلين المكافآت المادية والعينية التي يستحقونها بعد إداء مهامهم التعبوية والقتالية .

(١) خضر، د. احمد ابراهيم، علم الاجتماع العسكري، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٠، ص ٩٨.

(٢) Gerth,H.and C.W.Mills Character and Social Structure,P. 26.

ومن جهة ثانية نلاحظ بأن النظم العسكرية ذات اهمية كبيرة لاستقرار واستمرارية ونمو النظم والمنشآت الاقتصادية . ذلك إن القوات المسلحة تؤدي دورها الفاعل في تأمين الحماية العسكرية للمؤسسات الاقتصادية وتساعد على انتشار الامن والطمأنينة في ربوع البلاد، الامر الذي يشجع القطاعات الاقتصادية العامة منها والخاصة على مزاوله الفعاليات الانتاجية والتجارية والمالية التي يعتمد عليها الاقتصاد القومي في نهوضه وتطوره وتشعب انشطته . إضافة إلى دور القوات المسلحة في تشجيع المؤسسات الاقتصادية على اختلاف تخصصاتها وأهدافها على العمل والانتاج الفاعل وذلك من خلال الطلب المستمر على المعدات والاجهزة والملابس والمواد الغذائية والابنية والمختبرات ، هذا الطلب الذي لا بد منه في تمكين القوات المسلحة من الاستمرارية والفاعلية والقدرة على تحقيق الاهداف المرسومة .

وكما يمكن تحليل التركيب الاجتماعي إلى نظم وظيفية مختلفة كالنظم الاقتصادية والسياسية والعسكرية والاسرية، فإنه يمكن تحليل النظام الفرعي الواحد Sub System كالنظام العسكري Military System إلى عناصره الاولى التي يتكون منها<sup>(1)</sup>. إن المؤسسة العسكرية Military Institution تتكون من سلسلة أدوار وظيفية مختلفة ومتشعبة ولكنها مترابطة ومكملة بعضها لبعض . فلو نظرنا إلى المؤسسة العسكرية لشاهدنا بأنها تكون على شكل مثلث أو هرم تتوزع عليه الادوار الوظيفية التي قد تكون أدوارا قيادية أو وسطية أو قاعدية. فالادوار القيادية في القوات المسلحة تتمثل بأدوار قادة الفيالق والفرق وأمري الالوية، بينما الادوار الوسطية تتمثل بأدوار الضباط العاملين في الوحدات والتشكيلات القتالية والادارية والذين لا يشغلون المراكز القيادية التي حددها قبل قليل. أما الادوار القاعدية في القوات المسلحة فتمثل بأدوار نواب الضباط وضباط الصف والجنود.

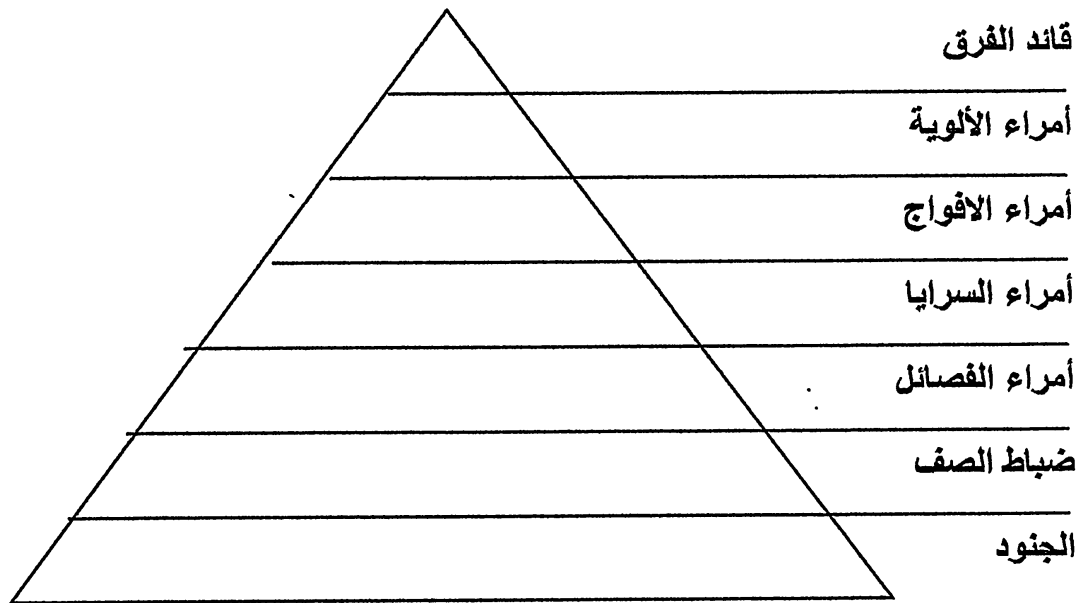
(1) Ibid.,P.23.

إن لكل دور من هذه الأدوار العسكرية واجباته وحقوقه ونمط إتصالاته وتفاعلاته داخل وخارج المؤسسة العسكرية. علما بأن الواجبات والحقوق والاتصالات يحددها القانون الرسمي للمؤسسة . فواجبات أمر اللواء تختلف عن واجبات أمر الفوج وواجبات الاخير تختلف عن واجبات ضابط الركن وواجبات ضابط الركن تختلف عن واجبات أمر السرية وواجبات الاخير تختلف عن واجبات ضابط الصف وواجبات الاخير تختلف عن واجبات الجندي المكلف وهكذا .

لكن الواجبات الوظيفية للعسكري هي المهام والوظائف التي يؤديها للمؤسسة والتي تساعد على استمراريتها ونموها وتحقيق اهدافها . فواجبات أمر اللواء مثلا تحدد بالاشراف المباشر على شؤون ومتطلبات الافواج التي يتكون منها اللواء والتي تتعلق بأمور التدريب والتسليح والتهيئة والاستعداد لخوض المعارك مع الاشراف على الشؤون الادارية المتعلقة باللواء وإدامة الاتصال بقيادة الفرقة وبقية الالوية المتواجدة في منطقة أو مناطق عسكرية معينة. أما واجبات أمر الفصيل فتختلف عن واجبات أمر اللواء، فأمر الفصيل يكون مسؤولاً فقط عن تدريب وتسليح وتهيئة فصيله للمعارك مع سد حاجاتهم الادارية وحل مشكلاتهم إذا كانت هناك ثمة مشكلات وتعميق أواصر الوحدة الفكرية والقتالية بينهم. وهكذا بالنسبة للمواقع الوظيفية الاخرى في القوات المسلحة .

وبعد قيام الادوار الوظيفية في القوات المسلحة بواجباتها المحددة والمطلوبة منها فإنها تتمتع بكافة حقوقها المادية والمعنوية التي ينص عليها القانون . لكن الحقوق والامتيازات التي يتمتع بها أبناء القوات المسلحة لا تكون متساوية ومتكافئة، فهي تختلف من شخص لآخر تبعا لطبيعة ونوعية الدور الوظيفي الذي يشغله وفترة خدمته وماهية العمل الذي يؤديه والاحطار التي يتعرض لها أثناء إداثة للخدمة وهكذا. إن الحقوق المادية والمعنوية التي تتمثل بالراتب الشهري أو درجة الاجترام والتقدير وبقية الامتيازات التي يتمتع بها أمر اللواء مثلا تختلف عن تلك التي يتمتع بها الجندي المكلف وهكذا. إذن تحلل المؤسسة العسكرية إلى الادوار الوظيفية التي

تدرج على الهرم الاجتماعي. ولهذه الادوار واجباتها وحقوقها الاجتماعية التي يحددها قانون المؤسسة العسكرية. علما بأن الادوار الوظيفية تختلف بعضا عن بعض بواجباتها وطرق التأهيل لها وقنوات اتصالاتها وحقوقها واهميتها للمؤسسة التي توجد فيها. والشكل المرسوم أدناه يوضح التحليل الوظيفي للفرقة كجزء من المؤسسة العسكرية .



#### ج - العلاقات الاجتماعية في المؤسسة العسكرية :

المؤسسة العسكرية كغيرها من المؤسسات الاجتماعية الأخرى كالمؤسسة الصناعية والمؤسسة التربوية والمؤسسة الصحية توجد فيها علاقات اجتماعية تربط الأدوار الوظيفية التي تتكون منها<sup>(1)</sup> . ووجود العلاقات الاجتماعية في المؤسسة العسكرية يعتبر من الشروط الأساسية التي تجعلها مؤسسة اجتماعية. والعلاقات الاجتماعية في القوات المسلحة من حيث انماطها تكون على أربعة أنواع رئيسية: هي

(1) خضر، د. احمد ابراهيم ، علم الاجتماع العسكري ، ص ٨٣.

العلاقات الاجتماعية العمودية والعلاقات الاجتماعية الأفقية. والعلاقات الاجتماعية الرسمية. والعلاقات الاجتماعية غير الرسمية<sup>(١)</sup>. فالعلاقات الاجتماعية العمودية هي الاتصالات والتفاعلات التي تقع بين شخصين أو أكثر يحتلون مراكز اجتماعية مختلفة كاتصال أمر اللواء بقائد الفرقة واتصال أمر اللواء بأمر الفوج . ومثل هذه العلاقات يحددها القانون الرسمي للمؤسسة العسكرية . فالقانون هو الذي يحدد نمط الاتصالات العمودية لكل فرد من أفراد القوات المسلحة . إن الجندي المكلف حسب نصوص القانون ينبغي أن يتصل بأمر الحاضرة أو الفصيل فقط وليس من حقه الاتصال بأمر السرية أو الفوج مباشرة. وهو يستطيع الاتصال بأمر السرية أو الفوج عن طريق أمر حضيرته أو فيلقه فقط .

وهناك العلاقات الاجتماعية الأفقية بين أعضاء الوحدة أو التشكيل العسكري وهي الاتصالات أو التفاعلات التي تقع بين شخصين أو أكثر يحتلون أدوارا اجتماعية متساوية ومتكافئة كاتصال ضابط الصف بضابط الصف واتصال أمر الفوج بأبواب الصف ب واتصال أمر الفوج بأمر الفوج ب واتصال قائد الفرقة بأبواب الفرقة ب. وكل من العلاقات الاجتماعية العمودية والأفقية التي تأخذ مكانها بين أبناء القوات المسلحة تقسم إلى قسمين رئيسيين هما العلاقات العمودية أو الأفقية الرسمية والعلاقات العمودية أو الأفقية غير الرسمية. فالعلاقات العمودية الرسمية هي الاتصالات التي تقع بين شخصين أو أكثر يحتلون مراكز عسكرية مختلفة وتُدور حول الواجبات والمهام الرسمية للمؤسسة العسكرية كاتصال أمر اللواء بأمر الفوج حول ضرورة زيادة ساعات التدريب العسكري وتكثيف التمارين التعبوية الهجومية منها والدفاعية .

أما العلاقات العمودية غير الرسمية فهي الاتصالات أو التفاعلات التي تقع بين شخصين أو أكثر وتُدور حول الأغراض الشخصية للأفراد الذين يكونونها

(١) الحسن، د. احسان محمد. محاضرات في المجتمع العربي، بغداد، مطبعة دار السلام، ١٩٧٣، ص ١٧٥.

كاتصال النقيب بالملازم حول الذهاب إلى النادي العسكري بعد الانتهاء من الدوام الرسمي أو الاستفسار عن عائلة الملازم وأوضاعه في البيت. ومن الجدير بالملاحظة أن العلاقات غير الرسمية بين أعضاء المؤسسة العسكرية أهم بكثير من علاقاتهم الرسمية، فهم يرتاحون للعلاقات غير الرسمية أكثر مما يرتاحون للعلاقات الرسمية حيث أنها قد تتسجم مع طبيعة شخصياتهم وتتلاءم مع ميولهم واتجاهاتهم وأذواقهم وتلبي طموحاتهم وتتفق مع ظروفهم وأوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. لهذا يهتم علماء الاجتماع العسكري بدراسة وتحليل العلاقات الاجتماعية غير الرسمية بين أبناء القوات المسلحة أكثر من اهتمامهم بالعلاقات الاجتماعية الرسمية .

ومن جهة ثانية نلاحظ بأن العلاقات الاجتماعية في المؤسسة العسكرية تنقسم إلى قسمين رئيسيين من ناحية طبيعتها: وهي العلاقات الاجتماعية الإيجابية والعلاقات الاجتماعية السلبية. العلاقة الاجتماعية الإيجابية هي العلاقة الوطيدة والمتطورة التي تربط الجندي بالضابط أو تربط الجندي بالجندي أو الضابط بالضابط . وتعتمد هذه العلاقة على المصالح المشتركة والمتبادلة وعلى الأذواق والميول والاتجاهات والقيم والمقاييس والآراء المتشابهة التي تربط أطراف العلاقة الاجتماعية في المؤسسة العسكرية كالضباط والجنود. ومثل هذه العلاقة الاجتماعية الإيجابية غالبا ما تنتج في وحدة المؤسسة العسكرية وتماسكها وبالتالي قدرتها على تحقيق أهدافها الأساسية. أما العلاقة الاجتماعية السلبية فهي العلاقة التي يطغى عليها طابع التجنب أو التنافر وتكون مبنية على الكراهية والعداء والمنافسة الهدامة بين أطرافها الاجتماعية. ومثل هذه العلاقة الاجتماعية تسبب انقسام المؤسسة العسكرية وتناقضها وانشطارها وتضارب مصالحها وأهدافها. وبالتالي ضعفها وتفسخها وعدم قابليتها لتحقيق أبسط أهدافها.

ومن أهم واجبات علماء الاجتماع العسكري في القوات المسلحة تشخيص طبيعة العلاقات الاجتماعية في المؤسسة العسكرية. فإذا كانت العلاقة الاجتماعية التي تربط الضباط بالجنود إيجابية فإن عليهم المحافظة على أطرها والعمل على

تعميقها وتقوية جوانبها الانسانية والروحية . أما إذا كانت العلاقة الاجتماعية سلبية وعدائية فإن عليهم تحويلها إلى علاقات إيجابية وذلك من خلال دراسة اسباب سلبية العلاقات الانسانية في المؤسسة العسكرية ومحااربة هذه الاسباب والتصدي لآثارها المخربة . وهنا يمكن ان تتحول طبيعة العلاقة الاجتماعية من سلبية إلى إيجابية . وإذا ما تحولت العلاقة الاجتماعية الى علاقة ايجابية فإن المؤسسة العسكرية لا بد أن تكون موحدة ومتماسكة، وبالتالي تكون قادرة على تحقيق أهدافها القريبة والبعيدة وفي نفس الوقت تكون متجاوبة مع المؤسسات الوظيفية الاخرى التي يتكون منها البناء الاجتماعي. وهنا يستطيع المجتمع أن يرقى ويتطور ويحقق أهدافه المنشودة .

#### د- خصائص المؤسسة العسكرية :

تتميز المؤسسة العسكرية بخصائص معينة تميزها عن بقية المؤسسات الاجتماعية الاخرى على الرغم من أوجه الشبه والتقارب بين النظم العسكرية والنظم البنوية والوظيفية التي يتكون منها التركيب الاجتماعي. ومن أهم خصائص النظم العسكرية ما يلي :

#### أ- مهمة النظم العسكرية :

للنظم العسكرية مهام ووظائف أساسية لا تقل أهميتها عن المهام التي تضطلع بها النظم البنوية الاخرى. فالنظم العسكرية هي التي تشكل الجماعات والوحدات القتالية المتخصصة وتشرف على تدريباتها وتسليحها لخوض الحروب مع كل من تسول له نفسه الاعتداء على تراب الوطن. لذا تتمحور مهمة النظم العسكرية بالدفاع عن الوطن وحمايته من العدوان الخارجي والحفاظ على سلامة اراضيه من طمع الطامعين ومؤامراتهم . كما أن وجود القوات المسلحة يعتبر بمثابة رادع لكل الطامعين والمعتدين والتوسعيين، ومثل هذا الردع يمنع وقوع الحروب الفعلية بين الشعوب والدول<sup>(1)</sup>. وقد تتولى القوات المسلحة بعض الاعمال الانتاجية والخدمية

(1) Benn,S. and Peters.Social.Principles and the Democratic State ,London,George Allen and Uniwin,1959,P.215.

خلال فترات السلم كالمشاركة في إنتاج السلع وعرض الخدمات وتنفيذ بعض المشاريع  
التموية التي يحتاجها المجتمع .

#### ب- التدرج الهرمي :

يعتبر النظام أو النسق العسكري نسقا اجتماعيا متدرجا إذ يكون على شكل  
هرم تحتل قمته المراكز العسكرية العليا وتحتل سفوحه المراكز الوسطية وقاعدته  
المراكز العاملة ( مراكز الجنود وضباط الصف وبقية المراتب). علما بأن المراكز  
العاملة أكثر حجما وعددا من المراكز الوسطى والمراكز الاخيرة تزيد عددا على  
المراكز القيادية التي تقع في قمة الهرم العسكري<sup>(١)</sup> . ويبدأ التدرج الهرمي العسكري  
من رئيس الجمهورية بصفته القائد الاعلى للقوات المسلحة وينتهي بالفرد المجند.  
ويتمثل هذا بالتسلسل القيادي الذي يتضمن العلاقات والممارسات الرسمية وغير  
الرسمية التي تحقق انضباط وفاعلية واستمرارية النسق العسكري . وينطوي التدرج  
الهرمي أساسا على الرتبة العسكرية التي تحدد أنماط العلاقات بين الرؤساء  
والمرؤسين وتعين ممارساتهم اليومية<sup>(٢)</sup> . والرتبة العسكرية تعرف بأنها تلك الصفة أو  
النوعية أو الدرجة التي تمنح للعسكريين والتي تحدد مكانتهم في التدرج الهرمي  
وتعطيهم صلاحية ممارسة السلطة واصدار الاوامر ضمن إطار القانون العسكري  
الذي تتبناه المؤسسة العسكرية. وتنقسم الرتب إلى درجات تحدد مقدار القوة النسبية  
للافراد الذين يتقلدونها . فهناك قائد الفرقة الذي يصدر الاوامر والتوجيهات لامراء  
الالوية، وقائد الفرقة ينبغي أن يشغل رتبة اعلى من الرتب التي يشغلها أمراء الالوية  
لكي يضمن طاعتهم وولائهم وتنفيذهم للواجبات والاوامر .

(١) خضر، د. احم ابراهيم . علم الاجتماع العسكري ، ص ٨٢.

(٢) المصدر السابق، ص ٨٣.



وللرتبة العسكرية خواص معينة يشعر بها العسكريون جميعا، فالعسكري يخضع ويطيع ويمتثل لاوامر صاحب الرتبة التي تكون أعلى من رتبته ويأمر ويوجه ويقود صاحب الرتبة التي تقل عن رتبته. لهذا تكون شخصية العسكري شخصية مزدوجة ومعقدة لانها تقود وتقاد في آن واحد (١)

#### ج - مساهمة كافة العسكريين في تحمل الاعباء والواجبات :

من خواص النظم العسكرية إتاحة المجال لكافة العسكريين وليس لنفر منهم بتحمل الواجبات والاعمال الملقاة على عاتقهم. فالدور الوظيفي الذي يشغله العسكري هو الذي يحدد واجباته ويوضح طبيعة المهام التي ينبغي القيام بها . كما إن واجبات كل دور من أدوار النسق العسكري مكملة لواجبات الأدوار الأخرى. فدور الضابط لا يستطيع العمل والفاعلية دون وجود دور الجندي، ودور الجندي لا يمكن أن يكون مؤثرا دون أن يكون متعلقا بدور الضابط (٢) . إن الضابط هو الذي يصدر الأوامر للجنود ويشرف على تنفيذها ويصحح مواقع الخلل إن وجدت، والجندي هو الذي ينفذ أوامر الضابط ويتحمل واجبات التدريب والدفاع والهجوم وإدامة الأسلحة وإداء بعض المهام الإدارية التي تتطلبها الوحدة القتالية .

ومن الجدير بالإشارة إليه أيضا أن التشكيل المقاتل الجيد هو التنظيم العسكري الذي يعتمد على أسس تقسيم العمل والتخصص فيه ويدفع كافة أعضائه إلى المشاركة في اعباء العمل المطلوب. والمشاركة الجماعية في إداء الاعمال والواجبات تتطلب درجة عالية من التعاون بين أفراد المجموعة أو التشكيل. أما إذا وقع العمل على جماعة معينة من المقاتلين ولم يشترك الباقون في إداء العمل فإن هذا سيؤثر تأثيرا سلبيا على طبيعة ونوعية العمل المنجز ويخلق نوعا من التذمر والاستياء بين أفراد المجموعة بحيث تتصدع المجموعة ويضعف كيانها وتكون عاجزة عن تحقيق أبسط أهدافها وطموحاتها . لذا تصبح مهمة اشراك كافة العسكريين في الواجبات

(١) المصدر السابق، ص ٨٤.

(٢) المصدر السابق، ص ٨٥.

والمسؤوليات التي تضطلع بها الوحدات القتالية من الشروط الأساسية التي ينبغي أن تتسم بها النظم العسكرية الناجحة والفعالة .

#### د- السلطة والمنزلة في النظم العسكرية :

تكمن السلطة التي يتمتع بها العسكري مهما تكن رتبته بالدور الوظيفي الذي يشغله في القوات المسلحة. فدور العسكري هو الذي يحدد واجباته وصلاحياته وفي نفس الوقت يعين منزلته وحقوقه وامتيازاته. لكن السلطة العسكرية إنما هي القوة التي تمارسها الادوار الوظيفية المتصلة الواحدة بالآخرى والتي تكون مدعومة بالنظم والقوانين المدونة أو غير المدونة<sup>(1)</sup>. إن أي قرار عسكري يتعلق بالتدريب أو التعبئة أو الهجوم أو الدفاع يتطلب صدور القرار من المراكز القيادية في السلطة ومروره بالمراكز الوسطية ثم القاعدية. فقرار تكثيف التدريب العسكري قد يصدر من القيادة العامة للقوات المسلحة ويذهب إلى كافة الوحدات والتشكيلات القتالية لوضعه موضع التنفيذ ابتداءً بالفيلق ومروراً بالفرقة واللواء وانتهاءً بالفصيل والحظيرة. لكن القرار لا ينفذ دون تمتع الجهة المنفذة للقرار بصفة الشرعية والقانونية، أي تكون جهة مطاعة ومحترمة لأنها تعمل للصالح العام وتريد تحقيق الاهداف الاستراتيجية للقوات المسلحة.

إذن من الصفات المهمة التي يتميز بها النسق العسكري وجود سلطة تعتبر بمثابة الوسيلة الشرعية التي يعتمدها النسق لضمان تجاوب وانسجام سلوك أبناء القوات المسلحة مع أهدافه وطموحاته. إلا أن الوظيفة الرئيسية لنظام السلطة في القوات المسلحة لا تتجسد في إصدار الأوامر والإيعازات بقدر ما تتجسد في ضمان طاعة هذه الأوامر والإيعازات الصادرة من المراكز القيادية في النسق العسكري. لكن هناك طريقة مهمة يستطيع النسق العسكري من خلالها ضمان طاعة أعضائه ومنتسبيه، وهذه الطريقة تظهر في خلق مراكز السلطة الشرعية التي تتولى اتخاذ

(1) Barnard, C. The Functions of the Executive, Harvard University Press, Cambridge, 1975, P. 136.

الأوامر ووضعها موضع التنفيذ، وتوجد السلطة الشرعية في النسق العسكري عندما يشعر الأفراد الخاضعين لها بأنهم ملزمون على الانصياع لأوامرها وتنفيذ متطلباتها بدون شرط أو قيد. والسلطة في النظام العسكري تتركز في المناصب القيادية والمسؤولة التي تتولى عمليات تنفيذ القرار وتحقيق أهداف النظام<sup>(١)</sup>. ويتميز النسق العسكري باعتماده على نظام المنزلة Staus System ، وبالمنزلة نعني السمعة والشرف والاحترام الذي يعطى للمركز الوظيفي في المنظمة الاجتماعية<sup>(٢)</sup>. أما نظام المنزلة فنعني به ميل الأدوار إلى التدرج الوظيفي بناءً على الكمية النسبية من السمعة والجاه التي تمتلكها. هناك عدة أنظمة مختلفة من المنزلة تعمل في المنظمة العسكرية بعضها رسمي ومُعترف به وبعضها الآخر غير رسمي. فنظام المنزلة الرسمية يتماشى مع نظام السلطة الذي يعتمده النسق العسكري. فكلما يمتلك المركز العسكري سلطة أكبر كلما يكون هذا المركز محترماً والعكس بالعكس إذا لا يمتلك المركز السلطة العالية .

والنظام الآخر للمنزلة في النسق العسكري لا يعتمد على المركز الوظيفي الذي يحتله الفرد بل يعتمد على الخبرات النادرة والمؤهلات العلمية ونوعية التدريب العسكري والتقني الذي يتمتع به العسكري. فالمهندس العسكري الذي يحتل موقعا متواضعا في نظام السلطة قد يمنح درجة عالية من الاحترام والتقدير نتيجة لمؤهلاته العلمية ودراسته الطويلة وتدريبه الفني .

إن السمعة التي تعتمد على السلطة تتشابه مع السمعة التي تعتمد على الخبرة والمهارة إذ أن كليهما يحصلان على الاعتراف الرسمي من لدن النظام البيروقراطي والاعتراف الرسمي بالمراكز السلطوية في المنظمات العسكرية يعبر عن نفسه في الرواتب العالية والالقاب والامتيازات التي يتمتع بها أصحاب هذه المراكز، أو في

(١) Weber,Max,The Theory of Social and Economic Organization,New York,1981,P. 355.

(٢) Schnider,E. Industrial Sociology,P. 81.

الحفلات الطقوسية التي تقام لاعضاء هذه المراكز قبل اشغالهم إياها أو عند تقاعدهم منها.

#### هـ - المعتقدات والقيم والاهداف المشتركة :

ومن الخصائص الاخرى التي يتميز بها النسق العسكري ضرورة التزام افراده بمعتقدات وقيم وأهداف مشتركة تساعد على وحدة وتماسك انظمتهم ومؤسساتهم إلى درجة أنها تكون قادرة على تحقيق أهدافها وطموحاتها القريبة والبعيدة. إن إيمان وتمسك أبناء القوات المسلحة بمعتقدات وقيم وأهداف مشتركة تؤدي إلى نبذ بوادر الخلاف والشقاق بينهم وتساعد على اقترابهم وانسجامهم الواحد مع الآخر مما يدفع لظهور الوحدات والتشكيلات القتالية الموحدة والقوية التي تستطيع الدفاع عن الوطن والذود عن كرامته وسلامة أراضيه. لذا تصبح مهمة زرع المعتقدات والمبادئ والقيم السلوكية الايجابية عند أفراد القوات المسلحة من أهم وأخطر المهام التي ينبغي أن تتبناها القيادات العسكرية لكي تستطيع خلق الجيش المنسجم الموحد الذي يتحمل مسؤوليات الحرب والبناء في آن واحد .

أما إذا لم تستطع القوات المسلحة تحقيق الوحدة الايديولوجية والنضالية لابنائها المقاتلين فإن الوحدات والتشكيلات القتالية ستكون مفككة ومبعثرة ومنقسمة على نفسها بحيث تكون ضعيفة وغير قادرة على تحقيق أبسط أهدافها الاستراتيجية. إذن والحالة هذه يتطلب من النسق العسكري الاهتمام بأيديولوجية أفرادهم وقيمهم وأهدافهم المشتركة قبل الاهتمام بقضايا التدريب والتسليح والتأهيل على أشغال المراكز العسكرية الحساسة. ذلك إن وحدة أبناء القوات المسلحة عن طريق إيمانهم بأفكار ومبادئ وقيم ثابتة ومعينة إنما هي الوسيلة التي تمكنهم من بلوغ درجات متميزة في التدريب والتأهيل والهجوم والدفاع عن الوطن وحرمة .

لكن المعتقدات والقيم والاهداف التي ينبغي على أبناء القوات المسلحة الايمان بها والتمسك بتعاليمها يجب أن تكون مشتقة من أيدولوجية النظام الاجتماعي ويجب أن تتبناها عدة جماعات مرجعية في آن واحد كالاسرة والمدرسة والمجتمع المحلي

---

---

ومكان العبادة ووسائل الاعلام الجماهيرية ٠٠٠ الخ<sup>(١)</sup> . لكي يسهل على المقاتلين التمسك بها والتصرف بموجب تعاليمها وقوانينها. وهنا يكون أبناء القوات المسلحة موحدين واقوياء وقادرين على الكفاح والعمل في سبيل النهوض بالمجتمع والدفاع عن كرامته وصيانة أمنه ضد الطامعين .

---

(١) Dooern, J.V. Armed Force and Society, Op.Cit,P. 24.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

## الفصل السابع

### البيروقراطية في النسق العسكري

النظم العسكرية هي بنى ذات أنساق متكاملة هدفها تهيئة القوة القتالية التي يحتاجها المجتمع خلال فترتي السلم والحرب. فخلال فترة السلم تعتبر القوة القتالية عامل ردع يمنع كل من تسول له نفسه الاعتداء على حرمة المجتمع واستقلاله وخالل فترة الحرب تؤدي هذه القوة دورها الفاعل في الدفاع عن الوطن والحفاظ على وحدته وسلامته من شرور الاعداء والمغتصبين . والنظم العسكرية لا تستطيع إداء واجباتها والايفاء بالتزاماتها تجاه الفرد والجماعة والمجتمع دون امتلاكها للتشكيلات القتالية المدربة تدريباً عسكرياً جيداً والمجهزة بالاسلحة الهجومية والدفاعية المتطورة والمؤمنة بالادبولوجية المتكاملة التي توضح لها عدالة القضية التي تقاوم من أجلها<sup>(١)</sup>. لكن النظم العسكرية على اختلاف حجومها وتوجهاتها القتالية ومنطقاتها المبدئية تعتمد على أسس البيروقراطية في التنظيم وبرمجة العمل والسيطرة على الانشطة الدفاعية والهجومية<sup>(٢)</sup>. ذلك إن القوات المسلحة لا تستطيع العمل والفاعلية دون انتهاجها مبادئ التنظيم البيروقراطي، هذه المبادئ التي تعتمد نظام التخصص الوظيفي في العمل وتحمل المسؤولية وفق الهياكل العمودية والافقية للمؤسسة العسكرية، وأخيراً التصرف وفق نظامي السلطة والمنزلة التي تعتمد عليهما المؤسسة العسكرية في مهامها الوظيفية<sup>(٣)</sup>. إن القوات المسلحة تقسم إلى وحدات قتالية

(١) اللواء الركن مكي مصطفى حمودات. العقيدة العسكرية بين النظرية والتطبيق، مرجع مذكور سابقاً، ص

٥٩-٦٠.

(٢) خضر، د. أحمد ابراهيم. علم الاجتماع العسكري، مرجع مذكور سابقاً، ص ٩٧-٩٨.

(٣) Gerth, H. and C. Mills, Character and Social Structure, Op.Cit., P. 26.

متخصصة، كل وحدة منها يعمل فيها اشخاص يشغلون أدواراً اجتماعية وظيفية مختلفة في واجباتها وحقوقها، وأسس البيروقراطية لا تساعد المنظمة أو المؤسسة العسكرية على اتقان دورها القتالي فحسب بل تساعد أيضاً على حصر المسؤولية وكشف الخطأ والسيطرة على العملية الدفاعية التي تتبناها القوات المسلحة مهما يكن حجمها. إضافة إلى أهميتها في اعتماد الصيغ العلمية والتكنولوجية في إداء العمل. ذلك إن المراكز البيروقراطية تحتاج إلى مهارة وكفاءة وتكنولوجية ينبغي أن تتوفر عند الاشخاص (المقاتلين) الذين يشغلونها (١).

يهتم هذا الفصل بدراسة أربع موضوعات أساسية هي :

- ١- خصائص البيروقراطية كما يحددها ماكس فيبر.
  - ٢- درجة انطباق خصائص البيروقراطية على النسق العسكري.
  - ٣- العلاقة بين العسكري والمدني.
  - ٤- البناء غير الرسمي للنسق العسكري.
- والآن نود دراسة هذه الموضوعات بالتفصيل .

أ خصائص البيروقراطية كما يحددها ماكس فيبر :

يستخدم اصطلاح بيروقراطية استخداماً دقيقاً ليعني نوعاً معيناً من أنواع التنظيم يخضع فيه الافراد للقواعد والقوانين المدونة (٢). ويعتمد على مجموعة مبادئ أهمها توزيع الاختصاصات وتحديد المسؤوليات وتسلسل السلطات وذلك من أجل تحسين فعالية المنظمة وزيادة قدرتها على إداء الاعمال. ويطبق اصطلاح البيروقراطية على كافة المؤسسات الكبيرة الحجم كالمؤسسات العسكرية والمؤسسات الصناعية والمؤسسات التربوية والتعليمية والمؤسسات السياسية والمؤسسات الدينية... الخ. في كافة المؤسسات البيروقراطية ينبغي التمييز بين المراكز القيادية

(١) Schneider, E. Industrial Bureaucracy, New York, Mc Graw-Hill, 1977, P.76.

(٢) الحسن، د. احسان محمد. علم الاجتماع الصناعي، بغداد، مطبعة جامعة بغداد، ١٩٨٦، ص ١٠٩.



للبيروقراطية وبنين الجماهير التي تحكمها هذه المراكز . ففي جالة الكنيسة الكاثوليكية هناك فوارق حادة بين مراكز الكهنة الكبار ومراكز الكهنة الصغار . وفي الجيش هناك فوارق بين الضباط والجنود . وفي الصناعة هناك فوارق بين الإدارة والعمال . لذا عند التكلم عن البيروقراطية من الضروري وضع هذه الفوارق في نظر الاعتبار حيث أن الشروط والاحكام التي تطبق على المراكز البيروقراطية تختلف عن تلك التي تطبق على عوام الناس .

يتكون الهرم البيروقراطي في المؤسسة العسكرية من مجموعة مواقع ومراكز لكل منها واجبات وفعاليات معينة . وهناك أحكام ونظم تحدد التزامات ووظائف المركز العسكري وعلاقته بالمراكز الاخرى والحقوق والامتيازات المادية والمعنوية التي يتمتع بها . وللمركز في الهرم البيروقراطي اسم معين كقائد الفرقة وأمر اللواء وأمر الفوج وأمر السرية ٠٠٠ الخ . وهذه المراكز ترتبط بعضها مع بعض في أحد المجالين التاليين: فمن جهة نرى بأن للمراكز التزامات معينة تجاه المراكز الاخرى كأن تزود بعض المراكز الخبرات والمعلومات الفنية إلى المراكز الاخرى . ومن جهة ثانية نرى بأن المراكز منظمة بصورة محور عمودي . فالمركز الواحد يحكم المراكز الدنيا ويخضع في ذات الوقت لأمرية المراكز العليا (١) .

يعتبر ماكس فيبر (١٨٦٤-١٩٢٠) من أهم علماء الاجتماع الذين عالجوا موضوع البيروقراطية معالجة سسيولوجية حديثة وذلك بعد أن فصل فكرة البيروقراطية عن الافكار العاطفية والانفعالية التي أحاطت بها لفترة طويلة من الزمن . فقد اعتقد بأن النظام البيروقراطي هو شيء لا يمكن الاستغناء عنه عند إنجاز الاهداف العقلانية لمؤسسات ونظم المجتمع لاسيما المؤسسات العسكرية (٢) . والبيروقراطية عند ماكس فيبر هي نسق اجتماعي موجه لانجاز أهداف معينة ويدار على أساس من

(١) Schneider, E. Industrial Sociology, P. 77.

(٢) Bendix, R. Max Weber: An Intellectual Portrait, New York, Double day, 1980, P. 421.

المعرفة والخبرة والقواعد المحددة. ومهما تكن طبيعة التنظيم البيروقراطي، طبيعة بسيطة أو معقدة، فإن للتنظيمات البيروقراطية سمات وقواعد بنائية مشتركة تحدد طبيعة العضوية فيه. ويعرف النسق العسكري أكثر من أي تنظيم آخر في حدود البيروقراطية، إذ اعتبره الباحثون النموذج الاصلني لها من حيث تفويضه الدقيق للمسؤولية وتوزيعه للامتيازات على من يشغلون أوضاعاً معينة في التدرج الهرمي. لهذا يرى فيبر في النسق العسكري الشكل المتطور والنهائي للبيروقراطية (١).

وقد طبق ماكس فيبر مذهب المشهور النموذج المثالي Ideal Type في تعريف ودراسة المزايا الجوهرية للنظام البيروقراطي. وقال بأن البيروقراطية تتميز بالخصائص التالية :

- ١- الاحكام والقوانين العقلانية هي التي تحدد واجبات ووظائف الادوار الادارية في المؤسسة العسكرية. وإن هذه الادوار إنما هي أدوار إحصائية يحتلها ضباط أو مراتب مؤهلون عقلياً وعلمياً .
- ٢- إن الادوار الإدارية تكون على شكل مراتب متسلسلة من ناحية مقدار سلطتها وقوتها الإدارية. (٢).
- ٣- تعتمد الإدارة البيروقراطية على وثائق ومستمسكات مدونة لا يستطيع الهيمنة عليها إلا من حصل على تدريب ودراسة خاصة في الشؤون الادارية .
- ٤- يعين أو يستخدم العسكريون (الضباط أو المراتب) على أساس مؤهلاتهم الفنية وقابلياتهم في المهام القتالية التي اكتسبوها عن طريق الدراسة الطويلة أو التجربة أو الخبرة.

(١) Ibid., P. 422.

(٢) Coats, C. and R. Pellegin. Military Sociology, Mary Land. The Social Sciences Press, University Park, 1965, PP. 97-98.

- ٥- لا يمتلك العسكري مركزه الوظيفي ولا الأدوات التي يستعملها في تنفيذ واجباته.
- ٦- يرقى العسكري من رتبة إلى رتبة أخرى إذا ثبت كفاءته الوظيفية والقتالية وأدى مهامه حسب المطلوب.
- ٧- يتقاضى العسكري راتباً يتحدد بمنزلة مركزه الوظيفي. إضافة إلى حصوله على درجة من الجاه والشرف الاجتماعي من الناس المحيطين به (١).
- ٨- تتميز البيروقراطية بالاشخصية في العلاقات بين الضباط البيروقراطيين ومرؤوسيهـم .
- ٩- يجري تقييم سلوك شاغل المنصب وفقاً لانبضاط دقيق تمارسه السلطة التنظيمية على التزاماته الرسمية وغير الشخصية، ولا تخضع الجوانب غير الرسمية لحياة البيروقراطي لضبط النظم .
- ١٠- تتميز السلطة البيروقراطية بأنها دائمية ويمكن ممارستها بالتفويض .
- ١١- يعتبر كل منصب في التنظيم البيروقراطي موضعاً لصنع القرار.
- ويضيف فيبر في دراسته للنموذج المثالي للبيروقراطية بأن الفعالية المتميزة هي النتيجة المتوقعة من التنظيم البيروقراطي . فالفرد الذي يريد أن يؤدي عمله بصورة فعالة ما عليه إلا أن يطبق مهارته في العمل بنشاط وتعقل. أما المنظمة التي تريد أن تؤدي عملها بصورة فعالة فإن ما يطلب منها كثير، إذ يجب أن يتوفر لكل عضو فيها مهارة وخبرة لازمتان لقيامه بالمهمة المعهود إليه بها، وهذا هو القصد من التخصص ومن اختيار الموظفين على أساس الكفاءة الفنية التي كثيراً ما يتم التحقق منها عن طريق الاختبارات الموضوعية .

(١) Ibid., P. 100.

## ب - درجة انطباق خصائص البيروقراطية على النسق العسكري:

النسق العسكري بناءً لا شخصي تتحدد شرعية السلطة فيه في المنصب وليس بمن يشغله. ويشغل المنصب بعد فحص دقيق لمدى صلاحية من يشغله. ويتقدم شاغل المنصب بعد مراحل منتظمة من الترقيات تعتمد على الاقدمية وتنتهي هذه المناصب بالاحالة على التقاعد <sup>(١)</sup>. والراتب العسكري إنما هو وسيلة للحفاظ على مقتضيات المكانة الاجتماعية للمهنة العسكرية أكثر من كونه أجراً عن عمل شاق. لهذا فالوصول إلى هذه المكانة يتطلب تشرب المهارات العسكرية عند العسكري وتلون أنماط سلوكه بموجب متطلبات العقيدة والمهنة العسكرية.

إن عدم التأكد الدقيق من توقيت القتال هو الذي يفرض النمط البيروقراطي على النسق العسكري. فالمعاملات العسكرية ليست محددة بإطار زمني معين. والممارسة العملية للقوة العسكرية إنما هي وظيفة طارئة وليست روتينية. لهذا يتطلب من النسق العسكري الاستعداد لخوض المعركة في مختلف الظروف والاقوات. فعدم الاستعداد لخوض المعارك في أوقاتها يعني الهزيمة العسكرية التي تنهي الحياة العسكرية للمقاتل وتعرضه لانواع الشدائد والازمات وتعرض مجتمعه كذلك. لذا كان لازماً عليه الاستعداد للمعركة والتأهب لها والاقتراء بالخصائص التي تملئها عليه مؤسسته البيروقراطية.

وهناك ميزة أخرى للمؤسسة العسكرية البيروقراطية وهي أنها تطلب من كوادرها إحراز درجة معينة من الخبرة والمعلومات الاخصائية. فكل مركز عسكري في الهرم البيروقراطي يجب أن يتمتع بالخبرة والكفاءة التي تطبق مع مستواه وقيمه الوظيفية وطبيعة المسؤوليات القتالية التي يتحملها في النسق العسكري <sup>(٢)</sup>. لكن الخبرة والكفاءة اللتين يحملهما العسكري تستلزم حصوله على ثقافة رسمية وتدريب متميز وممارسة طويلة في إداء العمل المطلوب. لهذا كلما تقدم زمن خدمة العسكري

(١) Ibid., P. 103.

(٢) Ibid., P. 105.

كلما ارتفع مستوى المؤهلات العلمية والخبرات العملية التي ينبغي عليه اكتسابها والتزود بها.

والدائرة العسكرية البيروقراطية تتميز عن غيرها من الدوائر بكثرة وثائقها ومستمسكاتنا وسجلاتها وأوراقها التي تتعامل بها كافة اقسامها وفروعها ومراكزها الوظيفية. علماً بأن الوحدات العسكرية الكبيرة تحتاج إلى عدد كبير من الاخصائين والاجهزة والمعدات التكنولوجية التي تستطيع تنظيم وتصنيف الاوراق والمحافظة على السجلات والوثائق المهمة. لهذا ينعت الاشخاص الاعتياديون المنظمات البيروقراطية بمنظمات الشريط الاحمر Red Tape Organization .

زد على ذلك تتميز المؤسسة العسكرية البيروقراطية بالعلاقات المتينة بين المركز البيروقراطي والاداري العسكري الذي يشغله . فالمركز البيروقراطي يستمر على مر الزمن بالرغم من طبيعة وصفات الاشخاص الذين يشغلونه. فمركز مدير إدارة الضباط مثلاً يستمر في الوجود طالما أن هناك جيشاً . فضلاً عن أن النفوذ والسمعة والقوة التي يتمتع بها صاحب المركز البيروقراطي لا تعود اليه بالذات بل تعود إلى المركز الذي يشغله. وصاحب المركز لا يمتلك أدوات ومعدات مركزه كالمنضدة والتلفون والاثاث والقرطاسية والسيارة وبقية الاجهزة الكتابية الاخرى. ذلك أن هذه الادوات والمعدات تعود إلى المركز والدائرة التي يعمل فيها. وهنا يستطيع الاداري فتح حساب بالمصروفات التي ينفقها على متطلبات مركزه ودائرتة . ويمكننا القول في هذا الصدد بأن الجندي لا يمتلك وسائل له والضابط لا يمتلك دائرته البيروقراطية إذ أن كليهما يعملان لقاء راتب معين.

ومع هذا فإن هناك ثمة اختلافات بين علاقة الضابط بدائرتة وعلاقة العامل بعمله. فالدائرة العسكرية تفرض واجبات وقيود معينة على الضابط والدخل الذي تمنحه له لا يكون على شكل أجور بل يكون على شكل راتب يضمن له نوعاً من المستوى المعيشي الذي يليق بطبيعة مهنته ومكانته في المجتمع. إضافة إلى أن الضابط ينبغي عليه التمسك بأخلاقية المهنة التي يمارسها وأن يكن الولاء والاخلاص

للمنظمة أو المؤسسة العسكرية التي يعمل فيها. كما ويعين الضابط في مركزه لفترة غير محددة بعكس العامل الذي يستخدم فقط عندما تكون هناك حاجة لعمله. كما أن الضابط في النظام العسكري البيروقراطي يمارس مهنته ويتقيد بضوابطها ويتوقع الترحيل والترقية من مركز لآخر كلما طالت فترة خدمته. وكلما ارتقى الضابط إلى المراكز العسكرية العليا كلما زادت درجة قوته ونفوذه وسمعته وازداد راتبه (١). ويتوقع الضابط مقدماً المركز الذي سيصل إليه ودرجة الراتب الذي سيتقاضاه إذا كانت خدماته مرضية وسلوكه جيداً ويتمتع بالخبرات والمؤهلات العلمية والفنية التي يتطلبها مركزه الوظيفي في النسق العسكري .

والانساق العسكرية كالبيروقراطيات متدرجة تدرجاً هرمياً (٢) . فهناك المراكز القيادية والمراكز الوسطية والمراكز القاعدية. ولكل من هذه المراكز سلطاتها الشرعية وواجباتها المحددة التي يلتزم بها العسكريون. كما أن لهذه المراكز منزلتها التي تحدد طبيعة وحجم الامتيازات المادية والمعنوية التي تتمتع بها. علماً بأن واجبات المراكز العسكرية تكون متطابقة مع حقوقها وامتيازاتها. فإذا كانت الواجبات كبيرة كواجبات الطيارين مثلاً فإن الحقوق ينبغي أن تكون كبيرة. والعكس هو الصحيح إذا كانت الواجبات قليلة وبسيطة .

ويتشابه النسق العسكري مع النمط البيروقراطي في استطاعة الفرد في كل منهما التحرك خلال السياق المهني من مسؤولية اقل إلى مسؤولية أكبر وإلى سلطة تقوم على الاقدمية أو الانجاز الفني أو كليهما. وأخيراً نلاحظ بأن السلطة في كل من النمط البيروقراطي والنسق العسكري إنما هي سلطة عقلانية Rational Authority تحددتها الاحكام والضوابط والقوانين التي تتوخى تحقيق المصلحة العامة.

(١) Ibid., P. 107.

(٢) Ibid., P. 10.

## جـ - البناء غير الرسمي للنسق العسكري :

لم يهتم ماكس فيبر بدراسة البنى غير الرسمية للمؤسسات الاجتماعية التي درسها بل اهتم فقط بدراسة وتحليل البنى الرسمية للمؤسسات (١) . أما غوفمان Goffman فقد درس البنى الرسمية وغير الرسمية للمؤسسات . فقد اطلق على البنى الرسمية للمؤسسات اصطلاح الكيفيات الاولية التي يعني بها الانماط السلوكية للأفراد التي يقبلها البناء الرسمي للمؤسسة. أما البنى غير الرسمية فقد أطلق عليها اصطلاح الكيفيات الثانوية، وهي النماذج السلوكية التي يقوم بها الافراد في المؤسسات والتي لا يقرها النظام الرسمي ولا يوافق عليها (٢) . ومن الجدير بالذكر أن البنى الرسمية للمؤسسة العسكرية هي الهيكل الرسمي الذي تقره المنظمة العسكرية وتطلب من الافراد الالتزام ببنوده وصيغته الوظيفية والتنظيمية. ويتكون الهيكل الرسمي للمؤسسة العسكرية من أدوار متدرجة تربطها علاقات عمودية وأفقية. ولهذه الأدوار واجباتها الرسمية وحقوقها المادية والمعنوية التي تحددها اللوائح الداخلية للمؤسسة العسكرية والتي ينبغي على العسكريين الالتزام بنصوصها وتعاليمها. فالقانون الرسمي للمؤسسة العسكرية هو الذي يحدد مثلاً واجبات وحقوق أمر اللواء ويحدد نظام علاقاته الاجتماعية ويحدد أنظمة السلطة والمنزلة التي يتمسك بها. وعلى أمر اللواء الالتزام بالقانون الرسمي لمؤسسته وحث الآخرين ممن هم تحت أمرته الالتزام بنفس بنود القانون والا تعرضوا للعقوبات التي يفرضها القانون عليهم.

غير أن بعض العسكريين لا يرتاحون أحياناً إلى البناء الرسمي لمؤسستهم نظراً لتعدد وتصلب البناء في تطبيق القوانين التي يفرضها على الاعضاء والتناقض بين نصوص قوانينه وضوابطه وبين ميول واتجاهات ونوازع الافراد الذين يخضعون

(١) Weber, M. The Theory of Social and Economic Organization, 1969, P. 329.

(٢) Zuricher, L. The Sailor Aboard Ship, Social Forces, 43, 1965, P. 393.

له. لذا ظهر البناء أو التنظيم غير الرسمي في المؤسسة العسكرية ليحقق الاهداف التالية للأفراد الذين يكونونه :

- ١- إسعاف الضباط والجنود من الروتين الذي يصاحب البناء الرسمي وتحريرهم من الملل والتعب والاعياء الجسمي والعقلي الخاص بالمهام التي يؤدونها والتي يؤكد عليها التنظيم الرسمي.
- ٢- إعطاء المجال للضباط والجنود بالحصول على منزلة اجتماعية افضل، فالتنظيم غير الرسمي يوكل لبعض الضباط والجنود المناصب الادارية التي لا يستطيعون الحصول عليها في ظل التنظيم الرسمي.
- ٣- إتاحة المجال للضباط والجنود للتعبير عن عواطفهم وانفعالاتهم.
- ٤- تمكين الضباط والجنود من تحقيق قدر كاف من الاستقلالية.
- ٥- ضمان الضباط والجنود وتأمين مستقبلهم.
- ٦- تحرر الضباط والجنود من القيود الرسمية الثقيلة التي يفرضها عليهم التنظيم الرسمي (١).

لهذه الاسباب كلها يرتاح العسكريون للتنظيمات غير الرسمية التي يكونونها أكثر مما يرتاحون للتنظيمات الرسمية التي يعملون في إطارها. غير أن التنظيمات غير الرسمية أو الجماعات غير الرسمية التي يكونها العسكريون تكون سرية ومجهولة ولا يعرفها القادة الرسميون للمؤسسة العسكرية. علماً بأن سرية الجماعات غير الرسمية في المؤسسة العسكرية ترجع إلى التناقض في الاهداف والاتجاهات بين التنظيم الرسمي والتنظيم غير الرسمي في المؤسسة العسكرية<sup>(٢)</sup>. ومن أمثلة التكييفات الثانوية أو الممارسات التي يعتمدها التنظيم غير الرسمي في المؤسسة العسكرية قص الشعر بطريقة تخالف التعليمات وارتداء الزي العسكري بطريقة مغايرة للطريقة الرسمية

(١) Ibid., P. 397.

(٢) Ibid., P. 398.



وتكوين الصداقات بين الضباط الكبار والصغار، هذه الصداقات التي تمكن الضباط الصغار من الحصول على بعض الامتيازات التي لا يقرها البناء الرسمي للمؤسسة كالحصول على الاجازة والحصول على النقل من صنف صعب إلى صنف بسيط وتمديد فترة الاجازة الدورية ٠٠٠ الخ من الامور التي يرفضها البناء الرسمي للمؤسسة العسكرية (١).

ونستطيع هنا دراسة البناء غير الرسمي للطيارين كفئة عسكرية مهمة في القوات المسلحة. وتناولنا لهذه الفئة يكون من زوايا أربع هي :

١- نسق المكانة.

٢- نسق القيادة.

٣- الثقافة الفرعية.

٤- النسق القيمي.

والآن نود دراسة هذه الزوايا الاربع لكي نستوعب طبيعة البناء غير الرسمي لفئة الطيارين.

١- نسق المكانة :

يشعر الطيار الجديد (الملازم) عند التحاقه بالسرب الجوي بالخوف والقلق العام نظراً لاحساسه بأنه يواجه حياة جديدة محفوفة بالمخاطر وأفراد غرباء، لا يعرف عنهم شيئاً. ويوضع الطيار الجديد في قاع نسق المكانة سواء كان في الارض أو في الجو. كما وينبه دائماً بأنه إذا أراد الاستمرار في هذه الحياة الجديدة: فإن عليه اتباع تعليمات ونصائح من هم أقدم وأكثر خبرة منه، وأن عليه أن يلتصق بقائده المباشر ولا ينفصل عنه وأن لا يتخلف عن أية طلعات جوية يقوم بها السرب (٢).

(١) Ibid., P. 400.

(٢) Stone, R. Status and Leadership in Combat Fighter Squadron," American Journal of Sociology", 15, 1964, P. 344.

كما وينبه أيضاً بأن السرب كوحدة متماسكة وليس كافراد، وأن عمل الفريق في الطيران إنما هو شيء أساسي للتقليل من الخسائر ولتحقيق أقصى حد ممكن من الانتصارات الجوية .

ويعرف الطيار الجديد مكانته بين الافراد الآخرين من خلال الآتي:

- ١- إنه يطير بأقدم الطائرات .
- ٢- إنه آخر من سيحصل على مستلزماته المعيشية في السرب.
- ٣- إنه لا غبار على الطيار القديم إذا حطم إحدى الطائرات أثناء تحليقه بها. وهذه القاعدة معمول بها فقط بالنسبة للطيار القديم ولا تطبق على الطيار الجديد الذي يعاقب بمختلف الطرق عن الاهمال المؤدي إلى الحوادث.
- ٤- إذا تحول إلى طيار أرضي فإنه سيمنع من الطيران ويحرم من القيام بالطلعات الجوية مع زملائه الطيارين في السرب.

من هنا يتبين للطيار الجديد أنه قد دخل في نسق مكانة معينة حيث أن حياته متوقفة على معرفته وعلاقته بمن هم أقدم منه. ويحدد التمييز الاساسي بين الطيار الجديد والطيار القديم بمقدار الوقت الذي يقضيه الطيار في السرب ويعدد الطلعات الجوية. ويمارس الطيار القديم على الطيار الجديد السلطة في المواقف التي ليس فيها طيران. ويتغير نسق المكانة تبعاً لدرجة تعاقب الطيارين. وتبعاً لهذا المعنى نلاحظ أن كل من أمضى ثمانية عشر شهراً ينظر إلى من أمضى ستة أشهر فقط على أنه جديد. وقد يختلف الامر في الوحدات الاخرى إذ قد يعتبر كل من أمضى ستة اشهر طياراً قديماً وذلك اعتماداً على حالات التنقلات السريعة أو الاستشهاد في العمليات الجوية أو عدم التواجد المستمر في السرب .

وتحدد مكانة الطيار الامتيازات والمساعدات التي يحصل عليها داخل السرب. فاستخدام سيارات النقل الخاص والطائرات الخفيفة للذهاب إلى اماكن الراحة والاستجمام والاجازات والترقيات والاستثناء من الواجبات الاضافية، كل هذا يجري وفقاً للفترة الزمنية التي يقضيها الطيار داخل السرب. وليست هناك تعليمات تنص

على أن للطيار الحق في إعطاء الأوامر لمن هو أدنى منه أو يطيع أوامر من هو أعلى منه لأن قائد السرب فقط هو الذي يعطي مثل هذه الأوامر. ومع ذلك فإن نسق المكانة صارم ومحدد ويؤدي وظيفته في الحفاظ على الانضباط. أما إذا انتقد الطيار الجديد حكم الطيارين القدامى فإنه ينضبط بسرعة عن طريق قائد السرب فإذا أراد الطيار الجديد أن يبقى داخل الجماعة فإن عليه إطاعة من هم أقدم منه. علماً بأن إطاعة الطيارين القدامى من قبل الطيارين الجدد تتيح الفرصة أمام الأخيرين بالحصول على الاجازات . كما ويقوم نسق المكانة على محك الخبرة القتالية حيث يتسق استخدام هذا المبدأ مع وظيفة السرب التي تبنى على تحطيم أكبر عدد من طائرات العدو وبأقل خسارة ممكنة لطائرات السرب. ويساعد نسق المكانة قدرة الطيارين على تعلم الطيران القتالي بأعلى درجة من الفاعلية والامن والا فإنهم يتحولون إلى طيارين أرضيين .

وللضباط الأرضيين ( غير الطيارين ) وضع خاص داخل نسق المكانة. فهم ليسوا عرضة لسياسة التعاقب أو التنقل المطبقة على الطيارين . ولا يستطيع الضباط الأرضيون الطيران مع بقية الطيارين. لهذا فهم لا يحملون الاجنحة فوق صدورهم ولا يتقاضون مخصصات هذه الاجنحة ولا يتمتعون بالاحترام والتقدير العالين اللذين يتمتع بهما الطيارون. إضافة إلى كون ساعات دوام الضباط الأرضيين أطول من تلك التي يتحملها الطيارون .

## ٢ - نسق القيادة :

يؤدي عامل التكيف مع نسق القيادة الدور الكبير في توجيه الطيار نحو مجموعة جديدة من القيم غير المعروفة في المجتمع المدني. هذه القيم التي لا علاقة لها بالامور الاقتصادية أو الاجتماعية أو التعليمية المحيطة بالطيارين، فبعد أن يقضي الطيار فترة من السرب تتراوح بين ٣-٦ أشهر تتاح له فرصة الترقية داخل السرب. وتختلف هذه الترقية عن الترقية الرسمية التي يحصل عليها الضباط الطيارون عن طريق السلطة الرسمية ووفق القواعد والتعليمات الخاصة بالترقيات

العسكرية للضباط. أما الترقية غير الرسمية التي يحصل عليها الطيارون داخل السرب فتجري وفق اعتبارين أساسيين هما:

١- توفر الحد الأدنى من القدرة على القيادة . علماً بأن مواصفات القدرة على القيادة هي الثقة العالية بالنفس، والبطولة في الجو والتفوق في الطيران، والقدرة على اتخاذ القرار السريع والشجاع (١).

٢- الوقت الذي يقضيه الطيار في السرب. فكلما كان الوقت طويلاً كلما كانت فرصة ترقيته كبيرة.

إن الطيارين يعتمدون على قائد السرب، لذا ينبغي أن تتوفر الصفات القيادية عنده. فقائد السرب هو الذي ينظم الطلعات الجوية ويحدد التكتيك الذي يتبعه الطيارون المقاتلون في مجابهة العدو وطريقة تحديد الاهداف وتدميرها. كما إن قائد السرب هو الذي يعطي الاشارة للاعضاء بإنهاء الطلعة الجوية والعودة إلى القاعدة ومغادرة الطائرات. وأخيراً يؤدي قائد السرب الدور المهم في تقوية معنوية الطيارين وتحقيق الوحدة بينهم كجماعة قتالية وحل المشكلات التي قد تجابههم واتخاذ القرار الفوري الذي يحدد مهام ومستقبل السرب ككل (٢).

#### الثقافة الفرعية :

رغم انتظام حياة الطيار اليومية وفقاً لنسق المكانة المشار إليه أعلاه والذي يؤدي الدور الكبير في تحديد العلاقات الانسانية بين الطيارين القدامى والجدد، فإن هناك عوامل أخرى تؤثر في تكوين العلاقة الاجتماعية الايجابية بين الطيارين. ومن أهم هذه العوامل الثقافة الفرعية للطيارين. فقد يكون مجموعة من الطيارين علاقة قوية نتيجة حملهم لثقافة فرعية واحدة متأتية من المنطقة السكنية التي يعيشون فيها أو الطبقة الاجتماعية التي ينتمون إليها أو الثقافة المدرسية التي يحملونها أو الايديولوجية

(١) Ibid.,P. 353.

(٢) Ibid.,P. 361.

الاجتماعية والسياسية التي يؤمنون بها. (١) . ومثل هذه العلاقة المثينة التي يكونها الطيارون في السرب تحافظ على نسق المكانة وتمكن السرب من إداء مهامه الاساسية وتحقيق أهدافه العليا. فضلاً عن أهميتها في إضفاء الجو الإنسري على السرب، هذا الجو الذي يحول السرب من تشكيل قتالي رسمي إلى تشكيل أسري يعتبر فيه قائد السرب بمثابة الأب الروحي للاعضاء، بينما ينظر للاعضاء نظرة الابناء في الاسرة الواحدة. إن مثل هذه العلاقات الجيدة التي تبنيتها الثقافة الفرعية للطيارين تغرز مكانة العضو الجديد في الجماعة وتمكنه من تعلم الانماط السلوكية اللازمة .

#### ٤ - النسق القيمي:

يرتبط النسق القيمي بتنظيم السرب، ويؤدي دوره الكبير في الحفاظ على التضامن الاجتماعي بين الطيارين. لكن قيم الجماعة تمرر من واحد لآخر عن طريق التعليم. فأول ما يتعلمه العضو الجديد هو مصطلحات الطيران وفنون القتال الجوي وضرورة التركيز على مهنة الطيران. أما مصدر النسق القيمي في السرب فهو القيادة وخبرة المعركة (٢) . كما إن النسق القيمي في السرب هو الذي يدفع الطيارين إلى الاعتداد بأنفسهم وأهميتهم في القوات المسلحة . فالطيارون يعتبرون أنفسهم أفضل من الضباط الارضيين وافضل من المدنيين . وذلك للخبرات الفنية التي يمتلكونها والاطار التي يتعرضون لها والاحترام والتقدير اللذين يحصلون عليهما من المجتمع (٣) . وينتشر بين أعضاء السرب فخر جماعي يقوي نظرتهم لانفسهم بحيث يشعرون بأنهم جماعة خاصة لها قيمتها وهيبتها في المجتمع، وان كلاً من هو خارج عن جماعتهم هو أدنى منهم.

(١) Ibid.,P. 366.

(٢) Ibid.,P. 370.

(٣) Ibid.,P. 372.

ويؤثر النسق القيمي في كل مظاهر سلوك الجماعة. فالاختلافات بين الطيارين من الناحية التعليمية مثلاً لا تؤثر في مهام السرب لان السرب كله متكامل حول وظيفته. وهنا لا يكون من المتوقع أن يصبح للمتعم الجامعي أهمية خاصة عن غيره سوى أنه يتحدث بطريقة أفضل. وترفض أية محاولة يظهرها الطيار بأنه أفضل من غيره بسبب امتيازات يتمتع بها في المجتمع المدني. أما بالنسبة للمنافسة والصراع داخل السرب فنلاحظ بأن المنافسة تكون في تكتيك الطيران والترقية والاجازات. أما الصراع فيحدث بين الطيارين حينما يساء اختيار القادة وحينما يشعر الطيارون أن هناك تفرقة فيما بينهم لسبب أو لآخر.

#### ٥- العلاقة بين العسكري والمدني :

قبل دخول نتائج الثورة العلمية والتكنولوجية إلى الجيوش كانت هناك فوارق كبيرة بين العسكريين والمدنيين، بل كان هناك انفصال بين هاتين الفئتين. فكل فئة تعتقد بأنها بعيدة عن الفئة الأخرى ولا يمكن أن تكون معها علاقة إيجابية. كما أن التعاون بين الفئتين كان ضعيفاً وهشاً وذلك لاختلاط نمط العمل الذي تضطلع به كل فئة من هذه الفئات. فالعسكريون مسؤولون عن مهمة الدفاع عن الوطن وحماية الحدود من المعتدين والتوسعيين والحفاظ على الامن والتراث والمقدسات. أما المدنيون فهم مسؤولون عن قضايا الانتاج والتنمية والتطوير وإدارة شؤون البلاد وتنظيم العلاقات السياسية بين بلدهم والبلدان الأخرى. علماً بأن العسكريين ينفذون أوامر وتوجيهات الساسة والحكام الذين غالباً ما ينحدرون من أصول مدنية<sup>(١)</sup>. وإذا لم ينفذ العسكريون أوامر وإيعازات الساسة والحكام فإنهم يتعرضون للحساب الشديد الذي قد ينهي دورهم في القوات المسلحة .

إن لكل سياسي أو حاكم قاداته العسكريين الذين يعتمد عليهم في تثبيت سياسته أو أركان حكمه. فتشرشل أبان الحرب العالمية الثانية كان له قاداته ومستشاروه

(١) خضر، د. أحمد ابراهيم. علم الاجتماع العسكري، ص ٨٩-٩٠.

العسكريون أمثال مونتيغمري وكيننكهام ومونت باتون<sup>(١)</sup> . وهنتر كان له قادته العسكريون أمثال غورنغ وكلوبز وهيملر ورنديشتاد. إن السياسي يعتمد على العسكري في تثبيت أقدامه وتعزيز سياسته وحكمه. كما إن العسكري يعتمد على السياسي في بقاءه في مركزه القيادي في القوات المسلحة. لذا يحرص السياسي على توطيد علاقته بالعسكري الذي يحافظ على استمرارية النظام الحاكم وصيانتته من شرور الأعداء، ويكافح العسكري من جانبه من أجل حماية النظام الحاكم واستمراره في الحكم. ذلك أن نجاح العسكري في هذه المهمة هي التي تضمن بقاءه في المركز القيادي، وأن إخفاقه في المهمة تؤدي إلى إنهاء موقعه القيادي واستبداله بقائد عسكري آخر لاسيما بعد سقوط السياسي وإنهاء دوره في عملية الحكم .

يمكن تحديد الاختلافات بين العسكري والمدني بالنقاط التالية :

- ١- إن المهام الوظيفية للعسكري تختلف عن المهام الوظيفية للمدني. فالعسكري مسؤول عن التدريب والتعبئة والقتال، بينما المدني مسؤول عن مهام الإنتاج والتنمية والإدارة .
- ٢- إن المظهر الخارجي للعسكري يختلف عن المظهر الخارجي للمدني. فالعسكري يرتدي البدلة العسكرية المخصصة له، بينما يرتدي المدني الهنّام المدني الذي يختاره هو بنفسه<sup>(٢)</sup> .
- ٣- إن سلوك وقيم ومقاييس العسكري تكون متشددة ومنضبطة أكثر من تلك التي يتسم بها المدني.
- ٤- مهنة العسكري أكثر خطورة من مهنة المدني لاسيما أثناء الحرب .
- ٥- يتسم العسكري بالخشونة والانفعال أكثر من المدني نتيجة لطبيعة المهنة التي يمارسها.

(١) Ferrier, N. Churchill: The Man of the Century, London, Purnell, 1965, P. 43.

(٢) خضر، د. أحمد إبراهيم. علم الاجتماع العسكري، ص ٩١.

٦- عند اندلاع الحرب يترك العسكري كل شيء ويتوجه إلى ساحات القتال حيث ان فوزه في الحرب هو الذي يحدد استمراريته في المهنة، بينما خسارته فيها تنهي مستقبله ومستقبل عائلته. بينما اندلاع الحرب لا يمس حياة المدني بقدر ما يمس حياة العسكري .

٧- العسكري مستهلك للمواد أثناء فترات السلم والحرب، بينما يكون المدني منتجاً للمواد وبانياً للحضارة .

٨- ينظر العسكري إلى نفسه بأنه يحتل مكانة اجتماعية أفضل من المكانة التي يحتلها المدني وذلك بسبب الاحترام والجاه والتقدير الذي يحصل عليه من المجتمع وبسبب خطورة المهنة التي يمارسها وأهمية الواجب القتالي الذي يؤديه والذي يستهدف الحفاظ على حرمة الوطن .

لكنه في الاونة الاخيرة حدث تقارب بين المدني والعسكري وتقلصت الاختلافات المدنية العسكرية. ويرجع السوسيولوجيون التقارب في الاختلافات المدنية العسكرية إلى التغير العلمي والتكنولوجي المستمر الذي نتج في زيادة درجة الاعتماد المتبادل بينهما. وهناك ستة عوامل يمكن أن تجسد لنا آثار التكنولوجيا العسكرية على التقارب بين النسق العسكري والنسق المدني، وهذه العوامل هي كالآتي :

١- تورط المدنيين في الاعمال العسكرية (١) . تؤدي النسبة المتزايدة التي تتفق من الدخل القومي على البناء والتعمير وإصلاح ما تسببه الحرب من دمار إلى تورط المدنيين فيها، والى تحمل أية زيادة في الاعباء الناجمة عن سياسة الحرب وآثارها. وتعتبر القوات المسلحة مسؤولة عن تحول تخصيصات التنمية الاقتصادية والاجتماعية إلى أغراض أخرى.

(١) المصدر السابق، ص ٩٠.



- ٢- الأخطار الاجتماعية للحرب. تؤدي التكنولوجيا العسكرية إلى تطوير كبير في أسلحة الدمار الشامل. وهذا يعني أن الآثار التدميرية لهذه الأسلحة لا تكون قاصرة على العسكريين فقط، بل يكون الخطر الناجم عنها خطراً اجتماعياً تتساوى آثاره بالنسبة للمدنيين والعسكريين . وهذا يؤدي دوره إلى إضعاف التمييز بين الأدوار المدنية والعسكرية .
- ٣- توجه العسكريين إلى منع العنف بدلاً من ممارسته. قد تدفع التكنولوجيا العسكرية الأفراد العسكريين إلى التفكير في منع العنف بدلاً من ممارسته. ويؤدي هذا التغيير في المهمة إلى أن يعطي القادة العسكريون اهتمامهم لمظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بدلاً من التركيز فقط على وظيفتهم العسكرية .
- ٤- إهتمام المدنيين بالنسق العسكري. إذا تحقق للعسكريين وجود ملموس في المجتمع فإن هذا لا بد أن يعمل على إزالة التوتر الذي يعيشون فيه بصفة مستمرة، هذا التوتر الناجم عن إهمال المدنيين لهم بعد الحرب، الأمر الذي يضمن إهتمام المدنيين المستمر بالعسكريين .
- ٥- إعتقاد العسكريين على الفنيين المدنيين. تؤدي الظروف الفنية الخاصة بالحرب الميكانيكية أو الكيماوية واحتياجات البحث والتطور العلمي والصيانة الفنية للمعدات الحربية إلى إضعاف الحدود التنظيمية بين ما هو عسكري وما هو مدني. إذ تتطلب صيانة الأسلحة الحديثة ضرورة الاعتماد على الفنيين المدنيين على الرغم من الجهود التي تبذلها القوات المسلحة في تخريج وتدريب ضباط عسكريين ذوي خلفية علمية وهندسية (١) .
- ٦- حاجة السياسيين للعسكريين يؤدي التهديد الدائم بالحرب إلى توسع دائرة الأعمال المنوطة بالعسكريين . وغالبا ما يحتاج السياسيون في الوقت

(١) المصدر السابق، ص ٩١.

---

---

الحاضر إلى خبرة وتوجيهات العسكريين في قضايا معينة. وهذا ما يدفع العسكريين إلى اقتحام مناطق كانت حكرًا على السياسيين فقط. من هنا يحدث الخلط والتداخل بين الأدوار المدنية والأدوار العسكرية .

## الفصل الثامن

### دور الجماعة الأولية في التشكيلات القتالية

يمكننا تقسيم الجماعات الاجتماعية في القوات المسلحة إلى صنفين رئيسيين هما الجماعة الأولية (Primary Group) <sup>(١)</sup>. الجماعة الأولية هي الجماعة التي يطلق عليها علماء النفس الاجتماعي اسم الجماعة النفسية (Psychological Group)، وهي الجماعة التي تتكون من عدد صغير من الافراد، كعدد أفراد الحظيرة أو الفصيل، تربطهم علاقات صميمية مبنية على الود والتفاهم والالفة والمحبة والانسجام <sup>(٢)</sup>. ويتميز هذه الجماعة بصفة الاستمرارية والتفاعل المشترك بين الافراد وقدرتها على تحقيق أهدافهم من خلال التعاون والتآزر فيما بينهم اللذين يتحققان بفضل الايديولوجية المشتركة التي يؤمنون بها والظروف والاحوال البيئية التي يعيشونها والاطار والتهديدات التي يتعرضون لها. ودراسة الجماعة الأولية في القوات المسلحة إنما هي المفتاح الرئيسي لفهم السلوك العسكري لانها تمكن الافراد من استيعاب قيم النسق الاجتماعي الجديد الذي التحقوا به وتساعدهم على التكيف مع قواعده وتعليماته <sup>(٣)</sup>.

أما الجماعة الثانوية فيطلق عليها علماء النفس الاجتماعي اسم المنظمات الاجتماعية Social Organizations التي تتكون من عدة جماعات أولية <sup>(٤)</sup>.

(١) Biesanz. M. and Biesanz. J. Introudction to Sociology, Prentice- Gall, New Jersey, 1973,P: 182.

(٢) Sprott, W.J, Human Groups, A Pelican Book, Middle sex, England, 1967,P. 9.

(٣) Shellford, B. Modern Wartare, London, Allan Lane, 1973,P. 93.

(٤) Krech,D. and Crutchfield, Individual in Society, New York, 1962, See the ch. On Social Groups.

والجماعة الثانوية كالفرقة والفيلق تتميز بكبر حجمها وسيطرة العلاقات الاجتماعية الرسمية عليها التي تنظمها قوانين المؤسسة التي تكتنفها. وأن تفاعل الافراد معها لا يتميز بصفة الاستمرارية كما هي الحالة في الجماعة الاولية. لذا يكون اهتمام المقاتل بجماعته الثانوية أقل من اهتمامه بجماعته الاولية (1). ذلك أن الجماعة الاخيرة تشبع حاجات المقاتل وتتسجم مع افكاره وميوله واتجاهاته أكثر من الجماعة الثانوية (2). ومع هذا تؤدي الجماعة الثانوية الدور الكبير في جمع وحدات وعناصر كيائها بحيث تكون قادرة على تحقيق أهدافها وذلك من خلال اعتماد مبدأ التقسيم الاجتماعي في العمل وبلورة الايديولوجية العامة عند أفرادها وربط تكتيك الجماعة باستراتيجيتها .

بعد تحديد معنى الجماعة الاولية والجماعة الثانوية في القوات المسلحة نستطيع اشتقاق الفروق الاساسية بينهما والتي يمكن تلخيصها بالنقاط التالية :

- ١- تكون الجماعة الاولية في القوات المسلحة صغيرة الحجم كالحظيرة أو الفصيل، بينما تكون الجماعة الثانوية في القوات المسلحة كبيرة الحجم كالفرقة والفيلق بل وحتى الجيش برمته .
- ٢- تغطي العلاقات الاجتماعية غير الرسمية على الجماعة الاولية، بينما تغطي العلاقات الاجتماعية الرسمية على معظم الجماعات الثانوية (3).
- ٣- تعتبر الجماعات الاولية بمثابة الوحدات التي تبنى منها الجماعة الثانوية، بينما تعتبر الجماعات الثانوية بمثابة الوحدات التي يبنى منها المجتمع (4).

---

(١) Cartwright,D. and A. Zander, Group Dynamics, New York, 1968, P.4.  
(٢) Martindate,D. and Nature and Types of Sociological Theory, Boston, 1981,P. 323.  
(٣) Sprott, W. J. Human Groups, PP. 10-1.  
(٤) Warren,R. Sociology: An Introduction, Littlefield. Iowa, 1957,P. 46.

٤ - يرتاح ويطمئن المقاتل لجماعته الاولى كالمجموعة أو الحظيرة أكثر من ارتياحه وطمأنينته لجماعته الثانوية. ذلك إن الجماعة الاولى تلبي الحاجات وطموحات وأمني الفرد أكثر مما تفعل الجماعة الثانوية .

بعد اشتقاق أهم الفوارق الرئيسية بين الجماعة الاولى والجماعة الثانوية في القوات المسلحة نود أن نشير هنا إلى أن وحدة وفاعلية وداينمكية الجماعة الاولى هي أساس وحدة وفاعلية وداينمكية الجماعة الثانوية طالما أن الجماعة الاخيرة هي وليدة الجماعة الاولى (١). فما تتسم به الجماعة الاولى من صفات ايجابية أو سلبية لا بد أن تنعكس بطريقة أو أخرى على الجماعة الثانوية. لهذا يهتم علماء الاجتماع العسكري بدراسة الجماعات الاولى في القوات المسلحة أكثر من اهتمامهم بدراسة الجماعات الثانوية. فالجماعة الاولى هي الجماعة الصغيرة التي يعرف أفرادها بعضهم بعضاً ويعرف قائدها مرؤوسيه جميعهم ويتحدث اليهم ويصدر أوامره بصورة مباشرة. لهذا يعتبر الجندي جماعته الاولى عالمه الحقيقي لان حياته وموته مرتبطان بها وأن قائدها هو أقدم رجل فيها (٢). وتربط القائد بضابط الصف في الجماعة الاولى علاقات اجتماعية متطورة كما تربطه علاقات مماثلة مع بقية أعضاء الجماعة. ومثل هذه العلاقات الإنسانية القوية التي تربط أعضاء الجماعة الاولى في القوات المسلحة هي التي تجعلهم يشعرون بأنهم أسرة واحدة وأن مصيرهم هو مصير واحد. لذا ينبغي عليهم التعاون، والتكاتف بعضهم مع بعض من اجل الصالح العام وتحقيق المصلحة المشتركة خصوصاً خلال الظروف القتالية الحرجة .

سنتناول في هذا المبحث دراسة الجماعات الاولى من الزوايا التالية :

أ- دور العوامل الاجتماعية في تكامل الجماعة الاولى العسكرية .

ب- دور العوامل التنظيمية في تكامل الجماعة الاولى العسكرية .

(١) خضر، د. أحمد ابراهيم : علم الاجتماع العسكري، ص ٢٣٧.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٣٥.

- ج - الظروف المؤدية لقوة وتماسك الجماعة الاولية العسكرية .
- د - الظروف المؤدية لانهاية الجماعة الاولية وفرارها من أرض المعركة .
- هـ - المقترحات والتوصيات بشأن صمود الجماعة الاولية العسكرية في أرض المعركة وانتصارها على العدو .
- والآن نقوم بشرح هذه المحاور بالتفصيل .

#### أ- دور العوامل الاجتماعية في تكامل الجماعة الاولية العسكرية :

كان دور الجماعة الاولية في المحافظة على الكفاءة التنظيمية للنسق العسكري موضع اهتمام علماء الاجتماع الذين أدت تحليلاتهم إلى أن مقدرة الجندي على المقاومة تتوقف على طبيعة جماعته الاولية (المجموعة او الحظيرة أو الفصيل) ودورها في الوفاء بحاجاته الاساسية واحاطته بالحب والتقدير من قبل أعضاء الجماعة. وهذه الأمور تجعل المقاتل لا يفكر بنفسه بقدر ما يفكر بأعضاء جماعته خصوصاً خلال الظروف والاقوات القتالية العصبية<sup>(١)</sup> ، إن العوامل الاجتماعية التي تكمن خلف تكامل ووحدة الجماعة الاولية العسكرية هي كالآتي :

١- الانسجام والتعاطف بين أديولوجية الجماعة الاولية وأديولوجية المجتمع الكبير. إذا كانت الجماعة الاولية تؤمن بأديولوجية المجتمع الكبير فإنها ستكون متماسكة وموحدة وبالتالي قوية وقادرة على مواجهة العدو والتصدي لمخططاته ونواياه العدوانية. أما إذا لم تعتقد الجماعة الاولية بأديولوجية المجتمع الكبير فإنها تكون مفككة وضعيفة وغير قادرة على مواجهة العدو وافشال مخططاته ونواياه التعرضية<sup>(٢)</sup> . وقد تم اثبات هذه الحقيقة أثناء المعارك البطولية التي خاضها الجيش العراقي مع القوات الايرانية المعتدية

(١) Shils,E. and M. Janowitz. Cohesion and Disintegration in the Wehrmacht in World War,11, " Public Opinion", Vol.12, 1948,P. 280

(٢) عدنان دحام علي( العميد الركن). إثر العقيدة الفكرية السياسية في معنويات القوات المسلحة .

في البوابة الشرقية للوطن العربي. فالجماعات الاولية العسكرية التي تؤمن بمبادئ وقيم الثورة العربية وضرورة مواجهة العدوان وإفشال نوايا التوسعية ومخططاته الشريرة على العراق والوطن العربي كانت قادرة على الصمود والتصدي وتحويل العدوان إلى منطلق للنصر والتحرير واستعادة الاراضي المغتصبة .

٢- الخلفية الاجتماعية المشتركة للمقاتلين في الجماعة الاولية العسكرية. تلعب الخلفية الاجتماعية المشتركة للمقاتلين والتي تعبر عن نفسها في تجانس الظروف الاجتماعية والاقتصادية وتشابه الخبر والتجارب وتكامل المعرفة العلمية والاجتماعية الدور الكبير في انسجامهم وتقاربهم الواحد للآخر (١) . الامر الذي يقود إلى تعاونهم في إداء العمل العسكري الدفاعي أو الهجومي، وتقاضي كل واحد منهم في الدفاع عن الارض التي يقف عليها وإنزال العقاب الصارم بالمعتدي.

٣- دور الروابط العائلية في تماسك الجماعة الاولية العسكرية . يشيخ علماء الاجتماع العسكري إلى أن قوة العلاقات الاسرية التي تربط المقاتل بأسرته غالباً ما تؤدي إلى ضعف واضمحلال علاقته بجماعته الاولية القتالية. ذلك إن تماسك العلاقات العائلية يترك آثاره السلبية على إخلاص وولاء المقاتل لجماعته الاولية، بينما ضعف العلاقات العائلية أو عدم وجودها بالنسبة للمقاتل يؤدي إلى قوة العلاقات التي تربطه بجماعته القتالية أثناء المعارك (٢) . وقد لاحظ علماء الاجتماع العسكري في ألمانيا خلال الحرب العالمية الثانية بأن قوة الروابط العائلية بين المقاتل وعائلته قد أدت إلى جبن المقاتل أو فراره من المعركة أو أدت به إلى التسرب من الجيش أثناء

(١) Janowitz,M. The Establishment in Contermporary Social Problems by R. Merton,Harcourt and Brace,New York,1961,PP: 537-538.

(٢) Shils, E. Janowitz,PP. 282-283.

تمتعه بالاجازة الدورية (\*) وقد لاحظ نفس هؤلاء العلماء بأن المقاتلين الذين ابلوا في القتال وتميزوا بالجسارة والشجاعة هم المقاتلون الذين ينتمون إلى عوائل مفككة لا تكن العطف والحنان لهم أو هم المقاتلون الذين ليست لديهم أسر.

#### ب - دور العوامل التنظيمية في تكامل الجماعة الاولية العسكرية:

نعني بالعوامل التنظيمية الظروف التعبوية والاجتماعية والنفسية والتربوية التي يعيشها المقاتلون داخل جماعاتهم الاولية والتي من شأنها أن تقود إلى تكامل جماعاتهم الاجتماعية ووحدتها وبالتالي مقدرتها على إداء واجباتها المكلفة بها على أحسن صورة ممكنة (١). وتقسم هذه العوامل إلى أربعة أنواع رئيسية هي :

١- الأبعاد الفنية لانساق الاسلحة. تؤثر الأبعاد الفنية لانساق الاسلحة على تكامل الجماعة الاولية العسكرية. فاطلاق النيران من قبل مقاتل واحد أو من قبل كافة المقاتلين كفريق له دور في هذا التكامل. كما إن انساق الاسلحة التي تعتمد على التجاور المكاني للمقاتلين تسهم في كثافة الاتصال والتفاعل بين افراد الفريق أثناء إداء مهامهم (٢). ولهذا فإن درجة التكامل بين أفراد إحدى الغوصات الذين يعملون في تجاور مكاني واضح تختلف عن درجة التكامل بين أفراد وحدة المشاة المنتشرين على امتداد عدة كيلومترات . كما إن الموقع المكاني لكل طيار في إحدى الطائرات الحربية يمكن أن يعزز

(\*) لتقوية معنوية الجنود الالمان في جبهات القتال أصدرت القيادة العسكرية الالمانية أوامرها المشددة الى الاسر الالمانية تحرم عليها الاشارة في الرسائل التي يبعثونها إلى أبنائهم إلى كل ما من شأنه أن يوهن من عزيمة الجنود. وحفاظاً منها على التوازن النفسي للجنود أثناء اشتداد المعارك أرسلت العديد من الخطابات إلى الجنود الذين لا أسر لهم تحتوي على معاني انسانية موجهة من بعض الرسميين في الحكومة وذلك لكي تمدهم بتأييد إضافي قد لا تستطيع الوحدات العسكرية أن تمدهم به.

(١) Kipins,D. Interaction Between Members of Bomber Crew As A Determinant of Sociometric Choice, " Human Relations:, 10, 1957,P. 263.

(٢) Ibid.,P. 265.



فرص التفاعل بين الطيارين مما يؤدي دوره الفاعل في إنجازهم المهام القتالية المناطة بهم. كما إن الروح الجماعية المتغلبة على أفراد الجماعة الاولية إضافة إلى تكاملها ووحدتها لا تؤثر على معنوية الجماعة وقابليتها القتالية حتى في حالة تراجعها أو انسحابها من أرض المعركة. فقد أثبتت الدراسة التي أجريت عن سلوك الجيش الالمانى المتراجع في شمال إفريقيا عام ١٩٤٣. وفي فرنسا والمانيا في شهري أيلول وتشرين أول عام ١٩٤٤ وشهر آذار عام ١٩٤٥ إن الصعوبات التكتيكية لم تنجح في تحطيم معنويات الوحدات المقاتلة لان الانسحاب كان منظماً، كما كان هناك تأكيد كبير على تكامل السرايا المقاتلة<sup>(١)</sup>.

٢- تنظيم الوحدة ونظام الاستبدال. تنخفض كفاءة الوحدات العسكرية عندما لا يعرف رجالها بعضهم بعضاً. كما إن الانتصار في المعركة لا يكون مضموناً إذا حاول أحد الضباط أو ضباط الصف قيادة المقاتلين إلى المعركة وهو لم يتعامل معهم من قبل<sup>(٢)</sup>. لذا تزداد كفاءة الوحدة القتالية في المعركة عندما يعرف الأمر المقاتلين معرفة جيدة وعندما يكون قادراً على التفاعل والاحتكاك معهم على الصعيدين الرسمي وغير الرسمي. كما إن كفاءة الوحدة تكون مترسخة عندما تسود روح الاحترام والتعاون والاخاء بين المقاتلين. والعكس هو الصحيح عندما لا ينسجم الأمر مع المقاتلين ولا ينسجم المقاتلون ببعضهم مع بعض. لهذا ينبغي على المسؤولين عدم تبديل أمراء الوحدات وتعيين أمراء جدد بين فترة وأخرى لان هذا يخل بوحدة وتكامل الجماعة الاولية العسكرية. كما يتطلب عدم استبدال جنود الوحدات القتالية بعضهم ببعض وعدم نقلهم من وحدة إلى وحدة اخرى لان ذلك سيؤثر تأثيراً سلبياً على وحدة

(١) Steeh,c,J. The Rise and Fall of Adolf Hitler, Hamiyn, London, 1980,P. 178.

(٢) David, J. Chester, et al, Effect on Morale of Infantry Team Replacement," Sociometry", Vol.18, Des, 1955,P. 587.

الجماعات القتالية. فإذا كانت الوحدة القتالية تتكون من عشرين جندياً وقد استبدل منهم عشرة جنود فإن هذا سيخل بالوضع الاجتماعي للجماعة القتالية بحيث لا تكون موحدة ومتكاملة كما ينبغي. وهنا نقل درجة الكفاءة القتالية للوحدة. لهذا يجب أن يحافظ القادة والأمرون على كيانات الجماعات الاولية وإن لا يستبدلوا أمراءها إلا في الحالات الاضطرارية خصوصاً عندما تبرهن هذه الجماعات على قدرتها وفعاليتها في القتال وتحقق مع أمرها الانتصارات على العدو. ومن اسرار نجاح الجماعات الاولية العسكرية الالمانية في الحرب العالمية الثانية الإبقاء على وحدة كيانات هذه الجماعات وعدم تفتيتها مهما كانت الظروف. لهذا كانت الوحدات المقاتلة الالمانية في الخطوط الامامية من الجبهة تتسحب بكافة اعضائها للتمتع بالاجازة والراحة لفترة معينة، وبعد الانتهاء من الاجازة ترجع مرة ثانية إلى الجبهة بكافة أفرادها لاحتلال مواقعها في الخطوط الامامية (١). وإذا انضم أفراد جدد إليها فإن هذا يتم خارج الجبهة لكي تتاح لهم الفرصة في التكامل معها بل الذهاب الى الجبهة .

٣- تزايد الخطر وأهمية المهمة. يتأثر التكامل الاجتماعي للجماعة الاولية العسكرية بتزايد الخطر الذي تواجهه وبأهمية المهمة المكلفة بها (٢). وتكمن وظيفة الجماعة الاولية في مثل هذه الظروف في إعداد الفرد لضغوط المعركة وتدريبه على مقاومة التوترات التي قد تؤثر على حالته الاستعدادية للعمليات العسكرية. إن تكامل الجماعة يتحقق من خلال الاخطار والتحديات التي تتعرض لها، فكلما كانت الاخطار جسيمة ومهلكة والتحديات صعبة وشائكة فإن درجة تماسكها ووحدتها تكون كبيرة، والعكس بالعكس إذا كانت الجماعة غير متعرضة للاخطار والصعوبات، كما إن خطورة المسؤولية التي

(١) Ibid.,P. 589.

(٢) Janowitz,M. The Military Establishment,P. 542.

تضطلع بها الجماعة تزيد من درجة وحدتها. فإذا كلفت الجماعة الأولوية العسكرية بمهمة احتلال هدف مهم كاحتلال جسر يعبر الأعداء عن طريقه فإن تماسكها يكون شيئاً واجباً لكي تكون قادرة على توحيد صفوفها وجمع قواها في احتلال الهدف المنشود.

٤ - إداء قادة الوحدات القتالية الصغيرة، يؤدي القائد الذي يهتم بالأحوال الجسمانية والاجتماعية والنفسية لمقاتليه ويتفقد أمورهم الشخصية ويحاول حل مشكلاتهم المستعصية ويشرف على واجباتهم إشرافاً كفوفاً وحسناً الدور الكبير في وحدة الجماعة وتكاملها وكفاءتها وانسجام أفرادها بعضهم مع بعض وشعورهم بالعدالة والرضا والطمأنينة داخل الجماعة (١). كما إن التعامل الانساني للأمر مع المقاتلين وعدم تحيزه لفئة دون الفئة الأخرى ومعاملتهم معاملة واحدة واحترامهم وتثمين جهودهم ومكافأة المبدعين والمتميزين منهم له أثره الكبير في زيادة الكفاءة القتالية للجماعة الأولية وقدرتها على تحقيق أهدافها مهما تكن صعبة ودقيقة. لكن دراسة ستيوارت آدمز تشير إلى أن توفر المناخ الاجتماعي الانساني في الوحدة العسكرية قد يؤدي إلى نتائج عكسية تؤثر تأثيراً سلبياً على كفاءتها الفنية والقتالية. لهذا اقترح العالمان متشن وفيلدر على الامراء والقادة العسكريين أن يكونوا طيبين وانسانيين مع رؤوسهم النشطين والمثابرين في إداء أعمالهم وأن يكونوا شديدين ومتصلبين مع رؤوسهم غير النشطين وغير الجيدين في إداء أعمالهم (٢).

ج - الظروف المؤدية لقوة وتماسك الجماعة الأولية العسكرية:  
لا يمكن أن تكون الجماعة الأولية العسكرية قوية و متماسكة وقادرة على تحقيق أهدافها التعبوية والقتالية دون توفر الظروف والمستلزمات الايجابية التي

(١) هشام صباح الفخري ( اللواء الركن).دروس على طريق النصر، بغداد، ١٩٨٣، ص ١٨-١٩.

(٢) Hutchin, E. and Fielder. Task Oriented and Quasi therapeutic Role of Military Groups, " Sociometry", 23, 1966,P. 397.

تساعدها على إداء فعاليتها بصورة دقيقة ومقنعة وزيادة استعداداتها على الإيفاء بالتزاماتها وتطوير امكانياتها التعبوية والفنية. ويمكن ادراج الظروف الايجابية التي تساعد على قوة وتماسك الجماعة الاولية بالنقاط التالية :

- ١- وجود العلاقات الانسانية الصميمية المبنية على مبادئ الايثار وتحقيق المصلحة المشتركة بين المقاتلين انفسهم من جهة وبينهم وبين أمرهم من جهة أخرى .
- ٢- شيوع أجواء الديمقراطية والمساواة والحرية والعدالة الاجتماعية في الجماعة الاولية العسكرية. ومثل هذه الروح يمكن أن يكوّنها ويبلورها من خلال احتكاكه وتعامله اليومي مع المقاتلين (١) .
- ٣- تعيين ووضوح الهدف أو الاهداف العسكرية المطلوب تحقيقها من المقاتلين مع معرفة كل مقاتل في الجماعة الاولية ماهية الظروف المرثية سلفاً والظروف الموضوعية المتحركة. أي معرفة عوامل الموقف العام والخاص.
- ٤- تسليح لجماعة الاولية تسليحاً جيداً وتجهيزها بكافة التجهيزات والمؤن والذخيرة التي تحتاجها مع الاهتمام بالجوانب الادارية التي يتطلبها المقاتلون أثناء فترات السلم والحرب .
- ٥- الاهتمام بتدريب المقاتلين وزيادة كفاءتهم القتالية وتوزيع المهام العسكرية عليهم توزيعاً ينسجم مع قابلياتهم ومؤهلاتهم وميولهم واتجاهاتهم .
- ٦- الاعداد الفكري والنفسي للمقاتلين (٢) . وهنا نقصد وضوح القضية التي يقاتلون من أجلها والتهيؤ للتضحية بتفاصيل تبدأ من القضية الصغيرة

(١) الحسن، د. احسان محمد. علم الاجتماع السياسي، مطبعة جامعة الموصل، ١٩٨٤، ص ٢٠٩.

(٢) ديري، أكرم. آراء في الحرب. الاستراتيجية وطريقة القيادة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت،

١٩٨٤، ص ٥٠.

- كالسهر والتعب... الخ إلى القضية الكبيرة والتي هي الاستشهاد في سبيل الوطن .
- ٧- إدامة المعنويات والحماس والوعي والثقة بالنفس وبعادلة القضية وما يتطلبه من تضحية وفداء من قبل كافة المقاتلين .
- ٨- تطبيق مبادئ الحرب من قبل الأمر والمقاتلين خصوصاً المبادئ المتعلقة بالدفاع والهجوم والاشتباك مع العدو والانسحاب بدون خسائر تذكر (١) . إضافة إلى استعمال أسلوب المباغته وانزال الخسائر الفادحة بقوات العدو .
- ٩- تلبية احتياجات المقاتلين المادية وغير المادية كافة وإتاحة المجال لهم بالتمتع بالاجازات الدورية لزيارة أهلهم وعوائلهم ونيل درجة من الراحة والابتعاد عن أجواء الجبهة والقتال لكي يستعيدوا قوتهم البدنية والذهنية وتتجدد عندهم القدرة القتالية التي تساعدهم في مجابهة ظروف القتال .
- ١٠- مبادرة الأمر إلى حل كافة المشكلات الانسانية والفنية والادارية التي يواجهها المقاتلون لكي يكونوا مستعدين لاداء أدوارهم في المعركة .
- ١١- تكامل الادوار القتالية لافراد الجماعة الاولية العسكرية بحيث يكون كل دور فيها مكملاً لادوار الآخرين. فأمر الحظيرة في جماعة المشاة مثلاً يقسم الادوار القتالية على الافراد، فهناك المقاتلون الذين يستخدمون الاسلحة الخفيفة وهناك القناصون وهناك رجال القاذفة . وفي المعركة تتكامل هذه الادوار في اداء واجباتها وتحقيق الاهداف المناطة بها.
- ١٢- إيمان الجماعة الاولية العسكرية بأديولوجية مشتركة مستنبطة من أديولوجية النظام الاجتماعي والسياسي (٢) . ومثل هذه الاديولوجية يكتبها المقاتلون عن طريق التنظيم أو عن طريق وسائل الاعلام والجماعات المرجعية. وتلعب الايديولوجية دورها الواضح في تحقيق وحدة أعضاء الجماعة الاولية وتعميق

(١) باليت. أصول المعرفة العسكرية ، مصدر سبق ذكره، ص ١١٤ .

(٢) مكي، مصطفى جمودات، العقيدة العسكرية بين النظرية والتطبيق، مصدر مذكور سابقاً، ص ١٣ .

وعيهم الاجتماعي والسياسي ومضاغفة حماسهم نحو مقاتلة الاعداء وافشال  
خططهم العدوانية .

#### د - الظروف المؤدية لانهايار الجماعة الاولية وفرارها من أرض المعركة :

نعني بانهايار الجماعة الاولية العسكرية عدم قابليتها على القتال ومواجهة  
العدو نتيجة عوامل تتعلق بالموقف العسكري الذي تمر به الجماعة أو بطروفها  
الاجتماعية والنفسية والتعبوية أو بطبيعة قوات العدو والاساليب القتالية التي ينتهجها  
والتي تثبط عزيمة الجماعة القتالية وتجعلها غير قادرة على مواجهته (١) . وانهايار  
الجماعة الاولية قد يعني توقفها عن القتال والاستسلام للعدو أو الفرار من أرض  
المعركة أو الهزيمة والتراجع إلى عمق أراضيها تاركة معداتها وأسلحتها في مواضعها  
أو في الارض الحرام. ومن الجدير بالذكر أن انهايار الجماعة الاولية لسبب أو آخر  
إنما هو اساس انكسار الجيش في المعركة لان الجماعة الاولية تكون الوحدة  
الاساسية لبناء القوات المسلحة . ولكن ما هي العوامل والملابسات التي تقود إلى  
انهايار الجماعة الاولية في الحرب ؟

يشير علماء الاجتماع العسكري إلى أن هناك نوعين من العوامل المسؤولة

عن انهايار الجماعة الاولية العسكرية :

أولهما: عامل بناء الميدان .

والثاني: عامل بناء الجماعة .

#### ١ - بناء الميدان :

نقصد ببناء الميدان درجة وضوح الموقف القتالي الذي يؤدي بالجماعة إلى  
أن تسلك السلوك الصحيح عند تعرضها للضغوط القتالية في الجبهة (٢) . وتتعرض  
الجماعة الاولية العسكرية إلى الانهايار عندما لا يكون الموقف القتالي واضحاً عندها

(١) خضر، د. أحمد ابراهيم . علم الاجتماع العسكري، ص ٢٤٥.

(٢) Torrance,E. The Behaviour of Small Groups Under the Stress Conditions of Survival, "American Sociological Review", 19, 1954,P. 751.

تزداد وتتشابك الضغوط عليها أثناء مواجهتها للعدو في أرض المعركة. وعدم اتضاح الموقف القتالي للجماعة الاولية يعبر عن نفسه في عدة صور أهمها الابعاز إلى قوات الاحتياط التي تقف عند الخط الدفاعي الثالث أو الرابع بالتقدم إلى الخط الامامي الاول في الجبهة لمجابهة العدو. وفي نفس الوقت الطلب من القوات الامامية بالانسحاب إلى المواقع الخلفية دون سبب واضح. ومثل هذه الاوامر تترك المقاتلين وتشل قدراتهم القتالية خصوصاً عندما يكون التبديل أثناء أو قبيل الهجوم الذي يقوم به العدو . ويتجسد عدم اتضاح الموقف القتالي للمقاتلين عندما يطلب منهم الدفاع عن منطقة غير مسؤولين عنها. إضافة إلى معاناة الجماعة القتالية من حالة الجمود في الموقف القتالي أي ظهور حالة لا حرب ولا سلم التي تنهك الجماعة وتضعف معنويتها وقدرتها القتالية. كما إن جهل الجماعة القتالية بحجم قوة العدو وتسليحها ودرجة تدريباتها والمناطق التي تتواجد فيها ووقت شنها للهجوم المرتقب يعتبر من الاسباب المهمة لانهايار الجماعة الاولية واستسلامها للعدو (١) .

ومما يسرع في انهيار الجماعة الاولية العسكرية تزايد وتشابك الضغوط المفروضة عليها أثناء مواجهتها للعدو كفقدانها للكثير من مقاتليها بسبب القصف المدفعي العشوائي للعدو أو تكرار الغارات الجوية التي يشنها العدو. إضافة إلى نفاذ التجهيزات والمواد الغذائية والاعتدة التي تمتلكها الجماعة الاولية أو تطويقها ومحاصرتها من قبل العدو. وأخيراً فإن فقدان الجماعة الاولية لآمرها أو قطع خطوط الامدادات عنها تعتبر من العوامل المهمة المؤدية إلى تعقد ظروفها وبالتالي انهيارها وعدم قدرتها على المجابهة والصمود.

## ٢ - بناء الجماعة :

تتعرض الجماعة القتالية إلى التفكك والانهيار عندما يتعرض بناؤها إلى التبدل المفاجيء والاضطراب أثناء الظروف القتالية المعقدة والصعبة. فقد يتبدل أمر

(١) Ibid.,P. 755.

الجماعة قبيل أو أثناء الاشتباك مع العدو ويعين أمر جديد لها (١). وفي هذه الظروف لا يستطيع الأمر الجديد التفاعل والتعامل الجيد مع المقاتلين لأنه لا يعرفهم بصورة جيدة ولا هم يعرفونه. وهنا تتعثر. فأغلبية الجماعة ولا يكون بمقدورها مواجهة العدو مواجهة جديّة وناجحة. وقد يستبدل عدد من مقاتلي الجماعة بمقاتلين جدد، الأمر الذي يقود إلى عدم الوحدة والانسجام بين المقاتلين القدامى والجدد. وبالتالي لا تكون الجماعة الاولية العسكرية جماعة موحدة وذلك لعدم معرفة المقاتلين بعضهم لبعض ولعدم تكاملهم والتزامهم بنفس القيم والمقاييس والمثل والعادات. ومما يضر ببناء الجماعة تطبيق فكرة الفتح التعبوي للقوات، هذه الفكرة التي تعيق فرص الاعتماد المتبادل والتفاهم السريع بين الافراد وذلك لعدم معرفة البعض للبعض الآخر ولعدم تكاملهم وانسجامهم الكافي مع وحداتهم. وعندما يتبدل الامراء والمقاتلون بين حين وآخر فإن الجماعات الاولية لا تكون موحدة وتفترق إلى روح التعاون والانسجام. وهنا لا تكون كفاءة في العمليات القتالية وتتكدب الخسائر الفادحة في الارواح والمعدات والتجهيزات .

أما الفرار من المعركة فيعني عدة أشياء أهمها الهروب بصورة مبعثرة من أرض القتال نحو عمق أراضي المقاتل أو الجماعة الفارة للتخلص من الموقف القتالي الصعب الذي قد يقود إلى الموت والدمار، أو يكون الهرب نتيجة الخوف من مواجهة قوات العدو والاشتباك معها (٢). وقد يعني الفرار الذهاب العمدي إلى خطوط العدو أما بفعل فردي أو فعل جماعي مبني على تعمد الجماعة تسليم نفسها للعدو. ومن أبرز أمثلة الفرار من الحرب ما قام به الجنود الالمان في الحرب العالمية الثانية من تسليم انفسهم لجنود الحلفاء لكي يأسرهم .

(١) المشير الركن بيرنارد مونتغمري، معركة العلمين في الحرب العالمية الثانية، ترجمة سليم طه التكريتي، مطبعة الحوادث، بغداد، ١٩٨٧، ص ١٦-١٨.

(٢) Rose, A. "The Social Psychology of Desertion from Combat," American Sociological Review, 16, 1951, P. 614.



وتوضح دراسات علم الاجتماع العسكري بأن معظم الفارين من المعركة هم الأشخاص الذين لم يتم تكاملهم مع جماعتهم أو وحدتهم قبل الذهاب إلى الجبهة بسبب عدم انتمائهم للجماعة حين إرسالها إلى المهمة أو بسبب كونهم يشكون من الأمراض العصبية والعقلية أو بسبب إرهاقهم البدني والنفسي نتيجة الضغوط المتعارضة المفروضة عليهم .

#### هـ - المقترحات والتوصيات بشأن صمود الجماعة الأولية العسكرية في أرض المعركة وانتصارها على العدو :

- ١- تقوية وتمتين أواصر العلاقات الاجتماعية بين أفراد الجماعة الأولية العسكرية لتكون وحدة مترابطة في مجابهة العدو والوقوف بحزم وشدة ضد كافة التحديات والمشكلات التي تواجهها.
- ٢- مبادرة أمر الجماعة القتالية إلى تقسيم العمل القتالي على أفراد الجماعة والإشراف على إدائهم للواجبات المناطة بهم والمساهمة الفاعلة في حل كافة المشكلات التي تواجه الجماعة والعمل على تعميق تماسكها ووحدتها المصيرية.
- ٣- العمل على إعداد المقاتلين في الجماعة الأولية إعداداً أيديولوجياً وثقافياً وسياسياً نابعاً من طبيعة أخلاق وأيديولوجية النظام الاجتماعي والسياسي .
- ٤- رفع القدرات القتالية عند أفراد الجماعة الأولية عن طريق تكوين المهارات لديهم واكسابهم المعارف القتالية الضرورية ضمن الشروط التي تملئها الاداة الحربية العصرية وأساليب القتال المتطورة .
- ٥- إعداد أفراد الجماعة الأولية سيكولوجياً والعمل باستمرار على رفع الروح المعنوية وتكوين الصفات القيمة الايجابية عندهم كالشجاعة والرجولة والاقدام والحزم والقدرة على تحمل الصعوبات وتجاوزها والاستعداد للتضحية في سبيل الوطن .

- 
- 
- ٦- القدرة على الصمود للجماعة الاولية العسكرية وتصميمها على معالجة أي موقف قتالي مهما يكن معقداً ودقيقاً .
- ٧- خلق وتمتين الروح الجماعية بين أفراد الوحدة القتالية وذلك من خلال التنقيف والتربية الاجتماعية والوطنية التي تدفع أعضاء الجماعة الاولية إلى التعاون والتكاتف من أجل تحقيق الاهداف المنشودة.

## الفصل التاسع

### الدراسة السسيولوجية للحرب

أ- الحرب كظاهرة اجتماعية :

يعتبر علماء الاجتماع العسكري الحرب كمؤسسة اجتماعية (Social Institution) لها أحكامها ونظمها وتقاليدها وأساليبها وأهدافها. غير أنها مؤسسة اجتماعية من نمط متميز له برامجه وأطره السلوكية وخصوصياته القومية (١). فالحرب هي صراع مسلح بين قطرين أو دولتين أو مجتمعين أو بين مجموعة دول وكتل سياسية وعسكرية لها أيديولوجياتها ونظمها الاجتماعية والاقتصادية ومصالحها وأهدافها التكتيكية والاستراتيجية. والدول المتصارعة تريد تدمير وإخضاع واحدها للآخرى وذلك من خلال استعمال كافة مواردها المادية والبشرية المتاحة وخبراتها العلمية والتكنولوجية وتسخيرها في الحرب لكي تخرج منها منتصرة بعد أن تدمر الدولة أو الدول المتنازعة معها وتتهك إمكاناتها المادية وغير المادية وتحتل أراضيها وتفرض شروطها السياسية والعقائدية والاجتماعية عليها. لكن الصراع العسكري المسلح بين الدول والكتل السياسية والأيديولوجية لا يحدث دون وجود الاختلافات والتناقضات المبدئية بينها والمصالح المادية المتضاربة والاحقاد والفتن والمؤامرات التي تجرها إلى الدخول في مثل هذا النمط من الصراع .

ومن مظاهر الحرب أن الأطراف المتنازعة والمتصارعة كافة لا تريد الدخول في إطارها المدمر وذلك للاضرار الجسيمة التي تتجم عنها الحرب، ومع هذا لا تلبث

(١) Howard, M. The Theory and Practice of War, Bloomington, Indiana University Press, 1967, P. 215.

هذه الاطراف إلا أن تجد نفسها في خضم الصراع العسكري المتوهج الذي يحتاج إلى جهود تنظيمية وتخطيطية وتنفيذية جبارة وخبرات علمية وتكنولوجية وموارد مالية وتجهيزات مادية وفيرة وكوادر بشرية مدربة على مهنة القتال وعقيدة عسكرية تسخر الموارد والامكانيات المادية والبشرية والتخطيطية والعلمية المتيسرة في خدمة المعركة وتحقيق النصر الحاسم على الاعداء. إلا أن النصر في الحرب يتحقق للدولة التي تتمتع بقدرات قتالية متميزة ومعنويات عالية وموارد مادية وبشرية غير محدودة وقيم نضالية على جانب كبير من النضج والموضوعية ووحدة وطنية وقومية تكفل زج إمكانيات المجتمع كافة في المعركة حتى تحقيق النصر على العدو.

إن اعتبارنا ظاهرة الحرب ظاهرة اجتماعية يتجسد في المزايا والمواصفات الاجتماعية التي تتطبع بها الحرب كعملية اجتماعية وسياسية في آن واحد. فالحرب كما ذكرنا أعلاه هي صراع مسلح بين دولتين أو كئلتين دولة معتدية ودولة معتدى عليها، الدولة المعتدية تريد الحصول على مكاسب مادية وغير مادية من الدولة التي اعتدت عليها. في حين تريد الدولة التي وقع عليها العدوان الدفاع عن نفسها وحرمتها وسمعتها وذلك من خلال التصدي للعدوان واحتوائه وإفشال مخططاته التوسعية والاستغلالية وإنزال أكبر الخسائر المادية والبشرية بالعدو لكي لا يكرر عدوانيته على الآخرين<sup>(١)</sup>. وتتطلب الحرب من الدول أو الكتل المشتركة فيها تنظيم قواتها وفق النسق البيروقراطي للسلطة العسكرية، أي تكوين الفرق والالوية والتشكيلات والوحدات العسكرية التي تعتمد بإدارتها وتنظيمها وعلاقتها وتنفيذ واجباتها على الهياكل العمودية والافقية للسلطة العسكرية. فكل تشكيل عسكري أمرية أو قيادة عسكرية وله سفوح وقاعدة تتكون من الضباط وضباط الصف والجنود الذين ينفذون أوامر القيادة العسكرية<sup>(٢)</sup>. وهناك تجاوب بين الرئيس والمرؤوس وعلاقات متفاعلة تعتمد على طبيعة الواجبات والمهام التي تضطلع بها المؤسسة العسكرية والمصلحة المشتركة

(١) Gerth, H. and C. Wright Mills. Character, and Social Structure, O.Cit., P. 229.

(٢) Janowitz, M. The Military Establishment, Op.Cit., P. 520.

التي تربط أعضائها . ويؤدي التدرج الهرمي للمنظمة العسكرية واجباته المهمة في الطاعة والاحترام والانضباط وفي تمرير الاوامر والمعلومات من خلال عمليات الاتصال وفي تعيين الواجبات العسكرية لادوار الوظيفية وتحديد حقوقها المادية والمعنوية. إضافة إلى حصر مواقع الخلل والقوة في الهرم العسكري ومعاينة المقصرين ومكافأة المجدين والمبدعين .

وظاهرة الحرب بين الدول والشعوب تتميز بطبيعة الفعل ورد الفعل المستمر الذي يقع بين الجيوش والقوات المتحاربة . فعندما يستعمل أحد الجيوش المتحاربة سلاحاً أو تكتيكاً معيناً في القتال فإن الجيش الآخر ينبغي أن يستعمل السلاح أو التكتيك العسكري نفسه أو يستعمل سلاحاً أو تكتيكاً متفوقاً لكي يصمد في المعركة ويحتوي الهجوم وينتصر على العدو وإلا لا تكون نتيجة الحرب لصالحه أبداً . والشيء نفسه ينطبق على الاستراتيجيات العسكرية التي تعتمد على الجيوش في الدفاع والهجوم ضد بعضها البعض . فعندما ينفذ أحد الجيوش استراتيجية قتالية يؤمن بها فإن الجيش الآخر ينبغي أن يجرب استراتيجيته في مواجهة التحدي. والجيش الذي يحرز النصر هو الجيش الذي يعتمد التكتيك والاستراتيجية المتفوقة ويضع نصب عينيه المبادئ الأساسية للحرب كالمحافظة على الهدف والعمل الهجومي وحشد القوة والاقتصاد في الجهود والتعاون والامن والمفاجأة وخفة الحركة (1) . ومن مظاهر التفاعل الصراعي بين الجيوش المتحاربة أن تتولد عند كل جيش صفة الحس الادراكي Sense- Perception لما سوف يعتمد عليه الجيش الاخر من صيغ هجومية ودفاعية وما يستعمله من أسلحة وأجهزة متطورة في الحرب لكي يمكن مواجهتها والتصدي لها في الوقت المناسب .

(1) باليت، أصول المعرفة العسكرية، مرجع مذكور سابقاً، ص 114 .

إن للحرب أسبابها وانعكاساتها الاجتماعية . فالحرب ليست مجرد عمليات عسكرية منظمة وجماعية تستعملها الجيوش المتحاربة ضد بعضها البعض بغية تحقيق الانتصار الحاسم بعد تدمير قوات طرف من أطراف القتال وإنما هي ظاهرة ومؤسسة اجتماعية دايمنكية لها أسبابها ونتائجها الاجتماعية المرصودة. فلو أخذنا الحرب العالمية الثانية بين بريطانيا وحليفتها والمانيا وحليفتها والتي استمرت أكثر من ست سنوات (١٩٣٩-١٩٤٥) لوجدنا بأن لهذه الحرب أسبابها الاجتماعية والحضارية التي يمكن تلخيصها بالنقاط التالية :

- أ- التناقض بين أيديولوجية النظام النازي المبنية على القومية العنصرية وبين أيديولوجية المجتمع البريطاني المبنية على حرية الفرد والتطلعات الرأسمالية<sup>(١)</sup>.
- ب- اعتقاد الايديولوجية الالمانية النازية بضرورة تفضيل الجماعة على الفرد واعتقاد الايديولوجية البريطانية بضرورة تفضيل الفرد على الجماعة .
- ج - اعتماد النظام الاجتماعي النازي على مبادئ العنصرية والتعصب والشوفينية وعدم التسامح بينما كان يعتمد النظام الاجتماعي في بريطانيا ولا يزال على مبادئ المرونة والحرية والتسامح .
- د - منافسة كلا الدولتين فيما بينهما للاستحواذ على مصادر المواد الاولية والاسواق التجارية مع اعتمادهما سياسة الاحلاف السياسية والعسكرية والسباق في التسلح<sup>(٢)</sup> .
- هـ - وجود المشكلات الاقتصادية والاجتماعية التي كانت تعاني منها الجماهير البريطانية والالمانية وفشل الحكومات بحلها وتصفية آثارها . وهذه المشكلات هي التي دفعت الحكومات بصورة إرادية أو غير إرادية إلى اللجوء لاسلوب

(١) Steeh, J. The Rise and Fall of Adolf Hitler, Hamlyn, London, P. 104.

(٢) Hart, Lidel: History of the Second World War, Cassell, London, 1971, PP. 3-6.

الحرب لكي تصرف الجماهير عن التفكير بها وإعلان التذمر والاستياء منها.

وكما إن للحرب العالمية الثانية أسبابها الاجتماعية والحضارية فإن لها نتائجها وانعكاساتها الاجتماعية والحضارية على المجتمع الاوروي برمته. ومن هذه النتائج ما يلي:

- أ- تغير العديد من أنظمة الحكم في أوروبا من شكل إلى شكل آخر. فالمانيا مثلاً قسمت إلى دولتين المانيا الغربية التي تبنت النظام الاجتماعي الرأسمالي الغربي والمانيا الشرقية أو الديمقراطية التي تبنت النظام الاجتماعي الاشتراكي الذي يكون على غرار التجربة الاشتراكية السوفيتية. كما إن معظم دول أوروبا الشرقية تبني النظام الاشتراكي في حين حافظت العديد من دول أوروبا الوسطى وجميع دول أوروبا الغربية على نظامها الرأسمالي .
- ب - بسقوط المانيا الهتلرية اندثرت الكثير من القيم والممارسات السلوكية المتخلفة التي تبناها الحزب النازي كالقومية العنصرية والشوفينية والتعصب والديكتاتورية والتحيز والاستهتار بكرامة وحرية وحقوق الانسان .
- ج - بانتهاء الحرب العالمية الثانية شهدت معظم الاقطار الاوروبية تحسناً في الاحوال الاقتصادية والاجتماعية وذلك بفضل خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية التي انتهجتها في التصدي لاثار الخراب والدمار التي تركتها الحرب على شعوب أوروبا بصورة خاصة وشعوب العالم بصورة عامة<sup>(1)</sup>.
- د - ظهور الكثير من الحركات السياسية والاجتماعية التي تطالب بالسلام العالمي وتقف ضد فكرة الحروب والسيطرة بالقوة على أفكار ومقدرات الشعوب.

(1) Beveridge, W. Social Insurance and Allied Services, London, Her Majesty's Stationery Office, 1958, P. 5.

هـ - تسريع عملية الانتقال الاجتماعي والجغرافي في معظم الدول الأوروبية التي تأثرت بالحرب بصورة مباشرة أو غير مباشرة ، مع تعميم تجربة التحضر والتصنيع والتحديث الشامل التي رافقت خطط التنمية القومية في فترة ما بعد الحرب .

و - وضع الاسس العلمية لمشاريع الخدمة والرعاية الاجتماعية التي ضمنت الانسان ضد العوز والحاجة وكافة التحديات التي يواجهها من المهد إلى اللحد<sup>(١)</sup>. ومن المشاريع الاجتماعية التي اعتمدها الدول الأوروبية في فترة ما بعد الحرب المشاريع السكنية ومشاريع الصحة العامة والطب المؤمم ومشاريع الرعاية الاجتماعية ضد العوز والحاجة المادية ومشاريع التعليم الالزامي المجاني ومشاريع رعاية الاسرة ومشاريع رعاية الامومة والطفولة ومشاريع الرعاية الاجتماعية لمعوقى وأسرى الحرب وتكليف المقاتلين العائدين من جبهات القتال إلى الحياة المدنية ٠٠ الخ .

وتتوضح المزايا الاجتماعية للحرب في العلاقات العسكرية- المدنية. فالجيش لا يستطيع إداء مهامه القتالية بصورة جيدة ولا يستطيع خوض الحروب الاستنزافية ذات الامد الطويل ولا يمكن أن يحقق النصر الحاسم على العدو دون اعتماده المباشر على التسهيلات والخدمات والمستلزمات التي يمددها المجتمع له خلال فترات السلم والحرب . فالمجتمع هو الذي يجهز القوات المسلحة بالكوادر القتالية بعد أن يعدها إعداداً جيداً من حيث منحها أسس التربية الاجتماعية ومقومات العلم والمعرفة والمبادئ والقيم والمقاييس والعادات والتقاليد. كما إن المجتمع من خلال الدولة يمد القوات المسلحة بالمؤن والمعدات والتجهيزات والاسلحة والاموال<sup>(٢)</sup> . وهنا تؤدي المؤسسات الاقتصادية ذات الطابع الانتاجي دورها الحاسم في تلبية المتطلبات

(١) Marshall.T.H. Social Policy, London, Hutchinason Univ. Library, 1965,PP. 177-178.

(٢) خضر، د. أحمد ابراهيم. علم الاجتماع العسكري، ص ٩٠.



الاقتصادية والتسليحية والمالية للقوات المسلحة. أما عقيدة الحرب والقتال وأيديولوجية أبناء القوات المسلحة فيستمدونها الجيش كمنظمة اجتماعية من الطبيعة السياسية للنظام الاجتماعي التي يشرف عليها القادة السياسيون والعسكريون<sup>(١)</sup>. وأخيراً لا يستطيع الجيش الحصول على الخدمات الإدارية التي يحتاجها والخبرات الفنية والعلمية والمختبرية التي تتطلبها عملياته القتالية دون اعتماده على المدنيين الذين يجهزونه بالخدمات والفنون والعلوم اللازمة. من هنا تبرز العلاقات الوطيدة بين العسكريين والمدنيين خصوصاً في الجيوش الحديثة التي أخذت تعتمد على المعدات التكنولوجية والأجهزة العلمية والكفاءات المعرفية أكثر مما تعتمد على قوة العضلات واللياقة البدنية والتدريبات التعبوية المرهقة.

#### ب - التفسيرات السببية للحرب :

منذ سنوات طويلة وفي الكثير من البلدان المتقدمة والنامية حاول علماء الاجتماع العسكري كشف الأسباب الرئيسية التي تكمن وراء الحروب وتدفع الدول والشعوب إلى الدخول في حروب مدمرة ومهلكة الواحدة مع الأخرى . غير أن آراءهم وطروحاتهم ونظرياتهم عن أسباب الحروب تبدو مختلفة وفي بعض الأحيان متناقضة ومتعارضة . يهدف هذا البحث من الفصل عرض أهم الأبحاث والدراسات التي قام بها علماء الاجتماع العسكري عن العوامل السببية للحروب وفي الوقت نفسه كشف الظروف والملابسات الحقيقية التي تدفع قادة وزعماء الدول وفي فترات تاريخية مختلفة إلى الانغمار في الحروب أما دفاعاً عن الذات أو رد الاعتبار لظلم أو حيف أصابها أو الحصول على مكاسب اقليمية أو اقتصادية أو أيديولوجية . وهذه الحروب التي تدخل فيها الدول تتمخض أما عن النصر العسكري والعزة القومية أو عن الاندحار العسكري والانكسار المعنوي والتراجع والخذلان.

(١) Sokolovsky, V. Military Strategy, New York, 1963, P.10.

هناك على كل حال ثلاثة تفسيرات مختلفة لأسباب الحروب. التفسير الأول يكمن في النظرية الاشتراكية التي تعتقد بأن الحروب الحديثة إنما هي عنصر ضروري لمرحلة معينة من مراحل التنمية الاقتصادية التي ترافق الامبريالية حيث أن الامبريالية كمرحلة حضارية تاريخية مرت بها بعض الدول الأوروبية تعتمد في وجودها ونموها على الحروب والصراعات العسكرية بين الدول (١). أما التفسير الثاني لأسباب الحروب فيتجسد في نظريات وطروحات مفكري مدرسة التحليل النفسي. أن نظرية التحليل النفسي تعتقد بأن أسباب الحرب تكمن في الطبيعة الانسانية العدائية وفشل قوة العقل الظاهري في السيطرة على النزاع العدائية الدفينة عند الانسان (٢). بيد أن المجتمع يستطيع ضبط النزاع العدائية عند أفراده عن طريق تغير ظروفهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية وتدريبهم على ضبط النفس والسيطرة على الدوافع العدائية والشهوانية.

أما التفسير الثالث لأسباب الحرب فهو تفسير أنصار حرية التجارة الذين يعتقدون بأن الحرب ما هي إلا تعبير عن الرواسب الاجتماعية للمجتمعات والحضارات الغابرة والظروف السياسية للسلالات الحاكمة عند الامبراطوريات التي لا تزال تتذكر قوتها ومجدها وعنفوانها وتريد إعادة مجد قوتها وهيبته. وقد تحدثت الحرب نتيجة المخاوف التي تكنها الشعوب بعضها إزاء البعض الآخر أو نتيجة المظالم والاحقاد التي خلفتها الحروب أو معاهدات السلم التي أعقبتها (٣). بعد الإشارة إلى أنواع النظريات التي تفسر أسباب الحروب بصورة مركزة نود شرح النظرية الاشتراكية والنظرية النفسية لكي نتعرف عليهما أولاً ونفهم الاسباب الحقيقية التي تكمن خلف الحروب كما توضحها هذه النظريات ثانياً.

(١) Ginsberg, M. Essays in Sociology and Social Philosophy, Vol. 11, London, Heinemann, 1956, P. 177.

(٢) Ibid., P. 190.

(٣) Ibid., P. 184.

## ١ - النظرية الاشتراكية للحرب :

تعتمد النظرية الاشتراكية للحرب على المبادئ الاقتصادية والسياسية التي تركز عليها الامبريالية . ففي دراسة أسباب الحرب يميز البروفسور هويس بين الاستيطان والامبريالية . فالاستيطان هو عملية الهجرة التي يقوم بها بعض أفراد المجتمع المتقدم إلى أراضي أجنبية خالية من السكان أو قليلة السكان (١) . وهؤلاء المهاجرون يحملون معهم جنسيتهم ولغتهم ومبادئهم وعاداتهم وتقاليدهم وعلومهم وحضارتهم التي يحاولون زرعها ويلورتها في الاقليم الجديد الذي يهاجرون اليه. أما الامبريالية فهي عملية احتلال أراضي جديدة من قبل عدد من الرجال البيض الذين يمارسون القوة السياسية والاقتصادية على عدد كبير من السكان يعتقد بعدم قدرتهم وكفاءتهم على حكم أنفسهم وتنظيم حياتهم الادارية والسياسية والاقتصادية والحربية(٢) . ويضيف هويس بأن القوة الدافعة للامبريالية تكمن في بحثها عن الاسواق التجارية التي تصرف فيها بضائعها المصنعة وفي سيطرتها على مصادر المواد الاولية وهيمنتها على مناطق النفوذ السياسي والايدولوجي.

لكن استعمار البلدان الضعيفة لا يكون بسبب العوامل الاقتصادية فحسب بل يكون بسبب عوامل أخرى تنعكس في العظمة الوطنية والمجازفة العسكرية والطموح السياسي والتبشير الديني... الخ (٣) . وتضيف النظرية الاشتراكية للحرب بأن رأس المال هو المحرك الاساسي للأنشطة كافة. فهو الذي يدفع الدول الصناعية إلى التنافس فيما بينها للسيطرة على الاسواق التجارية ومصادر المواد الاولية وأخضاع الشعوب الضعيفة لسلطانها. وخلال عملية المنافسة هذه تصطدم مصالح الدول بعضها مع بعض. ومثل هذا التصادم يلزمها الخوض في مسألة السباق في التسلح الذي ينهك مواردها الاقتصادية ويقلل كفاءتها المالية. لذا تتمخض السياسة الامبريالية

(١) Ibid.,P. 178.

(٢) Hobson, J.A. Imperialism, London, 1972,PP. 7-9.

(٣) Sokolovsky, V. Military Strategy, P. 43.

التي تعتمد على الدول الصناعية عن اندلاع الحروب وشيوع مظاهر العسكرية والاستعداد لخوض الحروب بين هذه الدول .

أما بالنسبة للعلاقة الايجابية بين الامبريالية والحرب فإن الحقائق الموضوعية تتكلم عالياً، ذلك أن الاسباب الرئيسية للتطاحن بين الدول ترجع إلى الصراعات بين الدول الامبريالية حول مسائل السيطرة على مصادر المواد الاولية والاسواق التجارية والهيمنة السياسية والايديولوجية<sup>(١)</sup>.. فالازمة الفاشورية التي كادت أن تجر كلاً من فرنسا وانكلترا للدخول في حرب عام ١٨٩٨ كانت ترجع إلى الصراع بين الدولتين للسيطرة على السودان. ومهما تكن الاسباب التي أدت إلى نشوب حرب البوير في جنوب أفريقيا فإن المصالح المالية والاقتصادية للدول الامبريالية كانت من بين الاسباب المهمة لاندلاع نيران الحرب. أما احتلال مصر في عام ١٨٨٢ فكان يرجع للاخطار التي تعرض لها الرأسماليون الاجانب في مصر، إضافة إلى رغبة الدول الصناعية الغربية في حماية قناة السويس من التهديدات الالمانية والروسية .

ومن الجدير بالذكر بأن الحربين العالميتين الاولى والثانية بين بريطانيا وحلفائها ومانيا وحلفائها كانت ترجع إلى الصراع بين هاتين القوتين في السيطرة على مصادر المواد الاولية والاسواق التجارية التي ترسل إليها هاتان القوتان بضائعهما الصناعية الجاهزة. إذن المنافسة المالية والاقتصادية بين بريطانيا ومانيا في السيطرة على المناطق الجغرافية التي تتسم بوفرة الموارد الطبيعية والاسواق التجارية النشطة كانت من الاسباب الرئيسية لاندلاع نيران الحربين العالميتين خلال النصف الاول من القرن العشرين .

(١) Ibid., P. 44.

## ٢- النظرية النفسية للحرب :

التفسير الآخر لاسباب الحرب هو التفسير السيكولوجي الذي يعتمد على علماء التحليل النفسي والذي يرجع الحرب إلى عوامل عقلية تتميز بالمرضية والعدائية والسلبية. ومثل هذه العوامل هي التي تجعل عدداً كبيراً من الناس مستعدين للدخول في الحرب والتعصب الهستيرى واللاعقلاني لها والاندفاع في تيارها مهما تكن الظروف (١). كما إن نتائج الحرب المهلكة لم تحد من ميول الناس نحو إعلانها والسير في فلكتها، فهم يذعنون ويميلون إلى الحرب على الرغم من الخسائر الفادحة التي يتكبدها والتي تضر بمصالحهم الذاتية مثلما تضر بمصالح الآخرين .

يشير علماء التحليل النفسي إلى أن شعور الكراهية عند الناس وتأثيره الفاعل في سلوكهم هو الذي يدفعهم إلى الدخول في صراعات مع الآخرين، هذه الصراعات التي قد تكون على شكل حروب تلعب دورها في سد الحاجات الغريزية عندهم خصوصاً الحاجة إلى الدمار والحاق الأذى والضرر بالآخرين. إذن الكراهية وما تنطوي عليها من توترات وأحقاد لا شعورية ودوافع عدائية تسلطية نحو الآخرين هي التي تفسر اندلاع الحروب وتكرارها بين الدول والشعوب (٢). وإذا ما أردنا تجنب الحرب وتفاذي الدخول في معتركها وجب استبدال دافع الكراهية بدافع الحب ومحاربة العوامل الموضوعية والذاتية التي تثير نوازع الكراهية والعداء بين الافراد والجماعات .

ويفسر بعض علماء النفس الحرب بسيطرة الغرائز العدائية على الانسان، هذه الغرائز التي تدفعه إلى الاعتداء على الآخرين وسلب ممتلكاتهم وغمط حقوقهم. ومثل هذا الاعتداء يحفزهم على الدفاع عن أنفسهم وصد العدوان ورد الاعتبار. لكن شن العدوان من قبل طرف معين وقيام الطرف الآخر بالتصدي له واحتوائه ينتج في

(١) Ginsberg, M. Essays in Sociology and Social Philosophy, P.190.

(٢) Ibid.,P. 191.

ظهر الصراع المسلح بين الطرفين. هذا الصراع الذي تتمخض عنه أضراراً كثيرة يتكبدها الطرفان المتخاصمان.

وبعد الدراسة المفصلة للنظرية الاشتراكية والنفسية للحرب نستطيع هنا تلخيص أهم العوامل التي تكمن خلف اندلاع الحروب بين الدول والشعوب بالنقاط التالية :

- ١- منافسة الدول الامبريالية الواحدة مع الاخرى في السيطرة على المقدرات الاقتصادية للدول الضعيفة خصوصاً عندما تكون الدول الاخيرة غنية بخيراتها ومواردها المادية وغير قادرة على حمايتها من الاطماع الاجنبية . وهنا تتصارع الدول الكبرى للسيطرة على الدول الضعيفة وتتدلع نيران الحرب المدمرة بينها.
- ٢- الخوف والقلق الذي تضرمه الدول بعضاً لبعض بسبب الحروب السابقة التي اندلعت بينها أو بسبب المعاهدات السلمية الجائرة التي وقعت بينها.
- ٣- الدخول في الاحلاف السياسية والعسكرية وممارسة سياسات التسابق في التسلح بين الدول الصناعية المتنافسة.
- ٤- العامل النفسي الذي يثير القلق والكراهية عند بعض الدول إزاء الدول الاخرى، وهذا العامل هو نتيجة حتمية للظروف الاقتصادية والسياسية التي مرت بها الدول والشعوب .
- ٥- رغبة الدول في ممارسة حقها في الدفاع عن نفسها ضد التهديدات والاعتداءات التي قد تتعرض لها مع غياب المنظمات الدولية التي تتولى حل المشكلات والخصومات التي تقع بين الدول .

#### ج - التحليل الوظيفي للحرب :

يمكن تحليل دراسة الحرب من نواح مختلفة. فمن وجهة النظر الوظيفية يمكن تقسيمها إلى نواح ثلاث رئيسية هي: التخطيط والتنفيذ والشؤون الادارية. فالغرض من التخطيط للحرب هو وضع القوات المسلحة في أفضل وضع ممكن لها بالنسبة للعدو

قبل بدء العمليات. أما تنفيذ خطط الحرب فهو مسؤولية ضباط الأركان العامة على كافة الأصناف والمستويات. لكن التخطيط للحرب يتضمن عدة مهام وفعاليات كتنظيم جهاز الدفاع ورسم سياسة الحرب واستثمار وترشيد الموارد الصناعية والاقتصادية وتعبئة الموارد البشرية والتنسيق بين المستلزمات العديدة الأخرى التي تشكل القدرة والكفاءة الحربية عند الأمة<sup>(١)</sup>. وهذه المهام والمتطلبات تتخذ قبل البدء الفعلي في الحرب. بيد أن التخطيط على هذا المستوى ينفذ كلية تقريباً بواسطة إداري ومستشاري الوزارات المختلفة التي يتم تنسيق انشطتهم بواسطة جهاز على مستوى القمة مثل مجلس الحرب أو مجلس الأمن القومي. وهكذا نلاحظ بأن تخطيط الدفاع على أعلى المستويات إنما هو مسؤولية الحكومة المدنية لا القادة العسكريين وتلك هي إحدى التطورات المميزة للفترة الراهنة .

وما أن يتم رسم السياسة الحكومية حتى تترجم إلى خطط عسكرية بواسطة ضباط أركان الصنوف الرئيسية للقوات المسلحة المسؤولين عن تنظيم وتهيئة القوات المسلحة للحرب وإعداد خطط العمليات والخطط الإدارية. وبعد التصديق على الخطة الاستراتيجية العامة يكلف قادة مسارج العمليات المختلفة بمهامهم العديدة، ومن ثم تبدأ حلقة التخطيط في الرئاسة ذات المستوى الأدنى في العمل. وفي الجيش تعتبر الأركان العامة في كل مستوى من مستويات القيادة مسؤولة عن كافة جوانب التخطيط الاستراتيجي والتشغيلي، إذ أنه بناءً على تقديرهم يحدد حجم القوات المطلوبة . كما تعد خطط تعبئتها وتحركها وسياسة تدريبها ونظم الأسلحة والمعدات والتأمين الإداري وبقية القرارات المتعلقة بالأعداد للحرب .

لقد أصبح التخطيط للحرب عملية معقدة تتطلب أعلى مستويات القدرة والمعرفة المهنية.

(١) بالبيت. أصول المعرفة العسكرية ، ص ٢٤.

فقد كانت تتولى التخطيط في النظام الالمانى السابق فئة داخل الجيش على مستوى عال من التدريب عرفت بأسم الأركان العامة الكبرى، وكان أعضاؤها يختارون خصيصاً من بين كادر الضباط في بداية حياتهم العملية والذين يتركز تدريبهم المهني على عمل ضباط الأركان ونواحي التخطيط للحرب والذين قضوا معظم حياتهم العملية في الأركان بحيث أصبحوا في الوقت المناسب محترفين موفوري التعليم وأصبحوا قلب التخطيط العسكري الالمانى. ونتيجة لذلك دخلت المانيا في ثلاثة حروب كبيرة خلال المائة علم الاخيرة، وقد أعدت لها الخطط إعداداً كاملاً ونسقتها تنسيقاً دقيقاً قبل إطلاق أول طلقة في ميدان القتال بفترة طويلة (١).

وعلى النقيض من ذلك كان الجيش البريطانى غير مدرك أهمية التخطيط إلا منذ عهد قريب فقط وبعد تأريخ طويل من الكوارث . وربما تكون الفترة الطويلة من السلام النسبى التي عاشتها بريطانيا قبل دخول عصر الحرب الحديثة (القرن التاسع عشر) سبباً في إهمال وظائف التخطيط في كل من الحكومة ووزارة الحربية. ولم تكن هناك أركان عامة حتى بداية القرن الحالى، فكانت وزارة الحربية التي لا تمتلك جهازاً للتخطيط مركزاً لسوء الإدارة وعدم الكفاءة والفوضى. ولم تبدأ الإصلاحات إلا عندما تكشف عدم كفاءة الحكومة البريطانية في مواجهة متطلبات حرب البوير في جنوب أفريقيا . لهذا انشأت لجنة مجلس الجيش التي اعتبرت فيما بعد الأساس لهيئة أركان الامبراطورية العامة. وبعد إصلاحات هالدين التي جاءت بعد ذلك بسنوات قليلة لدعم وتعزيز القوة الدفاعية البريطانية لمواجهة تحديات العصر اكتمل هذا العمل بظهور هيئة الأركان العامة التي نعرفها الآن.

ومنذ عام ١٩٤٥ عندما أصبحت اعتبارات الحرب النووية هي الاتجاه السائد في صنع السياستين الايديولوجية والاستراتيجية أنشأت القوى الكبرى في العالم مجالس

(١) المصدر السابق، ص ٢٥.



دفاع دائمة على مستوى عال تجتمع في فترات منتظمة حتى خلال فترات السلم وذلك لاستعراض وإعادة صياغة السياسة الاستراتيجية . وهناك اتجاه ملحوظ نحو إشراك عدد من الخبراء في هذه المجالس في مجالات أخرى غير المجالات الحكومية الصرفة. وجرى العرف في البنتاغون الأمريكي على استشارة خبراء من الجامعات ومؤسسات البحث العلمي والهيئات العلمية والصحفية بخصوص العديد من نواحي الاستراتيجية النووية . وعلى هذا فإن تقاليد وأعراف العسكريين المحترفين توضع موضع الاختبار عن طريق تسليط ضوء المناقشات الواعية عليها من قبل رجال الفكر والعلم لضمان اختبار كافة نواحي التخطيط الدفاعي قبل اتخاذ القرار. هذا هو نموذج العمل في المستقبل ويجب على المفكرين والخبراء من خارج صفوف العسكريين المحترفين أن يستعدوا للادلاء بأرائهم لكي يستفاد منها في وضع الخطة الدفاعية للدولة.

وبالرغم من أن مثل هذا التخطيط يسبق وظائف الحرب الأخرى، إلا أن تنفيذ الخطط ( وهو فن القائد في ميدان القتال) هو الذي يشكل الوظيفة الحاسمة في الحرب. إن التاريخ العسكري يقدم لنا أمثلة عديدة استطاع فيها قادة قديرون على إنجاز خطط عسكرية ضعيفة بفضل مهاراتهم في التنفيذ أي بقدراتهم على استخدام القوات في ميادين القتال. وتاريخ الجيوش البريطانية على سبيل المثال مملوء بالعديد من هذه الأعمال. فالحروب التي كسبتها بريطانيا مثلاً قد تكون قليلة لو اعتمدت فقط على جهود مخططيها. ونادراً ما يكون العكس صحيحاً، فحتى الخطط التي تلقى أكبر عناية في إعدادها لا تستطيع النجاح إذا كان التنفيذ سيئاً أو حتى متوسطاً . فالإعداد الاستراتيجي مهما بلغ لا يستطيع ضمان نجاح الخطة إذا أسيء تنفيذها تكتيكياً .

وكان هناك كثيرون من بين أكبر القادة البريطانيين في الحرب العالمية الثانية استطاعوا خلال السنين العصيبة من ١٩٤٠ إلى ١٩٤٢ أن ينقذوا بريطانيا من كارثة كادت أن تكون محققة وذلك بفضل مهارتهم في استخدام القوات. ومثال ذلك حملة

الجنرال أوكينلوك في شمال أفريقيا خلال عامي ١٩٤١ و١٩٤٢. ففي المرحلة الحرجة

من موقعة (الكروسيديور) في شهر كانون أول عام ١٩٤١، عندما فشل الجنرال كينكهام قائد الجيش الثامن في تنفيذ أي من المهام المكلف بها وخسر معظم دباباته، في هذه الاثناء كان تفكيره كله يدور حول الانسحاب حتى لا تقطع مواصلاته بواسطة قوات روميل خفيفة الحركة. وعلى عكس تعليمات القائد العام أعدت خطط الانسحاب الكامل وصدرت الاوامر إلى رئاسة الجيش الثامن بالانسحاب إلى مصر. في تلك المرحلة قرر أوكينلوك أن يقود القتال بنفسه وأن يتولى قيادة الجيش الثامن. وفي الوقت الذي كانت فيه جميع الامور سيئة وكان هناك جيش متفوق بدرجة كبيرة في المدرعات يواجه قوات غير منظمة، أصدر أوامره بالثبات والصمود وبحث فوراً فرصة للقيام بالهجوم المضاد. واستطاع بمهارته واحساسه بأهمية المعركة وبراعته في استخدام القوات أن يحول ما كان يبدو وكأنه هزيمة محققة إلى نصر كبير (١) وأصبح أول قائد بريطاني يقهر قائداً المانياً في الحرب العالمية الثانية.

لكن أهمية القائد الميداني لا تلقى في الغالب الادراك الكافي، وبالذات من هؤلاء الذين يقع على عاتقهم اختيار قادة الحرب. ويرجع ذلك إلى عدة أسباب هي أن العثور على الاستراتيجيين والمخططين وتقويمهم أثناء فترات السلم أسهل بكثير من العثور على المنفذين وتقويمهم كما لا توجد هناك فرصة لتقدير القيمة الحقيقية للقائد حيث أن الاستخدام الفعلي للقوات أثناء الازمة هو وحده المجال الذي يستطيع القائد أن يظهر من خلاله. وعند اختيار قائد للقيادة في الميدان، وهي مسؤولية تتضمن وظيفتي التخطيط والتنفيذ، فإن قدرته كمخطط تصبح بالضرورة المقياس المعتاد للاختيار. إضافة إلى أن تقييم أي منفذ يعتمد على عدد من الاشياء غير الملموسة كالقدرة على الحكم أو التقدير التكتيكي والقدرة على اتخاذ القرار والقدرة على العمل في

(١) المصدر السابق، ص ٢٨.

الزمان والمكان الحرجين والقيادة والسيطرة والشجاعة والمعنوية العالية. ولكن ليس من السهولة بمكان تدريب العسكري أو اختياره بموجب هذه الاشياء غير الملموسة، في حين تزخر صنوف القوات المسلحة بالكثير من كليات أركان الحرب والدورات التعليمية التي تستطيع أن تعلم الضابط كيف يصبح مخططاً جيداً. لقد دخل كثير من القادة إلى ميدان القتال كاستراتيجيين مدربين ليجدوا أن إدارة المعركة تتطلب شيئاً أكثر مما تستطيع كليات أركان الحرب أن تعلمه.

وأخيراً هناك وظيفة الشؤون الادارية التي لا نعني بها واجبات إدارة شؤون الجيش وإنما نعني بها الامدادات التي يحتاجها الجيش أثناء تواجده في سوح القتال. إن تعبير الشؤون الادارية يتضمن تخطيط الاعاشة والنقل على كافة المستويات من أجل تأمين خطة العمليات، كما يتضمن التنفيذ الفعلي للإدارة في الميدان. والواقع أن النقل والاعاشة الميدانية هما مجرد مظهرين من مظاهر الشؤون الادارية. فالشؤون الادارية الجديدة لا تشتمل فقط على العوامل العسكرية والامكانيات الكامنة وإنما ترتبط أيضاً ارتباطاً معقداً بالاقتصاد القومي وتعبئة كافة الموارد كالصناعة ومصادر الطاقة والخدمات الطبية والبحث العلمي والزراعة والدعاية وإرادة القتال. وقد اختلف تماماً الخط الذي يفصل بين الواجبات العسكرية والواجبات المدنية خصوصاً ما يتعلق بتوفير الموارد من أجل الحرب فالشؤون الادارية اليوم تمتد ابتداءً من الشعب حتى نقطة التوزيع في ميدان القتال (١).

يتضح مما ذكر أعلاه بأن اجراءات الشؤون الادارية تلازم تخطيط وتنفيذ العمليات. إضافة إلى أنها تدخل ضمن مسؤولية القائد العام الذي يخطط للعمليات وينفذها. إلا أنه تحت الظروف الراهنة للحرب نجد أن هناك تعرضاً ملحوظاً في التطبيق الوظيفي بين إدارة العمليات وتأمينها الاداري. وفي الحروب الحديثة نرى بأن القائد غالباً ما يدير العمليات من مركز تكتيكي تاركاً مسؤولية الشؤون الادارية لرئيس

(١) المصدر السابق، ص ٣٠.

أركانها أو إلى موظف إداري آخر في مركز القيادة الرئيسي أو الخلفي. لذا ففي كل من التخطيط والتنفيذ يمكن اعتبار الشؤون الادارية وظيفة متميزة في حد ذاتها في الحروب الحديثة .

#### د - الحرب والحضارة :

لقد دمرت الحروب عبر التاريخ كثيراً من الحضارات ودمرت معها مجموعات كبيرة من البشر، ومع هذا التدمير الوحشي زال كثير من الفضائل والقيم الحضارية (١) . إلا أن إرادة الحياة بقيت أقوى من كل تدمير. فقد زالت وتدمر ومأرب ونيوى وقامت من بعدها حواضر أكثر تطوراً، وزالت اسبارطة وقرطاجة واثينا وقامت في مواضعها حضارات وصلت الماضي بالحاضر وتابعت بناء المستقبل على قاعدة الارض ذاتها وبجهود الشعب ذاته. ولقد تعرضت قضية ظهور الحضارات وتحللها لاجتثاث كثيرة في القديم والحديث وستبقى قضية ازدهار الحضارات وانهارها شغل الفلاسفة وعلماء الاجتماع والتاريخ والاخلاق ورجال الاقتصاد والدين. تظهر دراسة القرنين الماضيين بعض عوامل تطور الحضارات ودور الحروب في ظهورها وتحللها. فقد كان تطور أوروبا الصناعي والتقني سبباً في ازدهارها وكان هذا السبب ذاته عاملاً في تطور الحروب واتساع أفقها وزيادة تعقيدها .

وتبين للعالم أجمع أنه أصبح على حافة الهاوية يوم انفجرت القنابل الذرية فوق هيروشيما وناغازاكي. ورافق ذلك احساس بالخطر من انفراد دولة واحدة بالقدرة على تدمير العالم. ولكن هذا الاحساس بالخطر ما لبث أن تعاضم نتيجة امتلاك أكثر من دولة عظمى للسلاح الرهيب. وأصبحت القدرة التدميرية المتوافرة لاية دولة عظمى كافية لازالة الحضارة من على سطح الارض بضربة واحدة بل لتدمير الكرة الارضية مرات عديدة. ونتج عن هذا الخطر بذل الجهود للتخفيض من حدة سباق التسلح بين الدولتين العظميين خاصة والدول الكبرى عامة. ونشأ عن ذلك ظهور بعض التعاون

(١) العسلي، بسام (المقدم). الحرب والحضارة، مرجع مذكور سابقاً، ص ١٧٧.

لتطوير تقنيات ارتياد الفضاء الكوني وأبحاث اعماق المحيطات . ولكن ذلك لم يضع حداً للصراع الاقتصادي والايديولوجي بين الدول. ونشأ عن ذلك وضع خطير في بعض الاحيان مثل ازمة كوبا في عام ١٩٦٢. وكان هجوم أحد الطرفين الاعظمين يدفع الطرف الاخر للانسحاب من مسرح المجابهة ، ولكنه انسحاب مؤقت يترك المجال للطرف المنسحب من أجل القيام بهجوم آخر في موقع آخر ينسحب فيه الطرف المهاجم في المرة السابقة. وهكذا خضع العالم لنوع جديد من العلاقات السياسية- العسكرية. وإذا كان لا بد من تجنب المجابهة بأسلحة التدمير الشامل فإن ذلك لا يعني توقف الصراع. وكان يجب إيجاد عقيدة استراتيجية تتيح تحية الخيار بين الكل الهائل (الحرب الذرية) وعدم الحرب. وظهر الحل في تطوير الاعمال الثورية والحروب المحدودة التي يمكن تصنيفها في أربعة مجاميع :

- ١- حروب بين بلدان صغيرة متجاورة .
- ٢- حروب تشنها الدول الكبرى على بلدان أصغر منها بكثير.
- ٣- حروب يشنها بلد كبير على بلد صغير .
- ٤- حروب محدودة في البداية بين دولتين كبيرتين (١) .

وما يتعلق بالحروب العربية الاسرائيلية فتتداخل مجموعة غير محدودة من العوامل كالموقع الجيوستراتيجي للوطن العربي وما يحتويه هذا الوطن من قدرات اقتصادية وامكانيات بشرية وتراث حضاري زاهر. ولكن عندما أقام الاستعمار إسرائيل في قلب الوطن العربي كان له هدفه المحدد وهو وضع الوطن العربي تحت التهديد المستمر ومنعه عن تطوير قدراته وإشغاله عن بناء مستقبله بأرادته. ورثت أمريكا عن الاستعمار القديم كل مميزاتة بما فيها التحكم بالشعوب عن طريق إقامة مجموعات من القيادات التابعة له وتكليف القوي القيام بالحرب وكالة عنه. وكان الاعتقاد السائد هو انه بالامكان دائماً التحكم بصراع المنطقة العربية عن طريق التحكم بوسائل الصراع

(١) المصدر السابق، ص ١٧٨.

(الاسلحة) . وضمن هذا الاطار تم إصدار البيان الثلاثي الانكلو- فرنسي الامريكي عام ١٩٥٠ بايقاف شحنات الاسلحة إلى الوطن العربي للمحافظة على التوازن. ولكن هذا التوازن أخذ في الاضطراب اعتباراً من عام ١٩٥٥ عندما أخذت سوريا ومصر في الانفتاح على الكتلة الاشتراكية (الاتحاد السوفيتي وتشيكوسلوفاكيا). وقد أدى هذا الى دخول المنطقة في دائرة سباق التسلح. وعندما وقعت نكسة حزيران عام ١٩٦٧ ظهر بوضوح أن الحرب المحدودة في المنطقة العربية أخذت تسير في اتجاهين جديدين أولهما زيادة دوائر الصراع والثاني الزيادة الكبرى في حجم القوى والوسائط التي يحتمل زجها في الحرب .

لقد وضعت تطورات الحروب المحدودة العالم العربي خاصة والعالم كله أمام مأزق حقيقي. فنفقات الحرب المحدودة أصبحت باهظة ولا تستطيع الدول الصغرى تحملها. لهذا يبرز احتمال تدخل الدولتين العظميين بصورة مباشرة في مساعدة أطراف هذه الحروب مما يزيد احتمالات المجابهة المباشرة. أما بالنسبة للعالم العربي فإن تزايد نفقات التسلح إلى ما وصل اليه إنما يدفع العرب للخروج من دائرة التسلح المحدودة إلى دائرة التسلح الشاملة. ومن جهة ثانية نلاحظ بأن زيادة أعباء التسلح تدفع دول العالم الثالث لتبعية تفقدها استقلالها الذي ناضلت طويلاً من أجل نيته (١) .

ويصبح من الطبيعي أن تحاول الدول النامية ومنها الدول العربية تجاوز صراعاتها المحدودة من خلال اتحاداتها وتكتلاتها. ولكن تبعية أقطاب عدد من هذه الدول للمعسكرات المتصارعة تعيقها عن بلوغ أهدافها. أما الموقف بالنسبة للعرب فإن دعم استراتيجيتهم الواحدة يسمح لهم بتجاوز إسرائيل ووضعها في موقع جانبي، الامر الذي يحرم إسرائيل من ممارسة دورها الوظيفي. وهذا ما يدفع الامبريالية الجديدة إلى إعاقة كل جهد عربي موحد. وليست القضية هنا هي قضية ضمان التوازن بين العرب وإسرائيل وإنما إبقاء إسرائيل في موقع التفوق ضد القوى العربية مجتمعة. وهنا يطرح

(١) المصدر السابق، ص ١٨ .

---

---

السؤال : وإذا لم تستخدم الدول العربية أسلحتها ضد إسرائيل فـضد من تستخدمها؟ وهل تعني الامبريالية حصر استخدام الاسلحة في حروب محدودة بين العرب بعضهم ضد بعض؟ أم من أجل ضمان مصالح الامبريالية الأمريكية وإهمال كل ما يتعلق بالمصلحة العربية والمستقبل العربي؟ وقد تكون الاجابة على هذه التساؤلات وامثالها كافية لابراز مضمون هدف الحرب المحدودة من وجهة نظر الامبريالية. إنها تعني ببساطة قيام الدول النامية بخوض الحروب المحدودة نيابة عن الدول العظمى وتحمل أعباء الحروب. وهنا تحقق الدول العظمى المغنم صافية لها. وهذه الظاهرة تعتبر من أبرز التطورات الحضارية الحديثة التي حملها التقدم الصناعي والاقتصادي لعالم ما بعد الحروب العالمية الثانية .

.....



## الفصل العاشر

### التكتيك العسكري والاستراتيجية العسكرية وعلاقتها بالسياسة والمجتمع

هناك علاقة جدلية بين التكتيك والاستراتيجية من جهة، وبين الاستراتيجية والسياسة والايديولوجية من جهة أخرى. فالتكتيك العسكري كما يعرفه العلم العسكري هو فن استعمال القوات في أرض المعركة والمناورة بالقطعات واستعمالها أثناء المعركة مع العدو (١). أما الاستراتيجية العسكرية فهي فن التخطيط والإشراف على المعارك لتحقيق هدف الحرب (٢). ويمكننا اعتبار التكتيك العسكري (التعبئة) واسطة لتحقيق استراتيجية الحرب وهي كسب الحرب وإلزام العدو على الخضوع لمشية الطرف المنتصر (٣). ويخدم كل من التكتيك العسكري (التعبئة) والاستراتيجية العسكرية (السوق) سياسة الدولة الرامية إلى الدفاع عن حرمة الوطن ومنع العدو من احتلال الأرض وصيانة وحدة المجتمع والحفاظ على التراث والمقدسات والمنجزات (٤). أما الايديولوجية فهي العقيدة السياسية والاجتماعية التي يؤمن بها المقاتلون والتي تدفعهم إلى الكفاح من أجل حماية الأرض والشرف والمقدسات (٥). وغالباً ما تشتق الايديولوجية من مبادئ وقيم وثقافة النظام الاجتماعي الذي ينتمي اليه المقاتلون الذين يؤمنون بعقيدة أو أيديولوجية نظامهم الاجتماعي يسمون بالمقاتلين الايديولوجيين

(١) شفيق، منير. علم الحرب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٢، ص ١١٥.

(٢) المصدر السابق، ص ٣٧.

(٣) المصدر السابق، ص ٣٨.

(٤) المصدر السابق، ص ٣٩.

(٥) العميد الركن عدنان دحام علي. أثر العقيدة السياسية في معنويات القوات المسلحة، مرجع مذكور سابقاً،

أو المقاتلين المؤمنين بعقيدة كما أن جيشهم يسمى بالجيش العقائدي. زد على ذلك أن الاديولوجية المتكاملة التي يؤمن بها المقاتلون، غالباً ما تذكرهم بعدالة القضية التي يقاتلون من أجلها، وعدالة القضية هي التي تحثهم على الاستبسال في القتال وحماية الارض والمقدسات من شرور الاعداء والمحتلين (١).

يهدف هذا الفصل إلى دراسة ثلاثة مباحث أساسية هي :

- ١- التكتيك العسكري .
- ٢- الاستراتيجية العسكرية .
- ٣- العلاقة الجدلية بين التكتيك والاستراتيجية العسكرية وسياسة الدولة .

#### أ- التكتيك العسكري (التعبئة العسكرية) Military Tactics

هناك تعريفات كثيرة للتكتيك العسكري أهمها أن التكتيك هو فن استخدام القوات العسكرية في المعركة، أو أنه فن قيادة القوات في المعركة، أو هو الوسيلة التي بواسطتها تنزل الهزيمة بالعدو في المعركة (٢) . وهناك من قال بأن ساحة المعركة هي مجال التكتيك أو هو فن استخدام السلاح في المعركة بطريقة تجعله يمارس تأثيراً كبيراً في حسمها. وأخيراً عرف التكتيك بعلم دراسة قوانين الحرب في وضع جزئي.

تتفق كل هذه التعريفات على نقطة أساسية وهي حصر التكتيك في عملية الاشتباك في المعركة واستعمال القوات في حسم نتائج المعركة وحسن استعمال السلاح لانزال الهزيمة بالعدو (٣) . لكن دراسة التكتيك تتعلق بمسائل السلاح والتشكيلات والارض واستخدام القوات العسكرية في المعركة ومسألة الحركة والنيران

(١) اللواء الركن مكي مصطفى حمودات . العقيدة العسكرية، لين النظرية والتطبيق، مرجع مذكور سابقاً، ص ٢٠.

(٢) شفيق، منير. علم الحرب، ص ١١٦.

(٣) المصدر السابق، ص ١١٧.

في المعركة. إن أية عملية اشتباك هي عبارة عن بشر وسلاح وتشكيلات وأوضاع معينة لها علاقة بالارض. وبعبارة أخرى أن التكتيك يتناول ثلاثة أركان أساسية هي السلاح والتشكيلات وطريقة استخدام الارض في الجمع بين السلاح والتشكيلات والحركة (١). ويمكننا هنا دراسة أركان التكتيك بصورة مفصلة :

#### ب- السلاح

تقسم الاسلحة إلى نوعين رئيسيين هما :

- ١- سلاح الصدام، أي سلاح الصدام القريب مثل السيف والرمح والحربة والمسدس والقنبلة اليدوية (٢).
- ٢- سلاح المقذوفات، أي سلاح الاشتباك البعيد مثل السهم والمنجنيق والرصاص والمدافع والراجمات والصواريخ الخ.

إن سمة أسلحة الصدام هي الحسم السريع لأنها تنتهي الاشتباك الجسدي بالنصر أو الهزيمة. لهذا يعتبر هذا النوع من القتال مفتقراً للمرونة. أما في حالة المقذوفات بعيدة المدى فتمتلك المرونة لأنها تعطي القائد وقواته إمكانية عدم الاشتباك وإعادة التجميع والعودة للاشتباك رغم عمل القذائف . ولا تعتبر اسلحة المقذوفات حاسمة كأسلحة الاشتباك، حيث أن الاسلحة الاخيرة هي التي تحسم المعركة وأسلحة المقذوفات تنهك العدو وتبعثر قواته وتضعف معنوياته .

#### ب - التشكيلات :

تهدف التشكيلات القتالية إلى الاستفادة من كتلة القوات وأسلحتها ومعداتنا وحركتها التكتيكية أثناء المعركة. ولما كانت المعركة عبارة عن صدام بين كتلتين من البشر تستخدمان السلاح لسحق بعضهما بعضاً فإن هذا يتطلب الانتباه إلى الاعتبارات التالية :

(١) المصدر السابق، ص ١١٦-١١٧.

(٢) المصدر السابق، ص ١١٧.

- ١- أن تنظم كل كتلة بطريقة تجعلها تعمل كرجل-واحد لكي يؤدي توحيد جهودها إلى مضاعفة مقدرة كل رجل ومضاعفة مقدرة المجموع من خلال وضع الكتلة كلها ضمن تشكيل معين (١) .
  - ٢- ينبع تشكيل القوات في المعركة من حاجة كل مقاتل لان يكون محمياً من أجنحته ومؤخرته بجيرانه، ومن الطبيعي أن يرتب الافراد بشكل يتيح لكل فرد أن يغطي جيرانه، ويغطي من جيرانه بنظام متراص طويل، أو صغير ويعمق كبير أو قليل تبعاً لتكتيك العصر .
  - ٣- لا يمكن قيادة تلك الكتلة من البشر إذا لم تكن منظمة .
  - ٤- تشكيل القوات يعطي كل فرد ثقة بالرابطة المادية والمعنوية التي تربطه ببقية الكتلة.
  - ٥- لا يمكن تحريك تلك الكتلة وجعلها تقوم بمناورات تكتيكية قبيل المعركة أو في أثنائها ما لم تكن مشكلة بطريقة معينة .
- لقد عرفت الجيوش منذ أقدم العصور وحتى اليوم أربعة تشكيلات رئيسية سواء كانت القوة التي تشكل مؤلفة من عشرة أو مائة أو من مائة ألف مقاتل، وسواء كانت مسلحة بالرماح والسيوف أو بالرشاشات والصواريخ المضادة للدبابات، وسواء كانت تسير على الاقدام أو تمتطي الخيول، أو تتركب الدبابات والعربات. وهذه التشكيلات هي :
- ١- النسق أو الخط (Line) : من مميزات النسق إنه يؤمن التركيز الاقصى لقوة السلاح في حركة الاشتباك، أما سيئاته فهي افتقاره للعمق والمرونة وبطئه وعدم سهولة تأقلمه مع كل أنواع الارض (٢) .

(١) المصدر السابق، ص ١٨.

(٢) المصدر السابق، ص ١٩.

٢- الرتل Column : من مميزاته أنه يؤمن المرونة والعمق ويتأقلم جيداً مع الارض، وهو أكثر سرعة من النسق. أما سيئاته فهي افتقاره للجبهة وعدم ضمانه للاجنحة .

٣- المربع Square : من حسناته أنه يؤمن العمق والجناحين، ويؤمن جبهة وتركيزاً معيناً . ولكنه أقل إمكانية على المناورة التكتيكية من الرتل، ويستخدم أساساً في التكتيك الدفاعي سواء على شكل مربعات نابليون المقسمة إلى أرتال أو النقاط الدفاعية الداخلة في العمق .

٤- المناوشة Skirmishing : وهي تشكيل متحرك يصلح أساساً للقوات الصغيرة. ومن مزاياها سرعة الحركة والتأقلم مع الارض والقدرة على أخذ أشكال متعددة. بما فيها النسق والمربع ، ومن مساوئ تشكيل المناوشة افتقاره للتركيز عند الالتحام .

#### ج - الارض :

إن طبيعة استخدام الارض في المعركة ، أي الجمع بين السلاح والحركة والتشكيلات وطوبغرافية أرض المعركة يكون شرطاً أساسياً للتنفيذ التكتيكي والمناورة التكتيكية. لم يكن عامل الارض عنصراً مهماً عندما كانت أرض المعركة التي يختارها الطرفان منبسطة ولكنها أصبحت الآن حقيقة بديهية في طريقة قيادة الجيوش في المعركة حيث أن المعركة قد تدور رحاها في أية طبيعة أرضية سواء كانت هذه الطبيعة منبسطة أو متموجة أو جبلية أو صحراوية .

#### مبادئ أساسية في التكتيك العسكري :

إذا كانت تشكيلة القتال تعني خطأ متراصاً من الرجال يتراوح في العمق وفي الطول فإن الحماية تضعف عند الاجنحة التي تعتبر أضعف النقاط ونظراً لضعف الاجنحة أصبح المتحاربون يحاولون كسب المعركة عن طريق الالتفاف على الاجنحة مما تطلب الدخول إلى المعركة بجبهة أطول من جبهة العدو. وإذا لم يكن العدد كبيراً فإن هذا يعني تمديد الجبهة (الاجنحة) وبالتالي خلق نقاط ضعيفة جديدة في الجبهة

ذاتها . وقد يستفيد من هذا العدو عن طريق خرق الجبهة . من هنا أصبح هدف التكتيك الهجومي هو شق تماسك جبهة العدو وتحطيم نظام تشكيلته أما عن طريق الالتفاف حول الاجنحة أو خرق الجبهة الامامية (١) .

وعندما تخرق جبهة العدو يصبح تماسكه مفككاً وتؤدي الصدمة إلى شعور كل جندي بالخطر، فتنمزق الرابطة المعنوية مع تمزق التماسك المادي فيتحول الجيش المنظم إلى كتلة مضطربة . لذا أكد كلا وسيفتر على تحطيم معنويات العدو من خلال الصدمة في المعركة. وكانت هذه هي لحظة أعمال السيف في الماضي، أما في العصر الحديث فقد أخذت شكل انسحاب منتظم قدر الامكان من جانب المهزوم، وملاحقة من جانب المنتصر مستهدفاً منع المهزوم من إعادة تنظيم قواته والاجهاز عليه. لكن حركة الالتفاف على الاجنحة تتطلب حركة أسرع وامتداداً أوسع مما يتطلبه خرق الجبهة . لهذا السبب كانت الاجنحة تتشكل من الفرسان وأصبحت تتشكل من الآليات المصفحة فيما بعد.

ومن الجدير بالذكر أن على الجانب المهاجم أن يمتلك قوة متفوقة على دفاع العدو وهذا يتحقق عن طريق التعاون بين مختلف أسلحة الصدام كالمدفعية والطائرات والراجمات والصواريخ. ويجب على كل هذه الاسلحة أن تقسم الادوار وتكون متعاونة متناغمة ومتحركة وسريعة في خرق جبهة العدو.

كان الدفاع يعتمد على مقدرة كل رجل في الخط على استخدام سلاحه. وكان أحيانا محمياً بدرع أو بحاجز صغير من الاخشاب أو خندق أو وراء سور. ولكن الدفاع في معركة الاشتباك قد اعتمد اساساً على استخدام القذائف والمدافع والراجمات والصواريخ الخ. وكان على الهجوم مواجهة هذه الاسلحة قبل الوصول إلى العدو في قتال قريب عن طريق استخدام مثيلاتها لاسكات أسلحة القذف الدفاعية،

(١) المصدر السابق، ص ١٢١.

أو على الأقل أنقص كثافتها إلى حد معقول يتيح إمكانية الاندفاع إلى نقطة الاختراق<sup>(١)</sup>.

ولكن مع تطور الاسلحة التقليدية الحديثة (زيادة كثافة النيران) أصبح الدفاع في القمة. مما جعل عملية المعركة أكثر تعقيداً وأصبحت تتطلب مجموعة من الاجراءات والخطط الماهرة وعمليات المناوشة حتى يغدو بالامكان الالتحام مع العدو أي أضحي من الضروري إنهاكه وانزال خسائر أولية به مع التركيز على النقطة الحاسمة في الوسط او في الجناحين . ولكن لا بد قبل بدء عملية الاختراق أو الالتفاف تشغيل احتياط الدفاع. أما بجره إلى نقطة هجوم تضليلي، أو إجباره على التوزع على نقاط عديدة، إلى جانب التركيز على هز معنوياته. من هنا أصبحت المعركة التكتيكية تتشكل من مرحلتين :

١- مرحلة أولى تمهيدية قد تكون طويلة أو قصيرة حسب كل حالة .

٢- مرحلة توجيه الضربة الرئيسية<sup>(٢)</sup> .

أما مهام الهجوم فيمكن تحديدها بالنقاط التالية :

١- تمزيق تماسك الجيش ونظامه وهز معنوياته وذلك من خلال عمليات الحصار والانهاك المستمر والشائعات وقعقة السلاح والتلويح به. إضافة إلى عمليات الخداع والقنابل الصوتية وعمليات التمويه واساليب المفاجأة . وكل هذا يحدث قبل المعركة وعند بدئها. وأخيراً تحدث عملية الاختراق نفسها وتمزيق أحد الاجنحة أو كليهما، أو خرق الوسط وهز تماسك الجيش ومعنوياته بقوة الصدام المسلح .

٢- إسكات نيران العدو أو انقاصها جداً كتركيز النيران التمهيدية في نقطة توجيه الضربة الرئيسية. وهذا بدوره يمزق تماسك العدو عندما ينجح الاختراق من تلك النقطة ويتخلل سد الدفاع .

(١) المصدر السابق، ص ١٢٢ .

(٢) المصدر السابق، ص ١٢٣ .

٣- قطع مواصلات العدو ونقاط إمداده ، وإذا أمكن ضرب مخازن ذخائره وتموينه في جبهة المعركة نفسها (١) .

٤- توفير الغطاء الجوي للهجوم الذي تتناغم ضربياته مع ضربات القوات البرية المهاجمة .

#### ب - الاستراتيجية العسكرية ( السوق العسكري ) Military Strategy

هناك تعريفات عديدة للاستراتيجية لا بد من استعراض أغلبها وتحليلها من أجل معرفة مفهوم الاستراتيجية . يعرف كلاوسيفتزر الاستراتيجية بنظرية استخدام المعارك لتحقيق هدف الحرب. إن هذا التعريف يضع مهمة الاستراتيجية في تحقيق الهدف السياسي للحرب من خلال استخدام المعارك. ويخرج بالنقطة الرئيسية وهي التفريق بين الهدف السياسي وبين الاستراتيجية حيث يقف الهدف السياسي في المقدمة وتأتي الاستراتيجية لتقوم بمهمة تحقيقه. لذا فالاستراتيجية بموجب هذا التعريف ليست الهدف السياسي وإنما هي نظرية استخدام المعارك لتحقيق الهدف السياسي. لذا فعلاقتها بالهدف هي علاقة الوسيلة بالغاية (٢) .

أما فوندر غولتز فيعتقد بأن الاستراتيجية تشغل نفسها بالاجراءات ذات النطاق العام التي تخدم دفع القوات إلى العمل في الجبهة الحاسمة تحت أفضل الظروف الملائمة. وهذا التعريف للاستراتيجية يتناول نقطتين أساسيتين هما:

١- الاستراتيجية تعنى باتخاذ الاجراءات ذات الطبيعة العامة بالنسبة لمسرح الحرب ككل.

٢- واجب الاجراءات الاستراتيجية هو وضع القوات في الجبهة الحاسمة في أفضل الظروف الملائمة .

(١) المصدر السابق، ص ١٢٤.

(٢) المصدر السابق، ص ٣٨.



أما ليدل هارت فيعرف الاستراتيجية بـفن استخدام القوات العسكرية لتحقيق  
الغايات التي وضعتها القيادة السياسية<sup>(١)</sup>. يرتكز هذا التعريف في جوهره على  
تعريف كلاوسيفتز بجعل الاستراتيجية قائمة على أساس تحقيق الهدف السياسي .  
ولكن الفرق هنا أن ليدل هارت وسع مفهوم كلاوسيفتز لهدف الحرب بحيث جعل  
الهدف مرناً غير محصور بمفهوم الحرب المطلقة، وربط الاستراتيجية بتحقيق مختلف  
الغايات التي تضعها القيادة السياسية. بما في ذلك تلك التي تتميز بالطابع المحدود.  
غير أنه حصرها بـفن استخدام القوات المسلحة ، وبهذا اسقط عملية دورها في  
التحضير أو على الاصح حصرها في مرحلة استخدام القوات العسكرية .

ويعرف فوش الاستراتيجية بأنها عملية تتبع من اشتباك بين ارادتين متنازعتين  
(٢) . ويحاول هذا التعريف التأكيد على الجانب السيكولوجي للحرب ودور الاستراتيجية  
في هذا المجال . أما اندريه بوفر فيعرف الاستراتيجية بـفن استخدام القوة لتقوم بأكبر  
اسهام في اتجاه تحقيق الغايات التي وضعتها القيادة السياسية<sup>(٣)</sup> . ويعتمد هذا  
التعريف للاستراتيجية على الجمع بين تعريف ليدل هارت وتعريف فوش وذلك  
باسقاطه كلمة عسكرية من تعريف ليدل هارت واستبدالها بمفهوم كلمة قوة في تعريف  
فوش لجعل الاستراتيجية تشمل الجانب العسكري والسيكولوجي، مضافاً إليها ضرورة  
استخدام تلك القوة بصورة تجعلها تمارس أكبر تأثير لتحقيق الغايات التي وضعتها  
القيادة السياسية .

ويعرف الجنرال السوفيتي ستروكوف الاستراتيجية العسكرية بأنها أساليب  
وأشكال خوض الصراع المسلح وإعداد القوات المسلحة واستخدامها في الحرب، وهي  
تهتم بخوض الحرب بالكامل وبالحملات العسكرية<sup>(٤)</sup> . أما أهم واجبات الاستراتيجية

(١) المصدر السابق، ص ٤٠ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) المصدر السابق .

(٤) المصدر السابق، ص ٤١ .

كما يحددها ستروكوف فهي تحديد القوى والوسائل الضرورية لخوض الحرب بنجاح، وكذلك القوى والوسائل والاساليب المعادية وانتقاء اتجاه الضربة الرئيسية وإعداد القوات المسلحة ومسارح العمليات للحرب وأختيار اساليب وأشكال الصراع المسلح ثم استخدامها وربطها بشكل حاذق. ويدخل في مهام الاستراتيجية العسكرية وضع خطة الحرب وتحديد دور بعض أنواع القوات المسلحة والصنوف المختلفة ثم تنظيم التعاون فيما بينها خلال فترة الحرب .

ويعرف لينين الاستراتيجية بأنها عملية توجيه الضربة القاضية للعدو بعد وصوله إلى حالة الانحلال المعنوي والتفكك القتالي (١) . ويركز هذا التعريف على أهمية أختيار اللحظة الحاسمة لانزال الضربة القاضية بالعدو بصورة سهلة وشبه مضمونة، أو بكلمات أخرى يركز على أهمية العمل السياسي التحضيري قبل المعركة الفاصلة. وعندما تحدث لينين عن الاستراتيجية السوفيتية قال يجب أن تكون مشبعة بأكبر قدر من الحسم وينبغي عليها أن تسحق العدو سحقاً كاملاً. فهو يقول: " لا يكفي ضرب العدو، بل يجب سحقه عن بكرة أبيه". أما تعريف ستالين للاستراتيجية العسكرية فهو أن الاستراتيجية تهدف إلى كسب الحرب ككل (٢) .

من هذه التعاريف للاستراتيجية العسكرية كافة نستنتج النقاط التالية :

- ١- بعد تحديد الهدف السياسي تأتي الاستراتيجية لتعالج المسائل المختلفة التي تؤدي إلى تحقيق الهدف السياسي. بمعنى أن الاستراتيجية هي الجسر الذي يمتد من الهدف إلى تحقيقه مروراً بالتطبيق. من هنا نلاحظ بأن مجال الاستراتيجية هو الحرب ككل .
- ٢- تتضمن المسائل المختلفة التي تؤدي إلى تحقيق الهدف عدة اشياء مهمة هي نظرية استخدام المعارك لتحقيق الهدف، ونظرية العمليات والتكتيك، ونظرية بناء القوات المسلحة وتنظيمها وتسليحها وتدريبها وتركيزها وتوزيعها. إضافة

(١) المصدر السابق، ص ٤٢ .

(٢) المصدر السابق.

إلى التخطيط والإشراف على الحملة، والإجراءات العسكرية والمعنوية والاعداد السياسي التي تضع القوات ككل في أفضل الظروف الممكنة. كما ينطوي تحقيق الهدف على قيادة القوات المسلحة بالصورة التي تجعلها تمارس أكبر تأثير على العدو (فن استخدام القوات العسكرية)، واختيار الاهداف الحاسمة واختيار اللحظة الحاسمة لانزال الضربة القاضية. وأخيرا أتخاذ الاجراءات المضادة لاستراتيجية العدو واحباطها والمساهمة في إضعاف جبهة العدو مادياً ومعنوياً .

٣- لا توجد هناك اسراتيجية جاهزة تصلح لكل زمان ومكان وحرب. ذلك إن الاستراتيجية تتأثر بطبيعة الحرب التي تخوضها وتعمل ضمن الامكانيات المادية والتكتيكية والبشرية والسياسية المتوفرة أو التي يمكن توفيرها مستقبلاً. كما تتأثر بالمكان والزمان ومستوى استراتيجية وتكتيك العدو .

٤- مهمة الاستراتيجية هي تحقيق الهدف السياسي بغض النظر عن الامكانيات المتوفرة والشروط المستكملة، إذ عليها أن تعتمد خاصة عند مواجهة عدو متفوق ببعض المجالات الهامة إلى توفير الامكانيات وتعمل على استكمال الشروط واختيار العمليات الانسب والتكتيك من أجل التعويض عن تفوق العدو وبالتالي تأمين اسباب تحقيق النصر عليه.

علينا هنا الاشارة إلى تعريف باليت للاستراتيجية. يقول باليت الذي هو جنرال في الجيش البريطاني بأن الاستراتيجية هي فن تعبئة وتوجيه مصادر الامة أو مجموعة الامم بما في ذلك القوات المسلحة من أجل تحقيق الهدف السياسي<sup>(١)</sup>. ويقول أن للاستراتيجيات مستويات مختلفة هي الاسراتيجية السياسية والاستراتيجية العسكرية والاستراتيجية الاقتصادية والاستراتيجية الاجتماعية واستراتيجية العمليات. غير أنها جميعاً تتناول مختلف المستويات للاستراتيجية ضمن وحدة مفهوم عام. أما الجنرال

(١) ديري، أكرم . آراء في الحرب، مرجع مذكور سابقاً، ص ١٣-١٥.

الفرنسي بوفر فيقسم الاستراتيجية إلى مستويات. ويعرف الاستراتيجية بالمهمة التي تقود الصراع سواء كان عنيفاً أو غير عنيف، سواء دار في الميادين السياسية أو الاقتصادية أو الدبلوماسية أو العسكرية أو فيها كلها في وقت واحد، لان المسألة في الواقع كلية. فلا يمكن رؤية الاستراتيجية من وجهة نظر عسكرية صرفة لان ذلك سيغفل مجموعة من العوامل الاخرى .

لذا فالاستراتيجية ليست محصورة بمجال من المجالات دون المجال الآخر. فكل مجال يوضع له هدف للوصول اليه، وهذا الهدف لا يمكن نيله دون رسم استراتيجية خاصة به تكفل تحقيقه. وتقوم الاستراتيجية عموماً بالمهام التالية:

- أ - تقييم الوضع في المجال المعطى واكتشاف القوانين الاساسية التي تحكمه.
- ب - وضع خطة استراتيجية تتضمن تلك القوانين أو القواعد والمفاهيم الاساسية، وتعيين الاجراءات الاستراتيجية الواجب اتخاذها وأنسب أساليب العمل والممارسة لتحقيق الهدف.
- ج - تحديد نظرية التطبيق أو التكتيك في المجال العسكري أو السياسي وخطوطه العامة العريضة وتشرف عليه وتقوده ككل .
- د - دايكتيكية الاستراتيجية العسكرية :

نعني بدايكتيكية الاستراتيجية العسكرية العلاقة بين الظروف العسكرية وغير العسكرية المحيطة بالدولة وبين الاستراتيجية العسكرية التي تعتمد عليها وقت تعرضها أو دخولها في الحرب لسبب أو لآخر (١) . علماً بأن الاستراتيجية العسكرية التي هي فن استخدام القوات لتحقيق الغايات السياسية تعتمد على المعطيات المادية والبشرية والقتالية والتاريخية المحيطة بالدولة أو الدول المتحاربة (٢) . فهذه المعطيات وما يؤثر فيها من عوامل موضوعية وذاتية هي التي تلزم الدولة على اختيار استراتيجية أو سوق عسكري معين يكفل تحقيق الاهداف السياسية للدولة .

(١) شفيق، منير. علم الحرب ، ص ٤٩ .

(٢) المصدر السابق، ص ٥٠ .

إن هناك خمسة أنواع من الاستراتيجيات العسكرية التي تعتمد عليها الدول في حروبها . وهذه الاستراتيجيات هي ما يلي:

- ١- الاستراتيجية التي تعتمد الهجوم الخاطف والسريع عن طريق التركيز لسحق القوات الرئيسية في جيش العدو (الاستراتيجية العسكرية الالمانية والامريكية).
- ٢- الاستراتيجية التي تعتمد على الاسلوب غير المباشر في الصراع العسكري (الاستراتيجية العسكرية البريطانية).
- ٣- استراتيجية الحرب الشعبية طويلة الامد التي تبدأ بالدفاع الاستراتيجي وتنتقل إلى التوازن الاستراتيجي ثم الهجوم الاستراتيجي (الاستراتيجية العسكرية السوفيتية) (١) .
- ٤- الاستراتيجية التي تستهدف استنزاف العدو وتعبئة الرأي العام العالمي ضده وبالتالي شل ارادته في القتال (الاستراتيجية العسكرية الجزائرية والفلسطينية- ثورة الحجارة).
- ٥- الاستراتيجية التي تهدف إلى خوض مختلف أشكال النضال حتى يتوفر وضع ثوري مساعد لاندلاع ثورة مسلحة عامة تحقق نصراً استراتيجياً سريعاً (الاستراتيجية العسكرية الصينية).

إن مسألة تحديد الاستراتيجية العسكرية للدولة تعتمد على مجموعة من العوامل التي تقرر طراز الاستراتيجية المثلى التي تتلاءم مع ظروف ومعطيات وخصوصية الدولة. فاستراتيجية خوض حرب هجومية خاطفة سريعة القرار عن طريق التركيز لسحق القوات الرئيسية في جيش العدو تتوقف أساساً على توفر تفوق مادي كالسلاح وعدد الافراد وحركتهم وخبراتهم التقنية على العدو. أو إذا كان هناك نوع من التوازن في القوى المادية وكانت جبهة العدو مخلخلة من الناحية المعنوية والتنظيمية والسياسية. أما إذا كان العدو متفوقاً نسبياً ولم تكن الدولة قد اكملت استعداداتها ولديها

(١) ديري، أكرم. آراء في الحرب، ص ٢٧.

ساحة حرب واسعة تستطيع المناورة فيها بحيث تنهك العدو وتشتت قواه فإن خوض حرب نظامية تعتمد الاسلوب غير المباشر تكون الأنسب في مثل هذه المعطيات . كما إن تبني الدولة لاستراتيجية الحرب الشعبية طويلة الامد محكومة بتفوق مادي كاسح في جبهة العدو ، في حين لا تستطيع الدولة إلا تبني استراتيجية تعتمد على الدفاع الاستراتيجي نتيجة لضعفها المادي واعتمادها الاساسي على العناصر الانسانية كالوعي والتنظيم والجمهير وخلخلة جبهة العدو، من اجل الانتقال إلى التوازن الاستراتيجي ثم الهجوم الاستراتيجي وانزال الهزيمة بالعدو .

إن العلاقة الجدلية بين موازين القوى هي التي تقرر طراز الاستراتيجية الأنسب في كل وضع، مع الأخذ بعين الاعتبار حجم ساحة الحرب والطوبوغرافية والكثافة السكانية والوضع المدني والطبقي والاقتصادي . . . الخ، وكذلك ضرورة الأخذ بعين الاعتبار مسألة الزمن، أي هل أن إطالة أمد الحرب هي لمصلحة الدولة أم لمصلحة العدو .

لكنه بعد تحديد استراتيجيتك وتكتيكك (استراتيجية وتكتيك الدولة) فإن العدو سيفعل كذلك في المقابل، أي سيختار نوع استراتيجيته وتكتيكه. وهنا تبدأ عملية الصراع منذ الوهلة الاولى وحتى نهاية الحرب (١) . وسيتخذ الصراع طريقه على عدة جبهات في المؤخرة وفي الجبهة، وفي المجالات السياسية والاقتصادية والسيكولوجية وفي المجالات التنظيمية والادبولوجية ، وعلى مستوى الرأي العام العالمي والمحلي . . . الخ . هذا فضلاً عن الصراع في العمليات الاستراتيجية والمعارك التكتيكية .

(١) المصدر السابق، ص ٢٤ .

وسيكون هناك دائماً نقاط ضعف ونقاط قوة في جبهتك وكذلك الحال في جبهة العدو. لو أخذنا نقاط الضعف ونقاط القوة كمثال على دايكتيكية الصراع الاستراتيجي فسنجد أن جوهر عملك سينتقل على حماية نقاط الضعف في جبهتك، ومنع العدو من استغلالها بقدر المستطاع. وفي ذات الوقت تصعيد نقاط قوتك إلى أقصى حد. غير أن العدو سيحاول منعك من الاستفادة من نقاط قوتك وجعل فعاليتها تهبط إلى الحد الأدنى. بينما ستدور معركة مشابهة من جانبك على جبهة العدو تحاول أن تضرب نقاط ضعفه وتفيد منها إلى الحد الأقصى بينما سيحاول العدو حمايتها ومنعك من استغلالها، وستحاول أنت منعه من الاستفادة من نقاط قوته إلى الحد الأقصى وجعل فعاليتها تهبط إلى الحد الأدنى .

إذن هذه العملية تتخذ شكل سلسلة مترابطة من المواقف الدفاعية والهجومية وتمتاز بمحاولات فرض واحباط في وقت واحد. كما إنها تتخذ في الجوهر شكل الصراع على كسب حرية الحركة وحجبها عن العدو، أو عرقلة حرية حركة العدو واستعادة حرية الحركة من جانبك، كما وأنه سيفعل الشيء نفسه. إن هذا كله يجعل ساحة الحرب في حالة حركة وتغير مستمرين ويجعل توازن القوى في حالة تقلب ويجعل خططك الاستراتيجية في حالة صدام دائم مع مقابلاتها في جانب العدو، وفي علاقة حية دائمة مع التطبيق ونتائجه، الامر الذي يتطلب إعادة تقييم الوضع ككل باستمرار، وكذلك إحداث تغييرات وتعديلات بالخطط الاستراتيجية وبالعمليات والتكتيك من أجل امتلاك زمام المبادرة أو استعادته ، وامتلاك حرية الحركة أو استعادتها .

من هنا يمكن رؤية طبيعة دايكتيكية الاستراتيجية في الحرب ومدى أهمية دور العامل الذاتي خاصة مهارة القيادة في معالجة دايكتيكية الصراع في الحرب .

#### د- العلاقة بين التكتيك والاستراتيجية العسكرية وسياسة الدولة :

لاحظنا بأن التكتيك هو التفضيلات الحربية التي تقع في ساحة المعركة، بينما الاستراتيجية هي فن استخدام القوات لتحقيق الاهداف السياسية التي تضعها الدولة. أما سياسة الدولة فهي ارادة القادة والحكام في توجيه مسيرة الدولة نحو خط معين يتلاءم مع أديولوجية النظام الاجتماعي<sup>(١)</sup>. فسياسة الدولة قد تتطوي على عدة مسائل وأهداف كت تحقيق الاستقلالية والسيادة، والحفاظ على وحدة المجتمع، ومنع الدول الطامعة من احتلال أي جزء من أجزاء البلاد... الخ. وعندما تصطدم سياسة الدولة هذه مع سياسة دولة أخرى فإن النزاع بين الدولتين لا بد أن يظهر، وقد يأخذ طابع الحرب الخاطفة أو الحرب الاستنزافية طويلة الامد . وللحرب شقين أساسيين هما: التكتيك العسكري الذي يتعلق بالصيغ الفنية لاستخدام القوات العسكرية في الجبهة، والاستراتيجية العسكرية التي تستعمل القوات المسلحة في طريقة تحقق الاهداف السياسية للدولة. علماً بأن هناك نوعين من الاستراتيجية كما يخبرنا هارت: الاستراتيجية الصغرى وهي عملية استخدام وقيادة القوات العسكرية لتحقيق الاهداف السياسية التي تحددها الدولة. والاستراتيجية الكبرى وهي عملية زج كافة موارد وامكانات المجتمع المادية والبشرية والمعنوية والعلمية والحضارية والدبلوماسية لتحقيق الاهداف السياسية للدولة والمستنبطة من أديولوجية النظام الاجتماعي والسياسي<sup>(٢)</sup>.

يقول كلاوسفيتز في كتابه " فن الحرب " إن الحرب هي عمل من أعمال العنف يستهدف إكراه الخصم على تنفيذ ارادتنا. وهذا يعني بأن الحرب كعمل اجتماعي تتطلب وجود ارادتين متصارعتين ، وتفترض وجود مجتمعين منظمين سياسياً يحاول كل منهما التفوق على الآخر وقهره. ويضيف كلاوسفيتز قائلاً بأن الحرب متى نشبت فإنها تميل إلى التصعيد إلى الحدود القصوى. ويعود السبب في

(١) الحسن، د. احسان محمد. علم الاجتماع السياسي، مرجع مذكور سابقاً، ص ٩٩.

(٢) ديرى، أكرم. آراء في الحرب، ص ٢٣.



ذلك إلى ما يسميه بدايلكتيك الصراع وحتميته، أي جدلية الصراع وحتميته. كما يقول بأن الحرب هي عمل من اعمال العنف وليس هناك من حدود للتعبير عن هذا العنف. فكل من الخصمين يضع قانون الآخر. ومن هنا ينتج عمل متبادل يصعد الامور إلى الحدود القصوى .

لكن هدف العمليات العسكرية بصورة عامة إنما هو نزع سلاح الخصم نزاعاً تاماً . وهنا يذكر كلاوسفيتز " لكي نخضع الخصم لارادتنا ينبغي أن نضعه في وضع اسوأ بسبب التضحيات التي نطالبه بها. ومع ذلك ينبغي أن لا يكون هذا الوضع السيء وضعاً مؤقتاً ، والا انتظر الخصم وقتاً ملائماً بالنسبة اليه ليمتنع عن الخضوع. غير أن الخصم ليس كتلة مينة. فالحرب هي صراع بين قوتين حيتين. فعدم قضائي على الخصم يجعلني أخشى ان يقضي هو عليّ . فاست أنا سيد نفسي ما دام بإمكانه أن يملي ارادته عليّ كما أملي عليه ارادتي " .

ولا يمكن ربح الحرب إلا في اللحظة التي يخضع فيها الخصم لارادتنا<sup>(1)</sup> وتحسب الدول الوسائل التي تمتلكها مادياً ، وعليها تبني جهودها الخاص، إلا ان قوة المقاومة عند العدو لا يمكن حسابها. ويقوم خصمها بالشيء نفسه، ويزيد الطرفان من وسائلهما آخذين بعين الاعتبار الارادة العدائية للطرف الآخر. وبهذا يتصعد الموقف بين الطرفين ويحدث سباق في التسلح والاستحضارات .

لقد عرف كلاوسفيتز الاستراتيجية كما لاحظنا في المبحث السابق بأنها استخدام الاشتباك للوصول إلى هدف الحرب؟ إلا أن عيب هذا التعريف أنه يخلط بين مسؤوليات السلطات العليا في الدولة وبين عمل القادة العسكريين. علماً بأن الاستراتيجية (السوق) هي عمل من أعمال الدولة. فالدولة هي التي تجسد الاستراتيجية في مختلف ميادينها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية بشكل تكوّن فيه هذه الاستراتيجية كلاً لا يتجزأ. أما الجنرال بوفر فيرى بأن الاستراتيجية ليست

(1) المصدر السابق، ص ٢٤.

عقيدة جامدة ولكنها أسلوب فني التفكير يستمخ بدراسة الأحداث وتصنيفها حسب أهميتها واختيار الوسائل الفعالة الملائمة لها. فلكل موقف استراتيجي تتلاءم معه، فإذا ما طبقت استراتيجية موقف على موقف آخر غدت فاشلة وأدت إلى كارثة. علماً بأن استراتيجية كل دولة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بوضع هذه الدولة وقواها المادية والمعنوية بالنسبة لقوى عدوها .

لذا نلاحظ بأنه لا يمكن عزل الاستراتيجية عن مركباتها الأساسية. فالاستراتيجية اليوم إنما هي استراتيجية شاملة تتداخل فيها المواقف السياسية إلى حد كبير، أي أن الاستراتيجية هي توقع كامل للأحداث على ضوء افتراضات متعددة، مع السلوك الواجب اتخاذه ازاء كل احتمال. ويدخل هنا الحل العسكري كاحتمال من الاحتمالات. لكن فون مولتكة عرف الاستراتيجية بأنها اجراء الملاءمة العملية للوسائط الموضوعية تحت تصرف القائد إلى الحد المطلوب . وفي هذا التعريف يبدو واضحاً أن الدولة التي تضع سياسة الحرب العليا هي التي تحدد للقائد العسكري هدفه السياسي . ويقتصر عمل هذا القائد على ملاءمة الوسائط العسكرية التي تضعها الدولة تحت تصرفه بما يحقق هذا الهدف .

ويرى ليدل هارت كما لاحظنا أن الاستراتيجية (السوق) هي فن التوزيع واستخدام مختلف الوسائط العسكرية لتحقيق هدف السياسة. وعندما تستخدم القوات كوسيلة لتحقيق هذا الهدف فإن كل التحضيرات التي تسبق هذا العمل وتتهيء له وتتفذه هي التكتيك. ويتكلم ليدل هارت عن الاستراتيجية الكبرى أو السوق الأكبر Grand Strategy فيقول أنها السياسة التي توجه سير الحرب (1) . لذا ينبغي عليها أن تقتر وتضاعف الامكانيات الاقتصادية والقدرة البشرية بقصد دعم الوحدات المقاتلة، إضافة إلى قيامها بدعم القوى المعنوية. ذلك أن أهمية تقوية ارادة الرجال وشخصيتهم تعادل أهمية الحصول على القدرة المادية. وتتولى الاستراتيجية العليا ايضاً تنظيم

(1) المصدر السابق، ص ٢٥.

وتوزيع الأدوار والقوى بين مختلف المرافق. كما يجب الإدراك بأن القدرة الحربية هي عامل واحد من عوامل الاستراتيجية العليا التي يدخل في حساباتها قوة الضغط المالي والدبلوماسي والتجاري والمعنوي . وكلها عوامل هامة وأساسية في إضعاف ارادة الخصم.

لكننا إذا سمينا الاستراتيجية قيادة مجمل العمليات العسكرية وسمينا الدبلوماسية إدارة الحوار مع الدول الأخرى سواء كانت دولاً حليفة أو صديقة أو معادية فإن الاستراتيجية والدبلوماسية تابعتان للسياسة، أي تابعتان للتصميم السياسي العام الذي تضعه أمة من الأمم أو جماعة من الجماعات بهدف الدفاع عن مصيرها والحفاظ على مصحتها القومية .

وعندما قرأ لينين ما كتبه كلاوسفيتز عن الاستراتيجية قال ما يلي: " إن السياسة هي الذكاء أما الحرب قلبي وسيلتها فقط". وفي مجال آخر قال لينين: " إن طبيعة الهدف السياسي تحدث تأثيراً حاسماً على إدارة الحرب <sup>(١)</sup> . ذلك إن الهدف السياسي يحدد طبيعة الحرب وما إذا كانت مشروعة أو غير مشروعة. وهذا يؤثر تأثيراً جديراً على الاستراتيجية لأنه في الحالة الأولى تعتمد الاستراتيجية على مساندة الشعب الكاملة لأهداف الحرب . وفي الحالة الثانية قد لا تروق هذه الأهداف للشعب، وينخفض بالتالي مستوى اشتراكه في الحرب إلى درجة كبيرة .

وفي تقسيم فن الحرب إلى استراتيجية (السوق) وتكتيك (تعبئة) لا يعترف السوفييت بشيء اسمه " الاستراتيجية الكبرى" لأنها السياسة العليا في نظرهم، وهي إدارة الحرب التي تمارسها اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي. لكن فن الحرب السوفيتي ينقسم إلى استراتيجية (سوق) وعمليات وتعبئة (تكتيك): ابتداء من الدفاع عن البلاد الذي تمارسه الاستراتيجية فتستخدم كل قوى وامكانيات الدولة ومواردها الحربية إلى قتال الجبهات وقتال الوحدات الصغيرة <sup>(٢)</sup> .

(١) المصدر السابق، ص ٢٧ .

(٢) المصدر السابق .

إلا ان القيادة العسكرية ابان فترة ضراوة الحرب وقسوتها. تطالب السياسة بحلفاء جدد وبتهييد بعض القوى المعادية في النزاع، وبخلق ظروف دولية ملائمة للانتصار على العدو في الحرب . كما إن ميدان السياسة ميدان واسع، اذ تطالب السياسة الدبلوماسية في ظروف التوتر والحرب بتعزيز مركز الدولة في العالم الخارجي وشرح قضيتها العادلة وإبراز شرعية دفاعها عن نفسها. وأبرز مثال على ما تستطيع الدبلوماسية الثورية أن تفعله هو هذا التضامن العالمي الرائع مع شعب فيتنام ضد العدوان الامريكي وعلينا أن نعترف بأن الدبلوماسية العربية قد نشطت نشاطاً كبيراً في هذا المجال بعد عدوان ٥ حزيران عام ١٩٦٧ وحقت نجاحاً يمكن أن يكون منطلقاً لنجاحات أكبر في إبراز حقيقة العدوان الصهيوني وفضحه وفضح أهداف الصهيونية العالمية. كما استطاعت الدبلوماسية العراقية خلال الحرب مع ايران فضح النوايا العدوانية والتوسعية لنظام خميني واصراره على لعبة مواصلة الحرب مع العراق وكشف تربيته المصلي مع الصهيونية وكل اعداء الامة العربية. إضافة إلى نجاح الدبلوماسية العراقية في عزل النظام الايراني وتسليط الضغوط العالمية عليه لايقاف الحرب الاستنزافية التي فرضها على العراق والتي لا يستفيد منها سوى الامبريالية وأعداء الامة العربية (١).

هـ - دراسة تحليلية عن دور الاستراتيجية الاجتماعية للعراق في حربه مع ايران: تتباين الاستراتيجية الاجتماعية أو السوق الاجتماعي للمجتمعات بتباين ظروفها ومراحلها الحضارية التاريخية ومعطياتها المادية وغير المادية والمشكلات والتحديات الكامنة والظاهرة التي تواجهها. فالاستراتيجية الاجتماعية أو السوق الاجتماعي للمجتمع العراقي قبل فترة الحرب مع ايران يختلف عن ذلك الذي اعتمده القيادة السياسية في العراق إبان فترة الحرب. علماً بأن السوق الاجتماعي الذي تحدد القيادة السياسية مضامينه وأبعاده التفصيلية سواء في فترة السلم أو الحرب ينبغي أن

(١) العميد الركن ماجد محمد حسن الخالدي. العمق السوقي والفارق السكاني في الصراع مع ايران، اطروحة لدورة الحرب الخامسة، ١٩٨٥، جامعة البكر للدراسات العسكرية العليا، بغداد، ص ٨٩.

يكون متناغماً ومتجاوباً مع السوق الاقتصادي والسياسي والعسكري. ومن الجدير بالذكر أن أدبولوجية النظام الاجتماعي مهما تكن فلسفتها السياسية هي التي ترسم الاطر العريضة والملاحم التفصيلية للسوق الاجتماعي الذي تتبناه الدولة في مسيرتها العامة والخاصة. وعند رسمها لمجال واتجاهات السوق تأخذ في عين الاعتبار ظروف المجتمع ومشكلاته وأولوياته .

يعني المخططون والاستراتيجيون الاجتماعيون بالسوق الاجتماعي الاهداف والغايات الاجتماعية القريبة والبعيدة التي يريد النظام السياسي تحقيقها بأسرع وقت ممكن من خلال رسم سياسة تركز على وسائل عملية وخطط تعبوية من شأنها أن تمكن المسؤولين من تحقيق غايات وأهداف المجتمع بكفاءة تامة وبأقل قدر ممكن من الجهود والتكاليف (١) . والسوق الاجتماعي الذي حددت معالمه القيادة السياسية في القطر العراقي منذ بداية العدوان الايراني على العراق أخذ عدة اتجاهات وعبر عن نفسه في عدة صور أهمها التصدي للاخطار الداخلية والخارجية التي تتحدى النظام الاجتماعي والتراث الحضاري للمجتمع وتزيد إيقاف حركة التقدم والنهوض التي أخذت تشق طريقها في المجتمع بنشاط وثبات، وتحقيق الوحدة المصيرية بين جماهير الشعب والقوات المسلحة والقيادة السياسية. كما يتضمن السوق الاجتماعي العراقي تعبئة الجماهير بكل فئاتها الاجتماعية وعناصرها السكانية لتأخذ دورها القتالي والامني والانتاجي والخدمي في المعركة القومية (٢) .

إضافة إلى اهتمام السوق الاجتماعي بسد حاجات الانسان العراقي المادية والمعنوية وبناء وتطوير شخصيته وزج طاقاته وامكانياته المبدعة والخلقة في خدمة المعركة. كذلك يهتم السوق الاجتماعي العراقي بتكليف المجتمع بكافة مؤسساته

(١) Marshall, T. H. Social Policy, Hutchinson University Library, London, 1965.

(٢) الحسن، د. احسان محمد. الثورة والحرب ، بغداد، مركز البحوث والمعلومات، ١٩٩٢ .

التحتية والفوقية لظروف ومتطلبات الحرب بعيدة المدى لكي تتمكن كل مؤسسة من هذه المؤسسات من إداء دورها الفاعل في خدمة المعركة والانتصار على العدو وإفشال نواياه ومخططاته التوسعية. وأخيراً يتوخى السوق الاجتماعي العراقي تجسيد شعار الواجبات أولاً ثم الحقوق حيث أن هذا الشعار يعتبر بمثابة المبدأ الانساني الذي تستند اليه نظرية العمل .

علينا في هذا المبحث شرح الاطر والمضامين الانسانية والحضارية التي يتكون منها السوق الاجتماعي العراقي إبان فترة الحرب مع ايران. إن من أهم اولويات السوق الاجتماعي خلال فترة الحرب التصدي للاخطار الداخلية والخارجية التي تتحدى النظام الاجتماعي والتراث الحضاري للمجتمع<sup>(١)</sup> . فالقادة والمسؤولون يريدون الحفاظ على شكلية وخصوصية البنية الاجتماعية، واستمرارية الحياة الاجتماعية وتكاملها، ووحدة الشرائح والفئات السكانية وتحقيق طموحاتها القريبة والبعيدة. وعندما تتدلع نيران الحرب يحاول الاعداء في الداخل والخارج التعرض لعناصر الحياة الاجتماعية وتوجيه الضربات لها بغية بعثتها ونفثتها. إضافة إلى قيامهم بتهديد الامن والطمأنينة في المجتمع والاخلال بحركة وفاعلية المؤسسات البنوية لكي تتعطل الحياة وتشل مفاصلها وتصبح الهيئات الاجتماعية عاجزة عن تقديم الخدمات الضرورية التي يحتاجها المواطنون .

وهنا يسهل على الاعداء في الداخل السيطرة على زمام الامور الاجتماعية وتمكين المعتدين من تحقيق مآربهم اللئيمة. أن حماية البناء الاجتماعي والتراث الحضاري والحياة العامة للمواطنين من الاخطار والتحديات في الداخل والخارج تتطلب تعميق أواصر الوحدة الوطنية واليقظة والحذر وتهيئة القوات المسلحة القوية والمقتدرة التي تمنع الاعداء من تدنيس تراب الوطن والتعرض للبناء الاجتماعي وما

(١) اللواء الركن مكي مصطفى حمودات. العقيدة العسكرية بين النظرية والتطبيق، ص ١٤.

يكتنفه من قيم ومقاييس وعادات وتقاليد يعتز بها الآباء والأبناء لأنها وليدة الارث الحضاري لاسلاف والاجداد العظام .

ومن المهام الاساسية الاخرى التي يضطلع بها السوق الاجتماعي العراقي تحقيق الوحدة المصيرية بين الجماهير والقوات المسلحة والقيادة السياسية. والوحدة بين الارقان الثلاثة هذه تتحقق من خلال تواجد ثلاثة متغيرات أساسية هي الايديولوجية الواضحة والمتكاملة، وقيام كل ركن بخدمة الركن الآخر والتضحية من أجله، وأخيرا الخطر المشترك الذي يهدد وجود وفاعلية الارقان الثلاثة. إن السوق الاجتماعي الذي يهدف إلى تحقيق الوحدة الوطنية وتقوية عناصرها البنوية يحتاج إلى أيديولوجية واضحة ومتكاملة، هذه الايديولوجية التي تحدد وحدة الفكر والممارسة وتضع العناصر الاساسية للتكتيك والاستراتيجية وتضي على النظام الاجتماعي خصوصية تميزه عن بقية الانظمة الاجتماعية في العالم (١).

وتتحقق وحدة المجتمع وترابط اجزاؤها عندما تتضافر جهود الجماهير مع جهود القيادة السياسية والقوات المسلحة في خدمة المجموع. وقد برهنت تجربة الحرب مع ايران على وحدة عناصر المجتمع ومبادرة كل عنصر إلى خدمة العنصر الآخر والتضحية من أجله حتى أصبح المجتمع العراقي بكل فئاته وشرائحه الاجتماعية عائلة واحدة. فتحت ظروف الحرب سارعت القوات المسلحة إلى الدفاع عن أرض العراق ومنعت العدو من تحقيق طموحاته ولقنته دروساً قاسية. والجماهير من جانبها رفدت المعركة بالطاقات البشرية المتجددة وأدت واجباتها الانتاجية والخدمية والامنية بكل أمانة واخلاص . والقيادة السياسية أدت دورها في التخطيط لصد العدوان وتحويله إلى منطلق للنصر واسترجاع الحقوق والاستمرار بمعركة البناء والتقدم وتعزيز المعنويات وحشد الطاقات وتسخير كافة الامكانيات في خدمة المعركة .

(١) المصدر السابق، ص ١٧.

ويهتم السوق الاجتماعي العراقي خلال فترة الحرب بجانب آخر ألا وهو تعبئة الجماهير بفئاتها الاجتماعية ومستوياتها الثقافية والمهنية كافة لمواجهة العدوان وذلك من خلال إتاحة المجال لها باحتلال دورها التعبوي والسوقي في المعركة. وقد شارك في عملية التعبئة الجماهيرية هذه العديد من الجماعات المؤسسية والشعبية كوسائل الاعلام الجماهيرية والمدارس والمعاهد والجامعات والاتحادات والمنظمات الحزبية والجماهيرية والجوامع والكنائس والاسر والقادة والمسؤولين والمربين والنوادي والجمعيات الاجتماعية ٠٠٠ الخ. ونجحت هذه الجماعات كافة في إداء مهامها التعبوية المطلوبة خلال فترة وجيزة. ونتيجة للجهود والمبادرات التي قامت بها أجهزة ومنظمات المجتمع الرسمية والشعبية خلال فترة الحرب استطاع القطر مجابهة العدوان الايراني مجابهة مقتدرة وتحقيق الانتصار عليه في محاور جبهات القتال كافة ومنعه من تحقيق أي من اهدافه العدوانية .

إن المهام التعبوية التي أدتها أجهزة ومنظمات المجتمع خلال فترة الحرب تدور حول تحفيز المواطنين باختلاف فئاتهم العمرية وشرائحهم الاجتماعية على التوجه لسوح التدريب العسكري بغية التأهيل للمشاركة في المعركة. كما دأبت الاجهزة والمنظمات هذه على غرس ونشر القيم الايجابية بين المواطنين ، هذه القيم التي تحفزهم على إداء أدوارهم الاجتماعية وتحمل مسؤولياتهم في مجابهة الخطر الايراني الذي يستهدف العراق وشعبه وحضارته. وأخيرا قامت هذه الاجهزة والمنظمات بدفع المواطنين جميعاً إلى زيادة الانتاج وتحسين نوعية الخدمات التي يقدمونها للأفراد والجماعات. ونتيجة هذا كله كانت مشاركة الالاف من أبناء شعبنا وأمتنا في المعركة القومية وزيادة الانتاج وتحسين نوعيته وتسخير موارد المجتمع من أجل تحقيق النصر الحاسم على الاعداء، وتدريب الافراد وتكليفهم على اشغال دورين اجتماعيين متكاملين هما دور المنتج أو المهني أو الطالب ودور المقاتل في القوات المسلحة،



ومثل هذه الحقيقة حولت. جموع الشعب العراقي إلى مقاتلين لحماية الارض ومجابهة العدو وافشال مخططاته ونواياه التوسعية (١) .

ومن الجدير بالذكر أن التعبئة الشاملة لموارد وامكانات المجتمع المادية والبشرية قد أدت دورها المتميز في الصمود والتحدي وتحقيق الانتصار على العدو.

ومن المنطلقات الاخرى للسوق الاجتماعي العراقي تكيف مؤسسات المجتمع المادية منها وغير المادية لظروف ومتطلبات الحرب بعيدة المدى. فقد تحول الاقتصاد القومي من اقتصاد لصناعة السلع الانتاجية والاستهلاكية إلى اقتصاد متخصص في تهيئة المستلزمات المادية التي تتطلبها ظروف الحرب والبناء. وشاركت المرأة مشاركة فاعلة في مهام الانتاج وأخذت تحتل الكثير من مواقع العمل التي كان يحتلها الرجل قبل الحرب. وبرهنت على كفاءتها وامكاناتها غير المحدودة في إداء المسؤوليات الانتاجية والخدمية التي اضطلعت بها خصوصاً بعد توجه الالاف من الرجال إلى جبهات القتال .

أما الاسرة العراقية فقد تكيفت لظروف ومعطيات الحرب طويلة الامد إذ اعتمدت أساليب التقشف في النفقات وابتعدت عن ممارسات الاستهلاك المظهري وتبرعت بالحلي والاموال لدعم المجهود الحربي وشجعت أبناءها على التضحية والفداء من أجل حماية الوطن وكثفت جهودها التربوية في زرع القيم الاجتماعية الايجابية عند أبنائها وتحملت مسؤولياتها كاملة في مواجهة ظروف الحرب ومستجداتها(٢). ونفس الشيء ينطبق على بقية المؤسسات الوظيفية والمنظمات الجماهيرية والشعبية إذ

(١) الحسن، د. احسان محمد. الانعكاسات الاجتماعية للحرب على المجتمع العراقي، دراسات للاجيال، تشرين أول ١٩٨٢.

(٢) الحسن، د. احسان محمد. دور العائلة العراقية في اقتصاد الحرب، مجلة " النفط والتنمية" ، العدد الثالث، حزيران ١٩٨٨.

---

---

بادرت هذه المؤسسات والمنظمات كافة إلى إداء أدوارها التعبوية وخدمة المعركة ضمن سياقاتها المبدئية وتخصصاتها الوظيفية ومناهجها التربوية والخدمية ..

## الفصل الحادي عشر

### العوامل المؤثرة في قدرة وفاعلية القوات المسلحة

لا يمكن للجيش الحديثة إن تؤدي واجباتها القتالية والتعبوية وتصون الوطن من العدوان الخارجي وتحمي الأمة دون قدرتها العسكرية غير المحدودة على الدفاع والهجوم والمناورة بالقطاعات ومواصلة القتال حتى تحقيق النصر الحاسم على العدو. غير أن الجيوش لا تكون في مواقع قتالية كفوءة ومقتدرة إذا لم تهيأ لها الظروف الموضوعية والذاتية الإيجابية التي تمكنها من أداء واجباتها العسكرية خلال فترات السلم والحرب على أحسن ما يمكن. والظروف والمعطيات التي يمكن توفيرها للجيش الحديثة لكي تتميز بالحيوية والدايمية والقدرة على الإيفاء بالتزاماتها الدفاعية إزاء الوطن والأمة لا تتعلق بالتدريب والتعبئة والتسليح وتهيئة الإمدادات المادية والبشرية التي تتطلبها الجيوش فحسب بل تتعلق أيضاً بتوفر القيادة العسكرية والسياسية الجيدة وإيمان المقاتلين بأيدولوجية النظام الاجتماعي وحرصهم على تجسيدها في سلوكهم وتعاملهم اليومي<sup>(١)</sup>. إضافة إلى وحدة المقاتلين في وحداتهم وتشكيلاتهم العسكرية وتكوين روح العائلة الواحدة بينهم التي تخلق منهم جماعات قتالية متماسكة ومتراصة لا يمكن للعدو مواجهتها والعمل على تصديعها وتفثيتها مهما بلغ من قوة ومهارة وخبرة.<sup>(٢)</sup>

(١) العقيد شارك شانديسي، علم النفس في القوات المسلحة، ترجمة المقدم الدكتور محمد ياسر الايوي، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الثانية، ١٩٨٤، ص ٧٤.

(٢) خضر، أحمد أبراهيم، علم الاجتماع العسكري، ص ٢٣٦.

إن هناك خمس متغيرات تساعد على اقتدار وفاعلية القوات المسلحة، وهذه المتغيرات ينبغي أن تتوافر لكي تكون في وضع إيجابي يساعدها على العمل والفاعلية ويمكننا درج المتغيرات الخمس بالنقاط التالية:

أ- القيادة العسكرية والسياسية الإيجابية.

ب- توفر الأيديولوجية المتكاملة.

ج- وحدة التشكيلات القتالية وتوفير روح العائلة بين أفرادها.

د- التدريب والتسليح الجيد.

هـ- الامدادات المادية والبشرية.

وسنقوم بشرح هذه المتغيرات بالتفصيل لكي نطلع عليها ونتمن قيمتها وفعاليتها في قوة واقتدار القوات المسلحة.

أ- القيادة العسكرية والسياسية الإيجابية:

لا تحتاج القوات المسلحة إلى قيادة عسكرية تولى الاشراف على شؤون الوحدات والتشكيلات القتالية وتهيمن على فعاليات وممارسات المقاتلين وتخطط للفعل الميداني المتعلق بمهام الدفاع والهجوم فحسب بل تحتاج أيضاً إلى قيادة سياسية تحدد مهام القوات المسلحة وتشرف عليها وتوجهها لخدمة الإطار العام لسياسة الدولة<sup>(١)</sup>. فالقيادة السياسية هي التي تصدر إيعازاته وتعليماتها بتبني القوات المسلحة للايديولوجية السياسية التي تسير عليها الدولة وتكافح من أجل البناء العقائدي والنفسي للمقاتلين وخلق الجيش الذي يؤمن بضرورة تحقيق الأهداف الاستراتيجية للأمة<sup>(٢)</sup>. كما تتولى القيادة السياسية مهمة تطوير الجوانب التعبوية والتدريبية والتسليحية للقوات وضرورة رفدها بالمستلزمات المادية والبشرية التي تحتاجها خصوصاً خلال فترة الحرب. إضافة إلى قيام القيادة السياسية بإعلان

(١) Sokolovský, V. Military Strategy. Soviet Doctrine and Concepts, New York, 1963, P. 17.

(٢) العميد الركن عدنان دحام علي. أثر العقيدة الفكرية السياسية في معنويات القوات المسلحة، ص ١٠.

التعبئة والنفير العام وإعلان الحرب والهدنة والسلم مع العدو ومنح المقاتلين  
شرعية قتل الأعداء... الخ.

أما قيادة الصنوف والتشكيلات العسكرية فتتولى عدة مهام أساسية منها وضع  
البرامج التعبوية والتدريبية والقتالية والإشراف على تنفيذها<sup>(١)</sup>. وقيادة الوحدة والتشكيل  
في المعركة بعد وضع الخطط الدفاعية والهجومية بالمشاركة مع ضباط الأركان  
وتوزيع الواجبات على الأمرين ومقاتليهم ومكافأة المجدين والمبدعين في العمل  
ومحاسبة ومعاقبة المقصرين والمتهاونين في أداء الواجب. إضافة إلى مبادرة القائد  
إلى تصفية الخلافات التي قد تظهر بين المقاتلين ووضع الأسس الإجرائية التي  
من شأنها أن تحقق الوحدة المبدئية والكفاحية بينهم<sup>(٢)</sup>. وأخيراً على القائد  
العسكري القيام بمهمة التخطيط لتطوير القدرات التعبوية والقتالية لوحده أو تشكيله  
العسكري مع التنسيق بين وحدته والوحدات القتالية المتواجدة في منطقتة أو محوره  
القتالي.

ولعل أفضل القادة هم من جمعوا بين الأمور العسكرية كاختصاص خاص  
والأمور السياسية كاختصاص عام. والجمع بين الخاصتين إنما هو ضرورة تاريخية  
تحقق الانسجام والتطابق بين الهدف العام وسبل تحقيقه وذلك ما يؤيده التاريخ العربي  
منذ صدر الإسلام<sup>(٣)</sup>. فقد كان انتخاب القائد يبنى وفق مزايا متعددة على رأسها عمق  
إيمانه الراسخ بعدالة رسالته، حيث كان ينتخب من الصحابييين المؤمنين بفكر  
الإسلام، فالعقيدة منحت هؤلاء القادة رؤيا واضحة في قتالهم وتصوراً عميقاً مع  
الأهداف والغايات السياسية للقيادة العامة. فقد قاتلوا الروم والفرس وهم على بعد آلاف  
الأميال عن موقع القيادة السياسية وفي ظروف انعدمت فيها المواصلات ووسائل

(١) شانديسي. علم النفس في القوات المسلحة، ص ٧٣.

(٢) القوصي، د. عبد العزيز. علم النفس، أسسه وتطبيقاته التربوية، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٧،  
ص ٣٩٥.

(٣) عون، عبد الرؤوف، الفن الحربي في صدر الإسلام، دار المعارف، مصر، ١٩٦٢، ص ٧٧.

النقل التي تعرفها اليوم. ويرى المشير ويفل في القادة البريطانيين أمثال كرومويل وديوك ولنكتون واللورد ليندوك من أفضل القادة إذ انهم مارسوا العمل السياسي قبل توليهم القيادات العسكرية في الجيش .

إن من واجبات القائد تأمين حاجات ورغبات المجموعة المقودة والأفراد ما يسهم بشكل فعال في تنمية روح الاعتزاز بالوحدة وتوثيق روح الزمالة والمحبة بين المجموعات وخلق القيادة الناجحة التي تؤثر في المقاتلين<sup>(١)</sup>. كما أن التفاعل التام بين القائد والمجموعة المقودة وتلبية حاجاتها اليومية خلال فترات السلم والحرب ومعرفة كل مقاتل لواجباته وعدم تجاهل القائد لصعوبات المرؤوسين، كل ذلك يخلق جواً من التفاعل الإيجابي ويقضي على التذمر والملل وعدم الارتياح، الأمر الذي يؤدي إلى رفع معنوية المقاتلين وتمكينهم من مواجهة الخطر.

ولما كانت القيادة العسكرية تضطلع بعدة واجبات ومسؤوليات خلال فترات السلم والحرب فيجب علينا أن نشخص أهم الصفات الاجتماعية والنفسية والتربوية التي ينبغي أن يتسم بها القائد كما نستطيع زرعها عند قادة المستقبل. إن القائد العسكري يجب أن يتسم بصفة الذكاء التي تمكنه من استيعاب كافة الظروف والمناسبات الصعبة والعلم على تذليلها بأسرع ما يمكن<sup>(٢)</sup>. وإن الصفة هذه تساعد على تحقيق مكاسب للجماعة تلعب دورها في تثبيت مواقعها وتعزيز إمكاناتها القتالية والوظيفية، وينبغي أن يتصف القائد بالشجاعة التي تدفعه على اتخاذ القرارات المسؤولة والحاسمة التي تقود إلى الانتصار. وهناك صفة اللباقة في الكلام والقدرة على إقناع الآخرين بالإجراءات التي يتخذها القائد والتي تؤثر على حياة كل فرد من أفراد الجماعة<sup>(٣)</sup>. كما يجب أن يتميز القائد العسكري بقوة الإرادة والثقة العالية بالنفس والتواضع وعدم التكبر على الآخرين والنزاهة والعفة وعدم الاهتمام بجمع المال

(١) اللواء الركن هشام صباح فخري. دروس على طريق النصر ، بغداد، ١٩٨٣، ص ٢٢.

(٢) الحسن، د. إسمان محمد. علم الاجتماع السياسي، ص ٢٠٧.

(٣) المصدر السابق ، ص ٢٠٦.

والإيثار والتضحية بالنفس من أجل الآخرين، إن جميع هذه الصفات التي يجب إن يتميز بها القائد العسكري تجعل منه شخصاً قادراً على التأثير في الجماعة وجمع شملها وتمكينها من تحقيق أهدافها مهما تكن.

اذن يتميز القائد العسكري بصفات ايجابية تجعل منه شخصاً يحرك المقاتلين نحو تحقيق الأهداف التعبوية والسوقية المتوخاة. وعندما يحمل القائد العسكري هذه الصفات فإن قيادته تترسخ في التشكيل العسكري الذي يقوده وتصبح جزءاً لا يتجزأ عن القيادة العامة للجيش<sup>(١)</sup>. إلا أن القيادة العسكرية تخضع للقيادة السياسية، فالقائد السياسي هو الذي يوجه القائد العسكري ويصدر إليه الأوامر التي تحدد أنشطته وترسم توجهاته وطرائق تفكيره. وعندما يخضع القائد العسكري للقائد السياسي فإن العلاقة بين الاثنين ينبغي أن تكون قوية ومتماسكة. ذلك إن مثل هذه العلاقة تركز موقع القائد العسكري في القوات المسلحة وفي الوقت ذاته تدعم مكانة القائد السياسي في المجتمع<sup>(٢)</sup>.

#### ب- الايديولوجية المتكاملة:

من الشروط الأساسية التي يجب توفرها في الجيش والمقتدر إيمان افراد على اختلاف صنوفهم ومراتبهم بأيديولوجية أو عقيدة متكاملة تتكون من مجموعة الأفكار والمبادئ والمثل والقيم والأهداف التي يتبناها النظام الاجتماعي السياسي<sup>(٣)</sup>. ومثلما تؤثر هذه العقيدة على المسارات المبدئية والوظيفية للبنى المؤسسية للمجتمع فإنها تؤثر على المؤسسة العسكرية تأثيراً واضحاً يمكنها من تحقيق أهدافها في الميدان وفي غير الميدان. فالجندي المؤمن بعدالة القضية التي يقاتل جيشه من أجلها يتمتع بقوة معنوية تفوق تلك التي يتمتع بها الجندي غير المؤمن. كما أن المقاتل المتسلح

(١) Browne, P. Monty, the People's General, Reader's Digest, march, 1977, P. 45.

(٢) Ibid., P. 46.

(٣) ميشيل ، دينكن. معجم علم الاجتماع ، ترجمة الدكتور إحسان محمد الحسن، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر ، ١٩٨١، ص ١٢١.

بالمبادئ والمثل والقيم الأيديولوجية هو الشخص المخلص لعمله والمتفاني في أداء واجباته مهما تكن صعبة ومعقدة. ذلك أن المبادئ والقيم التي يحملها هي التي تدفعه على المضي قدماً في اكتساب المهارات والفنون القتالية أثناء فترة التدريب بصورة متقنة و متميزة، وهي التي تجعله قوياً وشجاعاً كالطود الشامخ في ساحات القتال عند مجابهته للعدو، إضافة إلى دورها المهم في أداء واجباته اليومية بكل دقة وإخلاص<sup>(١)</sup>.

بيد أن فعل الأيديولوجية في القوات المسلحة لا يمس أنشطة ومنجزات المقاتل الواحد فحسب بل يسم وحدة وتكامل وفاعلية وكفاءة الوحدة أو التشكيل القتالي بأكمله. فإيمان وتمسك أفراد التشكيل القتالي بأيدولوجية واحدة يساعدان على وحدة ذلك التشكيل بالفرك والعمل والممارسة اليومية. وهذه الوحدة هي سر قوة واقتدار التشكيل على المضي قدماً في تحقيق أهدافه العسكرية القريبة والبعيدة. ذلك إن التزام المقاتلين بأيدولوجية واحدة يؤدي إلى تفاهمهم واقتراب بعضهم من بعض وتحابهم وتوادهم وتعاونهم في أداء الواجبات الملقاة على عاتقهم. ناهيك عن دور الأيديولوجية المهم في إزالة الخلافات والانقسامات الفكرية والحياتية بين المقاتلين. لهذا يتمخض التزام التشكيل القتالي بأيدولوجية واحدة عن تحويله إلى جماعة تغطي عليها الصفات العائلية التي تجعل أفرادها يشعرون بأنهم أبناء عائلة واحدة. وهذا ما يدفع كل مقاتل إلى أن يضحي من أجل المقابل الآخر ويتعاون معه في أداء الواجبات المكلفين بها.

وتؤدي الأيديولوجية دورها في تحديد أهداف القوات المسلحة وغاياتها ووسائل بنائها وتطويرها. علماً بأن أهداف القوات المسلحة هي أهداف سياسية تحددتها قيادة الدولة والمجتمع ويشارك كل من العسكريين وغير العسكريين في مناقشتها وإقرارها والعمل على تحقيقها. كما تضع الأيديولوجية التكتيك أو الصيغ الإجرائية التي تعتمد عليها القوات المسلحة في الوصول إلى أهدافها واستراتيجياتها القريبة والبعيدة

(١) العميد الركن عدنان دحام علي. أثر العقيدة الفكرية السياسية في معنويات القوات المسلحة، ص ٣٠.



المدى. فالاستراتيجيات العسكرية للقوات المسلحة العربية تتركز في الدفاع عن أرض الوطن وحرمتها والدفاع عن الأمن القومي للوطن العربي ومساعدة الدول المستعمرة والمستضعفة في العالم ضد قوى البغي والطاغوت<sup>(١)</sup>.

أما التكتيك العسكري الذي تحدده الأيديولوجية والذي يساعد على تحقيق الاستراتيجية فهو تدريب القوات المسلحة على كافة فنون التعبئة والقتال واستعمال الأسلحة المتطورة وتجهيزها بالأسلحة والمعدات الحديثة التي تحتاجها ورفدها بالطاقات البشرية القتالية والمستلزمات المادية كالملابس والأغذية والمؤن والتجهيزات الأخرى. إضافة إلى تقوية معنوية أفرادها وتعزيز ثقتهم بأنفسهم وتسليحهم بالمبادئ والقيم التي تشحن طاقاتهم وتقوي عزائمهم وتصون ذاتيتهم من الانحراف والفساد. وأخيراً للأيديولوجية أهميتها في زرع وبلورة القيم النضالية والمبدئية عند المقاتلين كقيم الشجاعة والبطولة والشهادة في سبيل الوطن وقيم الإيثار وتحمل المسؤولية والانضباط واحترام الزمن وقيم الثقة بالنفس والقدرة على اتخاذ القرار والنقد والنقد الذاتي. ولمثل هذه القيم أهميتها في تطوير سلوك المقاتلين وتحسين علاقاتهم الاجتماعية بالآخرين. إن العوامل الأيديولوجية تساعد في بناء وتقويم الشخصية العسكرية من خلال تكوين وحدة الآراء في التفكير والسلوك للجماعة العسكرية. فأكثر الأيديولوجيات تقدمية لا يمكن أن تصبح قوة حقيقة إلا بعد أن تسيطر على عقول الجماهير فتحثها على الأعمال النشيطة وتحدد أصول سلوكها اليومي.

أذن الأيديولوجية هي الفكر والصراع الأيديولوجي هو الصراع الفكري الذي هو سمة العصر الراهن بين الأمم والذي يريح المعركة هو ذلك الجانب الذي يمتلك التأثير الأيديولوجي المزدوج على قواته من جهة وعلى قوات العدو من جهة أخرى. علماً بأن العوامل الأيديولوجية والأيمان بها سيؤدي إلى تكوين بنية أخلاقية متينة

(١) اللواء الركن مكي مصطفى حمودات. العقيدة العسكرية بين النظرية والتطبيق، ص ١٥-١٦.

وصمود بوجه التيارات الفكرية المعادية الأمر الذي سيزيد من مفهوم الضبط لدى  
المراتب والقتال بعناد وضراوة.

### ت- وحدة التشكيلات القتالية:

من العوامل المساعدة على قوة واقتدار التشكيلات القتالية سواء كانت بشكل  
فصيل أو سرية أو فوج أو لواء أو فرقة وحدة وتماسك مقاتليها وتعاونهم وانشدادهم  
الواحد للآخر وسعيهم المتواصل والحثيث إلى تحقيق أهدافهم القريبة والبعيدة. وقد  
أشرنا في المبحث السابق بأن وجود الايديولوجية أو العقيدة الواحدة التي يؤمن بها  
المقاتلون تسبب وحدة التشكيل القتالي ومتانته وقدرته على أداء وظائفه بأحسن صورة  
ممكنة. ومن الجدير بالإشارة إليه هنا إن وحدة التشكيلات القتالية لا ترجع إلى وجود  
وفاعلية العامل الايديولوجي فحسب بل ترجع إلى توفر عدد من العوامل الأخرى  
كالقيادة الحكيمة والظروف الاقتصادية والاجتماعية الجيدة والأحكام والنظم التي تدعم  
حقوق كافة المقاتلين بغض النظر عن صنوفهم ورتبهم العسكرية.

إن توفر القيادة الجيدة في التشكيل القتالي كاللواء مثلاً يؤدي دوره البارز في  
توحيد التشكيل القائد من خلال احتكاكه وتفاعله الميداني مع كافة المقاتلين والتعرف  
على نقاط قوتهم وضعفهم وتوزيع الواجبات والمهام عليهم وفق قابلياتهم ومهاراتهم  
وميولهم ورغباتهم ومتابعة أداءهم للواجبات المناطة بهم. كما يستطيع القائد التأثير في  
وحدة ومتانة التشكيل من خلال تواضعه وحسه الاجتماعي وقابليته على تكوين  
العلاقات الاجتماعية غير الرسمية مع المقاتلين. إضافة إلى ضرورة احترام الجميع  
وعدم التمييز بين مقاتل وآخر ومعاملتهم معاملة واحدة مبنية على روح الإخاء  
والمحبة والتفاهم<sup>(١)</sup>. وأخيراً يتطلب من القائد مكافأة المقاتلين الجيدين وتقييمهم  
ووضعهم في المكان الذي يتلاءم مع إمكانياتهم ومعاينة المقاتلين السيئين والمقصرين  
وحثهم على تطوير أنفسهم والتحرر من أدران الكسل والخمول واللامبالاة والاتكالية.

(١) اللواء الركن هشام صباح فخري، دروس على طريق النصر ، ص ١٨-١٩.

ومما يساعد على وحدة وصلابة التشكيل القتالي تمتع أفرادهم بظروف اقتصادية واجتماعية جيدة. فالتشكيل ينبغي أن يكون مجهزاً بكافة المستلزمات القتالية التي يحتاجها مقاتلوه في مهامهم التعبوية كالأسلحة الجيدة والذخيرة والتجهيزات والأدوات والمؤن والعجلات وطرق المواصلات.. الخ. كما ينبغي أن يتمتع المقاتلون بظروف معاشية ومادية مقبولة من ناحية الرواتب والسكن وتوفر وسائل النقل والخدمات الصحية والاجتماعية والترفيهية التي يحتاجونها في حياتهم اليومية مع عوائلهم. وأخيراً مقدرتهم المادية على اقتناء كافة المستلزمات المعيشية. أما الظروف الاجتماعية التي ينبغي أن يتمتع بها المقاتلون فتتجسد في الاحترام والتقدير اللذين يمنحان لهم من قبل القادة والأميرين ومن قبل أبناء المجتمع كافة، وفي تخفيف الفوارق الطبقيّة الاجتماعية بين المقاتلين مهما تكن مراكزهم وأدوارهم الاجتماعية، وفي كسر الحواجز الاجتماعية والنفسية بين القادة والمقودين (الاتباع). وهنا يتعرف كافة المقاتلين على بعضهم البعض وتسود روح الألفة والمحبة والتعاون بينهم، وبالتالي يتمكن التشكيل من إحراز الوحدة المصيرية بين أفرادها التي تمكنه من تحقيق أهدافه القريبة والبعيدة.

ومن العوامل الأخرى التي تعزز وحدة المقاتلين في التشكيل القتالي وجود النظم والأحكام المدونة التي تحدد واجبات كل مقاتل وتحدد حقوقه المادية والمعنوية. علماً بأن هذه النظم والأحكام تتميز بالصفة الشمولية، أي أنها تطبق على الجميع بغض النظر عن الصنف أو الرتبة العسكرية. وعندما يرى المقاتلون بأنهم يعاملون معاملة واحدة من قبل القانون وليس هناك تمييز بين مقاتل وآخر فإنهم يشعرون بعدالة واستقامة مؤسستهم التي تستحق العمل والبذل والتضحية. وهذا لا بد أن يقود إلى وحدة المؤسسة ونجاحها في أداء مهامها.

## ج- التدريب والتسليح الجيد:

يعتبر التدريب العسكري من العوامل المهمة لزيادة القدرات القتالية للقوات المسلحة ووضعها في مكان تستطيع من خلاله أداء فعاآياتها التعبوية والدفاعية. فعن طريق التدريب والتأهيل القتالي يصبح الجنود مقاتلين أشداء قادرين على أداء واجباتهم الدفاعية والهجومية، ويتحول الأفراد إلى مقاتلين مدربين على استعمال الأسلحة وبقية الفنون العسكرية، ويحافظ العسكريون على لياقتهم البدنية والقتالية والفنية. والتدريب العسكري لا يتعلق باكتساب اللياقة البدنية التي يحتاجها العسكريون ومعرفة المهارات العسكرية التي يتميز بها أبناء القوات المسلحة فحسب بل يتعلق أيضاً بالتدريب على استخدام الأسلحة بصنوفها المختلفة وكيفية استعمالها في الميدان والمحافظة عليها لفترة طويلة<sup>(١)</sup>. إضافة إلى التدريب على التمارين التعبوية الدفاعية منها والهجومية. والتدريب المكثف والمستمر هو الذي يحول الأفراد في القوات المسلحة إلى مقاتلين مؤهلين على خوض غمار المعارك للدفاع عن الوطن والأمة.

والتدريب وحده لا يستطيع أن يحول القوات المسلحة إلى قوة ضاربة ومقتدرة إذا لم تكن هذه القوات مجهزة بأحدث المعدات والأسلحة التي تحتاجها في ميادين القتال. لذا ينبغي على القوات المسلحة امتلاك الأسلحة والتجهيزات الحديثة المتعلقة بالصنوف البرية والجوية والبحرية. ومثل هذه الأسلحة يجب أن تهيأ قبل وقوع الحرب لكي يتقن المقاتلون استخدامها والاستفادة منها في المعركة. وهذه الأسلحة الحديثة أما تستورد من الدول الأجنبية أو تصنع في القطر الذي يستخدمها إذا كان يمتلك القاعدة الصناعية. ومن المستحسن إن تصنع الأسلحة في القطر وذلك من خلال الشروع بتنفيذ خطط التصنيع الحربي. ذلك إن التصنيع الحربي في القطر يمد القوات المسلحة بمختلف أنواع الأسلحة وبالكميات التي تحتاجها وبالوقت المناسب. وهذا ما يساعد على قوة واقتدار القوات المسلحة في مواجهة العدو، وامتناع العدو في الأعم الأغلب

(١) بعض دروس الحرب ضد العدو الفارسي، "الثورة العربية"، مكتب الثقافية والاعلام- العدد ١١-١٢ لسنة

عن القيلم بهجومه خوفاً من القوة العسكرية الضاربة والمقتدرة التي يمتلكها القطر نتيجة تصنيعه الحربي وامتلاكه للأسلحة الحديثة بكميات كبيرة. كما أن احتمالية رفض الدول الصناعية المتقدمة تجهيز القطر بالأسلحة الحديثة يجعل فكرة التصنيع الحربي حاجة ملحة لا تقبل التسويف والتأجيل مهما تكن الظروف.

إن التدريب والتسليح الجيد للقوات المسلحة هما الشرطان اللذان يقرران الاستعداد القتالي للقطر<sup>(١)</sup>. لكن القدرة القتالية للقطر تحتاج إلى المستلزمات التالية:

- ١- نوعية السلاح وكفاءته من الناحية التقنية.
- ٢- إمكانية الوحدات القتالية على استخدام السلاح بشكل جيد وذلك عن طريق التدريب المكثف على استخدامه.
- ٣- قدرة القطر على العمل الحاسم في الوقت المناسب.
- ٤- قدرة القطر على الصمود وتصميمها على معالجة أي موقف قتالي مستجد.

إن إعادة تنظيم الجيش على أسس حديثة ووضع التقنية الحديثة في خدمته (خدمة الجيش) وتسليحه بأحدث الأسلحة والمعدات يخلق بلا شك الحاجة إلى إعادة النظر في عملية التوجيه والإشراف ضمناً. كما يتطلب بشكل أساسي تغيير ملامح المهارات القتالية وخصائصها. فإذا كانت الأسلحة القديمة تتطلب مستوى عالياً من المهارات الحركية والقوة العضلية والمرونة الجسمية فإن الأسلحة الحديثة تقرض وجود مستوى عال ورفيع من التفكير التقني وقدره عالية من الإدراك والانتباه. كما إن الغاية

(١) العميد الركن ماجد محمد حسن الخالدي. العمق السوقي والفارق السكاني في الصراع مع إيران، ص ٩١.

من التثقيف الفكري والسياسي الحصول على معنوية عالية تدفع الفرد والجماعة إلى رفع القدرة القتالية.

#### هـ- الإمدادات المادية والبشرية:

لا تستطيع القوات المسلحة أداء وظائفها والنهوض بأعبائها والتزاماتها وإحراز التقدم والتطور في عدد مقاتليها وعدتها وفنونها التعبوية والقتالية دون توفر مصادر الإمدادات المادية والبشرية التي تجهزها بما تحتاجه من أسلحة وأعتدة ومؤن ومعدات وأموال منقولة وغير منقولة ورجال مقاتلين وإداريين وخبراء وفنيين ومهنيين<sup>(١)</sup>. إن المؤسسات العسكرية هي مؤسسات استهلاكية تحتاج إلى المستلزمات المادية التي تمكنها من القيام بواجباتها. فالقوات المسلحة على اختلاف صنوفها بحاجة مستمرة إلى أحدث الأسلحة المتوفرة والمعدات والتجهيزات والمؤن والمختبرات والمصانع الحربية والمزارع. كما أنها تحتاج إلى الأموال الضخمة التي تتفق على منتسبها وكوادرها وتشكيلاتها القتالية والإدارية بشكل رواتب ومكافآت وتتفق على أبنيتها ومنشآتها ومشاريعها الإنتاجية. ومثل هذه المستلزمات المادية تكلف الدول نفقات باهظة وتدفعها إلى تخصيص نسب كبيرة من ميزانياتها على الأنفاق الحربي. وقد تنهك هذه التخصيصات المالية الموارد الاقتصادية للدولة وتعيق برامجها الإنتاجية والتنمية. إلا أن المردودات السياسية والأمنية للإنفاق الحربي هي التي تشجع المسؤولين في الدولة على تفضيل تخصيص الموارد للقوات المسلحة على تخصيص الموارد للقطاعات الإنتاجية والخدمية في المجتمع. فقد خصصت الولايات المتحدة الأمريكية في عام ١٩٧٢ مبلغ ٨٣.٤٠٠ مليون دولار لقواتها المسلحة، وخصصت بريطانيا في نفس السنة مبلغ ٦.٩٠٠ مليون دولار وخصصت الهند في نفس السنة مبلغ ١.٨١٧ مليون دولار وخصصت مصر مبلغ ١.٥١٠ مليون دولار ... الخ. وتشير الاحصاءات إلى زيادة كمية الانفاق العالمي على القوات المسلحة في الستينات

(١) اللواء الركن مكي مصطفى حمودات. العقيدة العسكرية، ص ٤١.

من ١١٩ بليون دولار في عام ١٩٦١ إلى ٢١٦ بليون في عام ١٩٧١<sup>(١)</sup>. علماً بأن الميزانية العسكرية احتلت مكاناً بارزاً في ميزانيات الدول الحديثة النمو بسبب الصراعات السياسية وبسبب حاجة هذه الدول إلى بناء قوات مسلحة بعد استقلالها السياسي.

وتحتاج القوات المسلحة إلى موارد بشرية تستمد من الموارد البشرية للمجتمع وعندما تكون هذه الموارد متعلمة ومدربة فإنها تكون أكثر فاعلية وقدرة على أداء مهامها في القوات المسلحة<sup>(٢)</sup>. وعند التحاق هذه الموارد بأجهزة وتشكيلات وصنوف القوات المسلحة تدريب وتسلح وتكون مستعدة لأداء واجباتها التعبوية والقتالية. وتؤثر الامكانيات البشرية في تحديد حجم وهيكل القوات المسلحة المطلوبة للدفاع عن الوطن. لكن عدد سكان الدولة قد يشكل عالم قوة أو عامل ضعف في نوع المجابهة المعادية المتوقعة. فدرجة رقي وثقافة ووعي المواطنين هي عامل قوة إضافية لحجم القوات المسلحة المطلوبة<sup>(٣)</sup>. وفي حالة كون عدد سكان الدول لا يتحمل تكوين حجم كبير من القوات المسلحة فإن الدولة تنظم قوة معينة لمجابهة مختلف أنواع التهديدات خلال فترات السلم والحرب وتكون هذه القوة بمثابة الجيش القائد لقوة أخرى تشكل في ظروف الحرب والعدوان وفق خطة نفيير كفوءة تنتقل بها من تشكيلات سلمية إلى تشكيلات الحرب.

لكن حجم القوات المسلحة في الأعم الأغلب يعتمد على حجم السكان. والحجم هو من أكثر عناصر التنظيم البيروقراطي أهمية. وقد عرفه ستار بارك بأنه عدد الأفراد الذين يشملهم التنظيم. ويعني حجم القوات المسلحة كل أفراد الخدمة الدائمة الخاضعين للانضباط العسكري والمتفرغين للعمل العسكري بالإضافة إلى

(١) Kennedy, G. The Economics of Defence, New Jersey, Rowan and little Field, 1975, P.66.

(٢) العميد الركن ماجد محمد حسن الخالدي. العمق السوقي والفارق السكاني في الصراع مع إيران، ص ٩٠.

(٣) المصدر السابق، ص ٨٨.

القوات الاحتياطية وقوات الدفاع المدني والقوات شبه العسكرية<sup>(١)</sup>. وهذا كله يشكل القوة البشرية الكلية للدفاع والتي تعمل على حراسة الأمن القومي من خلال الوحدات القتالية التي تشكلها كوحدات القتال الميدانية وأسراب الطائرات والسفن الحربية وقوات حرس الحدود والجيش الشعبي. وتتطلب دراسة القوة البشرية العسكرية توافر البيانات والإحصائيات الخاصة بحجم وشكل هذه القوات. والجدول المذكور أدناه يوضح حجم القوة البشرية العسكرية وحجم سكان الدولة خلال السنوات ١٩٦٦-١٩٧٤.

الدولة	عدد السكان بالمليون ١٩٧٤	حجم القوات عام ١٩٦٦	حجم القوات عام ١٩٧٤
الاتحاد السوفيتي	٢٠٥,٥	٣,٨٥٠,٠٠٠	٣,٤٥٠,٠٠٠
الولايات المتحدة	٢١٠,٩	٢,٧٠٢,٠٠٠	٢,٢٥٢,٠٠٠
بريطانيا	٥٦,٣	٤٣٥,٠٠٠	٢٦١,٠٠٠
فرنسا	٥٢	٨٨٠,٠٠٤	٥٠٣,٠٠٦
المانيا الغربية	٦٠,١	٤٣٠,٠٠٠	٤٧٥,٠٠٠
جيكوسلوفاكيا	١٤,٦	١٨٥,٠٠٠	١٩٠,٠٠٠
الهند	٥٧٨	٥٥٠,٠٠٠	٩٤٨,٠٠٠
الباكستان	٦٤,٨	٢٦٠,٠٠٠	٤٠٢,٠٠٠
تركيا	٣٧,٩	٤٢٨,٠٠٠	٤٥٥,٠٠٠
مصر	٣٥,٧	١٣٠,٠٨٠	٢٨٩,٠٠٠
إسرائيل	٣,٢	٧٥,٠٠٠	١١٥,٠٠٠
العراق	١١	٧٠,٠٠٠	١١٢,٨٠٠
الجزائر	١٥,٧	٦٥,٠٠٠	٦٣,٠٠٠
الصين	٨٠٠	٢,٦١٤,٠٠٠	٢,٩٠٠,٠٠٠

(١) Childers, G. et al, System size and Structural Differences in Military Organizations," American Journal of Sociology", 76, 1971.



ويمكن القول أنه خلال العشرين سنة الأخيرة ظهرت القوات المسلحة في كل مكان في العالم ويمكن تصنيفها إلى ثلاثة أنماط أساسية هي:

١- النمط الأول الذي يتمثل في القوات المسلحة في المجتمعات الصناعية المتقدمة، وأهم ما يميز هذا النمط هو انخفاض حجم القوة البشرية فيه نتيجة للتقدم التكنولوجي.

٢- النمط الثاني ويتمثل في الدول المتقدمة في شرق أوروبا والاتحاد السوفيتي، وهي الدول ذات نظام الحزب الواحد. ويتميز هذا النمط بانخفاض القوة العسكرية البشرية مع تزايد الاعتماد على التكنولوجيا المتقدمة.

٣- النمط الثالث ويتمثل في الدول حديثة النمو التي توضح بياناتها التزايد الكبير في حجم القوة البشرية بالنسبة لحجم قواتها العسكرية<sup>(١)</sup>.

ومن الجدير بالملاحظة إن حجم القوات العسكرية الفعلية على المستوى العالمي قد ارتفع من ١٩.٦ مليون شخص في عام ١٩٦٦ إلى ٢١.٦ مليون شخص في عام ١٩٧٤، أي بنسبة قدرها عشرة بالمئة.

من كل ما ذكر بخصوص الامدادات المالية والبشرية التي يحتاجها الجيش والتي ترفع من قدرته القتالية التعرضية نستنتج بأن حاجة الجيش للموارد المادية والقاعدة الصناعية ورؤوس الأموال لا تقل عن حاجته إلى الرجال المقاتلين وغير المقاتلين الذين تقع على عاتقهم مهام القتال والدفاع عن الوطن ومهام الإدارة والخدمات التي تتطلبها القوات المسلحة. والمجتمع هو الذي يمد الجيش بالمستلزمات المادية والبشرية، لذا ينبغي أن تكون العلاقة بينهما (الجيش والمجتمع) علاقة وطيدة ومترسخة قائمة على مبادئ التعاون والمصلحة الوطنية المشتركة.

وعلم الاجتماع العسكري كموضوع علمي يدرس طبيعة وأبعاد العلاقة بين الجيش والمجتمع، أي يدرس التفاعل المشترك بين الجيش والمجتمع محاولاً تقوية

(١) خضر، د. أحمد ابراهيم. علم الاجتماع العسكري، ص ١٥٥.

---

---

وتعميق العلاقة بينهما. ذلك أن قوة العلاقة بين الجيش والمجتمع تؤدي إلى زيادة كفاءة الجيش في الدفاع عن الوطن وتطوير نوعية الخدمات التي يقدمها المجتمع للجيش. وهنا يتمكن المجتمع من صيانة أمنه واستقراره وطمأنينته، ويتمكن الجيش من إحراز القوة والمنعة والهيبة التي تساعد في أداء مهامه على أحسن صورة ممكنة.

## الفصل الثاني عشر

### القيادة العسكرية

#### أ - مفهوم القيادة العسكرية:

تحتاج المؤسسة العسكرية بكافة أجهزتها وصنوفها وتشكيلاتها ووحداتها إلى القيادة والضبط والتوجيه والحزم أكثر من أية مؤسسة أخرى في المجتمع. ذلك أنها مسؤولة عن واجبات الدفاع عن أرض الوطن وحرية والحفاظ على وحدة الوطن وأمنه وردع كل ما تسول له نفسه الاعتداء على الدولة والشعب والأمة. ومثل هذه الواجبات المقدسة تتطلب التدريب واكتساب المهارات القتالية على اختلاف أنواعها وتتطلب الالتزام بالقيم والمثل الوطنية والقومية وتتطلب درجة عالية من الوحدة الفكرية والعقائدية بين المقاتلين وتتطلب أخيراً اندفاع المقاتلين بدون تردد إلى مقابلة الأعداء وتخليص الوطن من شرورهم وعدوانيتهم. علماً بأن القتال يستلزم التضحية بالنفس والبذل والعطاء والتحمل والمعاناة الصبر والشجاعة... الخ. لكن المقاتلين لا يستطيعون أداء هذه المهام والمسؤوليات الصعبة والخطيرة دون وجود قادة وأمرأء كفؤين ومقتدرين على دفع الرجال وحثهم على القيام بهذه الأعباء والواجبات الوطنية التي تختلف عن بقية الواجبات المجتمعية التي يضطلع بها المواطنون<sup>(١)</sup>. والقادة والأمرأء العسكريون الجيدون يكونون على أنواع، وكذلك ادارتهم للتشكيل العسكري، فمنهم من يكون سلطوياً في قيادته ومنهم من يكون أقل سلطوية في علاقته بمرؤوسيه وموناً في القيادة والإدارة واتخاذ القرار<sup>(٢)</sup>.

(١) العقيد شارل شانديسي، علم النفس في القوات المسلحة ، ص ١٣١٢.

(٢) Stewart, E. The Human Bond, John Wiley and Sons, New York , 1978, P.220.

وبالرغم من تباين القيادات العسكرية في طبيعتها وأساليب تعاملها ، فإنها تتشابه إلى درجة كبيرة بوظائفها التبعوية والإدارية والاجتماعية والتربوية التي تقدمها إلى الأفراد، وبالصفات السيكولوجية والاجتماعية التي تميز قاداتها وأقطابها. إن للقادة العسكريين كافة واجبات تنفيذية وتخطيطية وواجبات أدبولوجية وفكرية وواجبات تتعلق بحل الانقسامات والخلافات والصراعات التي قد تحدث بين المقاتلين لغرض تحقيق وحده الجماعة وتماسكها الفكري والسلوكي<sup>(١)</sup>. إضافة إلى واجبات القائد العسكري بتوزيع المهام والمسؤوليات على المقاتلين كل حسب كفاءته واختصاصه ومكافأة المجدين والمثابرين على أداء الواجبات المناطة بهم ومعاينة المسيئين والمقصرين. وللقادة العسكريين صفات مشتركة ينبغي إن يتسموا بها لكي يكونوا ناجحين ومتميزين في قيادتهم للجماعات العسكرية. وهذه الصفات تتجسد في الكفاءة والشجاعة والذكاء وسلامة الجسم والعقل والحواس والتضحية في سبيل رفعه وعزة الجماعة والتواضع واللباقة في الكلام والإيمان المطلق بأهداف الجماعة ... الخ.

ومن الجدير بالملاحظة إن القيادة العسكرية المؤثرة لا تعتمد على قدم صاحبها أو مدة خدمته ولا تعتمد على رتبته العسكرية العالية ولا تعتمد على عمره وتقدمه في المسلك الوظيفي بل تعتمد على قابلية صاحبها في التأثير على أفكار وممارسات الرجال بحيث يحملهم على القيام بالفعاليات التي تحقق أهداف ومهام الجماعة العسكرية مهما تكن صعبة وشائكة<sup>(٢)</sup>. وقابلية القائد العسكري على التأثير في الجماعة تعتمد على ظروف ومعطيات الجماعة التابعة والسمات الإيجابية لشخصية القائد وإمام القائد ومعرفته بنقاط القوة والضعف عند الجماعة ودرجة التماسك والتفاعل المتبادل بين القائد وجماعته العسكرية. إذن قدرة وصلاحية العسكري على القيادة لا تعتمد فقط على الصفات الجسمية والعقلية والاجتماعية والخلقية التي يتميز بها بل تعتمد أيضاً على طبيعة ظروف ومشكلات وملابسات الجماعة العسكرية التي

(١) Sprott, W. J. Human Groups, A Pelican Book, Middlesex, England, 1967, P. 156.

(٢) Homans, G. The Human Group, London, Routledge and Kegan Paul, 1959, P. 415.

يظهر فيها القائد. فالقائد العسكري الذي يصلح لقيادة فرقة أو تشكيلاً عسكرياً يتوخى تدمير بعض الأهداف المرسومة في عمق أراضي العدو لا يصلح لقيادة وتدريب الفرق الرياضية في الجيش وقد لا يصلح لقيادة جهاز أمن أو مخبرات ولا يصلح لرئاسة الجهاز الإداري والمحاسبي في وزارة الدفاع مثلاً<sup>(١)</sup>. إذن لا يمكن أن يكون القائد العسكري قائداً ناجحاً في أنشطة وشؤون القوات المسلحة كافة خصوصاً بعد تشعب وتعدد الأخيرة بحيث أصبح من المستحيل أن يتخصص القائد أو الأمر المحنك في قيادة كل شيء. ففي القوات المسلحة هناك الشؤون الإدارية والحسابية وشؤون التدريب والتسليح وشؤون القتال (الدفاع والهجوم) وشؤون البحوث والدراسات... الخ. وهذه الشؤون المتخصصة تحتاج إلى القادة والأميرين والمتخصصين.

لكن القائد العسكري خصوصاً القائد الميداني المسؤول عن فعاليات الدفاع والهجوم والردع هو ذلك الشخص الذي يتميز بالنشاط والمثابرة والقدرة على الحركة والفاعلية مع الآخرين أكثر من غيره. وهو الذي يتكلم بصوت عال وبصورة مستمرة مع الآخرين ويتمتع بصفات جسمانية ايجابية ولديه مواهب ذكائية وفكرية وإدراكية تجعله يتفوق على الآخرين في حل المشكلات والأزمات التي تواجه الجماعة أو الوحدة القتالية. وعندما يتميز بعض الرجال في القوات المسلحة بمثل هذه الصفات القيادية ولا يتميز بها الآخرون فإن المقاتلين جميعهم لا بد أن ينقسموا إلى فئتين أساسيتين هما: الفئة القائدة (Leaders)، والفئة التابعة (Followers).

علماً بأن الفئة القائدة هي فئة الأقلية والفئة التابعة هي فئة الاكثية في القوات المسلحة<sup>(٢)</sup>. ويعزو بعض علماء النفس وعلى رأسهم البروفسور وليم مكدوجل Mc.Dougall تقسيم الجماعة إلى فئة قائدة وفئة تابعة إلى وجود غريزتي حب الظهور

(١) الحسن. د. إحسان محمد. علم الاجتماع السياسي ، ص ٢٠١.

(٢) Homans, G. The Small Warship, " American Sociological Review", XI 1946, PP.294-300.

والسيطرة على الآخرين The Delf-Assertive Instinct وغريزة الاستسلام والخضوع The Submissive Instinct<sup>(١)</sup>. فالرجل الذي تتغلب عليه غريزة حب الظهور والسيطرة هو الذي يكون مدفوعاً إلى طلب القوة والسيطرة وإدارة وتنظيم شؤون الآخرين، بينما الرجل الذي تتغلب عليه غريزة الاستسلام والخضوع هو الذي يكون تابعاً وخاضعاً لأوامر ومشية الآخرين. وهناك بعض علماء النفس الاجتماعي وعلى رأسهم هولندر Hollander يعتقدون بأن ظهور القادة يعتمد على ظروف وملابسات الجماعة التي يقودونها. فمن يصلح لقيادة جماعة هادئة ومنسجمة لا يصلح لقيادة جماعة صاخبة ومفككة ومبعثرة<sup>(٢)</sup>.

وأخيراً هناك بعض علماء الاجتماع الوظيفيين وعلى رأسهم أ.ج. كيرث وسي. رايت ملز H. Gerth and C. Wright Mills يعتقدون بأن القيادة تعتمد على طبيعة البناء المؤسسي للمنظمة الاجتماعية مهما يكن غرضها الوظيفي<sup>(٣)</sup>. فالبناء المؤسسي للمنظمة الاجتماعية يتكون من أدوار قيادية وأدوار وسطية وأدوار قاعدية. والأدوار القيادية يحتلها الأشخاص الذي يتميزون بصفات قيادية إيجابية تمكنهم من السيطرة على المنظمة وإدارة شؤونها والتخطيط لها وتحقيق وحدتها.

أما مفهوم القيادة العسكرية فهو مفهوم شائك ومتعدد الجوانب. فالقائد هو الشخص الذي ينجز الأعمال أو الشخص الذي يحمل الآخرين على إنجازها<sup>(٤)</sup>. وتعريف القائد هذا يقترب من التعريف الذي يقول بأن القيادة العسكرية هي فن التأثير في الرجال وتوجيههم بأسلوب يتم به الحصول على طاعتهم الراضية وثقتهم واحترامهم

(١) Mc Dougall, W. Social Psychology, (Paper back Ed), London, 1964, P.110.

(٢) Stewart, E. W. The Human Bond, P. 213.

(٣) Gerth, H. and C. W. Mills. Character and Social Structure, Op. Cit., See Ch. XIV.

(٤) خطاب ، د. عطيات مجيد. أوقات الفراغ والترويح، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٨، ص ١٢٢.

وتعاونهم المخلص لانجاز العمل المطلوب وتحقيق الهدف أو الأهداف المنشودة<sup>(١)</sup>. ويذكر فوش بأن قيادة الرجال لا تعني أبداً أن يكون القائد غامضاً. ذلك أن القيادة أمر بسيط والمهم أن نفهم من نتعامل معهم وإفهامهم رأينا<sup>(٢)</sup>. ويعرف الفريق الركن اسماعيل تايه النعيمي القائد بأنه الرجل الذي يعرف كيف ينفذ إلى قلوب تابعيه بحيث يجعلهم ينفذون ما يطلبه منهم بطيبة خاطر<sup>(٣)</sup>. أما الماريشال وليم سلم Slim فيقول بأن القيادة إنما هي مزيج من القوة والقدرة على الاقناع والإكراه<sup>(٤)</sup>. ويضيف بأن القيادة هي ظاهرة إبراز شخصيتك الخاصة بك بحيث تجعل الجنود يعملون ما تريده منهم حتى لو كانوا غير متحمسين للقيام بالعمل المطلوب. إن القيادة كما يشير الماريشال سلم هي شيء ذاتي وشخصي. لذا فالبداية لا تكون بداية جيدة لتصبح قائداً ما لم تكن قد كونت شخصيتك ويلزم أن يكون لديك نوع معين من الشخصية. والشخصية هذه ينبغي أن تتسم بسجايا معينة التي أهمها الشجاعة وقوة الإرادة والإبداع والمعرفة. وبذلك يمكن القول بأن القيادة هي علمية يتمكن القائد بواسطتها من تطبيق معتقداته وقيمه وآداب مهنته وسجاياه وعمله ومهاراته في سيادة وتوجيه الآخرين لانجاز الواجب. على أية حالة فمهما تعددت تعاريف القيادة فإنها باختصار ليست سوى "فن كسب العقول والقلوب".

ب- كيف نشخص القائد العسكري ؟

هناك طريقتان متميزتان لتشخيص ومعرفة القادة العسكريين في القوات المسلحة

وهاتان الطريقتان هما:

(١) اللواء الركن هشام صباح فخري، القيادة العسكرية الناجحة، ص ١٥ .

(٢) الفريق الركن اسماعيل تايه النعيمي، القيادة عقل وقلب، مديرية التطوير القتالي، العدد ٣، ١٩٨٤، ص ١٠.

(٣) المصدر السابق، ص ١١.

(٤) القيادة والأمر: محاضرات كلية الحرب، جامعة الكبر للدراسات العسكرية العليا، دورة الحرب الخامسة،

١٩٨٤، ص ٣.

١- الطلب من أفراد لوخدة أو التشكيل تشخيص الرجال الأكثر نشاطاً وفاعلية وحركة وداينمكية ، هؤلاء الرجال الذين يصلحون إن يكونوا قادة الوحدات والتشكيلات وموجهيها وحمايتهم من الأخطار والتحديات التي تداهما<sup>(١)</sup>.

٢- الطلب من أشخاص خارجيين مشاهدة فعاليات أفراد الوحدات والتشكيلات ثم بعد المشاهدة اختيار الرجال الأكثر نشاطاً وجدية وحيوية ليكونوا قادتها وموجهيها. والقادة هم الأشخاص الذين يؤثرون على فعاليات ونشاطات الجماعة ويسيرونها في خط معين يتلاءم مع أهدافهم وأفكارهم وميولهم واتجاهاتهم. وهم الذين يرجع اليهم الفضل في تماسك ووحدة الجماعة وبقائها وداينميتها وقدرتها على تحقيق اهدافها ومآربها.

إن ظهور القيادة وخدمتها للجماعة وتفاعلها مع الاتباع يعتمد على تركيب الجماعة وأوضاعها السيكولوجية. كما يعتمد على وظائفها وأيديولوجيتها وتطلعاتها الفكرية والسلوكية. ففضل المركز الوسط الذي يحتله القادة في جماعاتهم يستطيع هؤلاء التأثير على طبيعة اهداف الجماعة وتركيبها ووظائفها وأنشطتها المشتركة والمبادلة . كما يستطيعون المساهمة في تحديد حيويتها ودفع افرادها إلى البذل والعطاء من أجل استمراريتها وتقديمها ورفاهيتها. ويجب أن نلاحظ هنا بأن أهداف وتركيب ووظائف وأيديولوجية الجماعة هي التي تقود إلى ظهور الشخصيات القيادية القادرة على العمل والنضال من أجل تحقيق أهدافها والدفاع عنها وحماية تقاليدها وممارساتها. إذن القيادة هي ظاهرة توجد في الجماعات الاجتماعية ومنها الجماعات العسكرية. وعادة يستخدم القائد ذكاه ومشاعره وكل ما يملك من جهد ومعرفة ومهارة للتأثير على سلوك الأفراد وتوجيهه ما عندهم من قدرات واستعدادات توجيهاً خاصاً

(١) AL-Hassan, Ihsan M. Collective Behaviour, Baghdad, 1974, P. 27.



يخدم أغراض الجماعة وتطلعاتها وأهدافها البعيدة. إن كل هذا يدل على أن القيادة هي عملية دانيميكية أساسها العلاقات المتبادلة بين القائد واتباعه.

ومن الجدير بالذكر إن القائد لا يستطيع اتخاذ أي قرار استراتيجي أو سوقي، تكتيكي أو تعبوي إلا بعد دراسة العوامل الأربعة التالية: المهمة أو الواجب، البيئة أو الأرض، الوسائط أو القوات، وأخيراً العدو<sup>(١)</sup>. فعلى الأرض ترتسم المهمة وتتجسد. ولكي نفهم المهمة بصورة جيدة علينا فهم أرضها في البدء. ليس للأرض قيمة بحد ذاتها فهي لا تتمتع بأية قيمة إلا بوجود العدو عليها، لأن وجوده يعوق قدرة القائد على استثمار التسهيلات التي تقدمها. وتتم دراسة الأرض بكل تفاصيلها قبل التقدم، مع أخذ الأحوال الجوية الخاصة بالفصول بعين الاعتبار والأنواء أو حالة الطقس. وينبغي أن تسمح دراسة الأرض، من زاوية النار والحركة والاختفاء والحماية جغرافياً وطوبوغرافياً، باستخلاص الميزات العسكرية القابلة للاستخدام في العملية المدروسة<sup>(٢)</sup>.

أما الموقف العام فيرتبط بالوضع العام البري في الجبهة وعلى المؤخرات وبالموقف الجوي وبالممدد المقبولة للمناورة أو العملية. ويؤثر هذا الموقف بصورة مباشرة على دراسة العوامل. وينبغي أن تسمح دراسة الموقف العام بوضع علامات للخصائص العامة للعملية ودرجة حرية عملها ومرونتها وقوتها وجرأتها أو تعلقها على ضوء هذا الوضع.

بينما ليست المهمة غرضاً في حد ذاتها وإنما هي عنصر من عناصر مناورة المستوى الأعلى. فهي تقع في وضع عام وتتجسد على الأرض. ومن الواجب إن تفحص المهمة بصورة حرفية لأن لها طابعاً إلزامياً في التنفيذ وينبغي أن يفهم جوهرها. إن فهم المهمة يعني التقاط كل مداها وسعتها على الأرض وفي الزمان،

(١) ديري أن اكرم. آراء فيا لحرب: الاستراتيجية وطريقة القيادة ، ص ١٥٧.

(٢) المصدر السابق ، ص ١٤٠.

ورؤية الأثر الذي يترتب إن حققه على العدو، وكيف يتضافر هذا الأثر مع آثار متوافقة معه أو لاحقة له ولا يبدو الهدف واضحاً وطبيعياً إلا عندما نفهم المهمة فهماً جيداً، وبهذا الأسلوب نستطيع أن لا نفقده ونضعه عند التنفيذ. وتستهدف دراسة المهمة (الواجب) على الأرض إذن أساساً تحديد الهدف النهائي وفهمه. وقد تولد هذه الدراسة أيضاً أفكاراً عن أسلوب تحقيق هذا الهدف، أي عن موقع جهدنا الرئيسي وعن إيقاع هذا الجهد (شدة الزخم) وعن ظروف امن هذا الجهد. وهكذا تولد فكرة المناورة بشكل هدف مفهوم ومحدد بصورة واضحة وتتوصل أيضاً إلى عدة أساليب من الممكن استخدامها لبلوغ هذا الهدف<sup>(١)</sup>.

حقاً أن الهدف الذي يريد القائد تحقيقه يتجسد على الأرض، بيد أننا نريد قبل كل شيء الحصول على نتيجة من النتائج ضد العدو لأننا نقاتل ضده ولا نقاتل ضد الأرض. وهكذا لا بد لنا إذن من أن نكون فكرة عن هذا العدو. وتستند التأملات الضرورية للتوصل إلى هذه الفكرة إلى الأسس التالية:

- ١- هناك الفكرة التي كونها المستوى الأعلى لنسقنا عن العدو لأن مناوراتها والواجبات التي أعطاها تتبع أساساً من التقديرات التي وضعها عنه.
- ٢- هناك المهمة (الواجب) التي تلقيناها، وعندما يعطي المستوى الأعلى هذه المهمة فذلك يعني أنه يعتبر أنها ممكنة التحقيق برغم من وجود العدو الذي يستطيع مقاومة تحقيقها.
- ٣- هناك الأرض التي ستنفذ فيها المهمة والتي سيستخدمها الخصم لمنع تحقيقها.
- ٤- هناك ما نعرفه عن العدو في اللحظة التي نتلقى فيها هذه المهمة، ولكن نادراً ما نعرف كثيراً من الأشياء عنه في هذه اللحظة، إذ بين اللحظة التي نتلقى فيها المهمة ولحظة العمل يكون العدو قد تبدل كثيراً<sup>(٢)</sup>.

(١) المصدر السابق، ص ١٤١.

(٢) المصدر السابق، ص ١٤٢.

واستناداً إلى هذه الأسس التي تتضمن ثلاثة عناصر ايجابية وعنصراً مشكوكاً فيه يضع القائد نفسه في إطار فكرة المستوى الأعلى (النسق الأعلى) عن العدو، ويسعى لاستخلاص ما يمكنه استخلاصه عن إمكانات خصمه لمقاومة المهمة أو الواجب ومنع تحقيقها أثناء تنفيذها. وبما أن هذا العدو افتراضي إذن فعلى القائد إن يعد فرضيات عنه. وعندما يعد الفرضيات يجيب على السؤال التالي:

"في الوضع الذي أعرفه تماماً كيف سيستخدم العدو الأرض لمقاومة تنفيذ مهمتي؟ وربما يكون جوابه على السؤال كما يلي:

١- في وضع هجومي: بوسع العدو أن ينتظرني في منطقة كذا أو كذا الملائمة لترويض أو تعبئة أسلحته النارية وقوات هجومه المضاد.

٢- في وضع دفاعي: بوسع العدو إن يهاجمني في هذا الاتجاه أو ذاك بوسائط كذا أو كذا.

وفي كلتا الحالتين يشكل كل احتمال من الاحتمالات فرضية من الفرضيات ولكي تكون الفرضيات ممكنة الاستخدام ينبغي أن تكون بسيطة وقليلة العدد. هنا يبرز العمل الرئيسي للقائد الذي يتضمن تصنيف فرضياته (احتمالات عمل خصمه)، لأنه لو اعتبرها كلها ذات قيمة متساوية، إذن لكان ميالاً إلى الانتظار ليرى الفرضية التي ستحقق. وفي هذه الحالة هناك احتمالات كبرى في إن يبقى سلبياً في عمله، وأن يكون اللاعب الثاني في المعركة، فيضطر بهذا الشكل مجابهة أعمال العدو بالخضوع لقانونه وإرادته، أو يضطر إلى مجابهة كل الفرضيات بأن واحد.

فيكيف يتم هذا التصنيف وهذا الاختيار؟ إن في وسعه أن يقدر مدى إعاقة خصمه له في الهجوم، أو مدى الخطر الذي يتعرض له عندما يكون في الدفاع، هذا الخطر الذي يمثله تطور كل فرضية من الفرضيات لتنفيذ مهمته. وفي وسعه أن يضع في الرأس الأفضلية التي يعتبرها أكثر الفرضيات تعويقاً أو أكثرها خطورة وذلك بالأثر الذي ستحدثه على مناورته الخاصة، ويصنف الفرضيات الأخرى بالتسلسل تبعاً

لقلة درجة خطورتها أو اعاققتها وتعطي المعلومات التي يمتلكها القائد طابعاً احتمالياً لإحدى هذه الفرضيات غير أن عليه أن يأخذ هذا الاحتمال بعين الاعتبار ولكن بكثير من الحذر.

ففي التنفيذ قد يلعب العدو هذه الفرضيات أو لا يلعبها، وقد يعطي إحداها الشدة التي يريدها. وفي وسعه أيضاً إن يمزج فيما بينها. أن وضع الفرضيات إنما هو أمر ضروري لحصر كل العمليات المتوقعة وغير المتوقعة للخصم. وعند تصنيفها يكون في وسعنا أن نوزع قواتنا حسب المناورة التي نريد تحقيقها.

ففي حالة الهجوم وهي الحالة التي يملك القائد المبادأة فيها، كما يملك قوة متفوقة، يستطيع اعداد كل التدابير لقهر العدو الذي توقعه في الفرضية الأولى. ولكن يترتب عليه أيضاً أن كل التدابير للتغلب على الاعداء المصنفين بالتسلسل، وما ينبغي عمله إذا لم ينفذ العدو الفرضية الأولى أو الثانية..

وفي حالة الدفاع في وسع القائد أن يعد ما يفعله لمواجهة العدو في الفرضية رقم (1)، ولكنه يعد أيضاً كل التدابير الضرورية لمواجهة العدو في الفرضيات الأخرى. وأخيراً يسعى القائد جهده في الحالتين لكي يملك امكانية مواجهة كل ما هو غير متوقع. بهذا الشكل تتحدد فكرة المناورة تبعاً للعدو كما يراه القائد، وتجسد النتائج التي يريد الحصول عليها، ويمكن للقائد أيضاً أن يحدد المعلومات الضرورية لإدارة المناورة، ولن يكون لهذه المعلومات أي هدف سوى إعطاء طابع الاحتمال أو عدمه، بشكل واضح قدر الإمكان للفرضيات التي وضعها، وأن يكشف كل حركة غير متوقعة في الوقت الملائم.

### ج- صفات القائد العسكري:

لا يمكن إن ينجح القادة والأمرء العسكريون في مهامهم ومسؤولياتهم التعبوية والسوقية والتربوية والاجتماعية إذا لم يتسموا بالصفات الإيجابية للقيادة الناجحة التي تمكنهم من كسب عقول المقاتلين والتفاعل معهم بصورة حية وجيدة وحثهم على أداء الأعباء الخطيرة المكلفين بها أثناء فترات الحرب أو السلم وتعبئتهم على تحقيق

الانتصارات ضد الأعداء والمغتصبين. ويتمكن القائد من خلال الصفات المتميزة التي يحملها من كسب احترام رجاله ونيل ثقتهم وطاعتهم الراضية وتعاونهم الصادق. ويعتبر المشير الركن مونتغمري القيادة المحرك الأساس للقوات ومقومة أساسية من مقومات الحرب<sup>(١)</sup>.

وقبل أكثر من ألف سنة تكلم الفيلسوف العربي الفارابي في كتابه: "أهل المدينة الفاضلة" عن أهمية القيادة وفضلها في بلوغ حالة المجتمع المثالي. فالقائد كما يقول الفارابي هو منبع السلطة العليا والمثل الأعلى الذي تتحقق في شخصيته جميع معاني الكمال، وهو مصدر حياة المدنية ودعامة نظامها. ومنزلة القائد بالنسبة للأفراد كمنزلة القلب بالنسبة لسائر أنحاء الجسم<sup>(٢)</sup>. لذلك لا يصلح للقيادة إلا من زود بصفات وراثية ومكتسبة يتمثل فيها أقصى ما يمكن أن يصل إليه الكمال في الجسم والعقل والعلم والخلق والدين. وهنا يذكر الفارابي بأن قائد المدينة الفاضلة (القائد السياسي والعسكري) يجب أن يتصف بالمزايا التالية:

- ١- أن يكون القائد تام وسليم الحواس.
- ٢- إن يكون جيد الفهم والتصور لكل ما يقال أمامه.
- ٣- أن يكون شجاعاً.
- ٤- أن يكون ذكياً.
- ٥- أن يكون حسن العبارة وقوي اللسان.
- ٦- أن يكون محباً للعلم والعلماء.
- ٧- أن يكون صادقاً ومحباً للصدق والوفاء.
- ٨- أن يكون محباً للعدل ويكره الظلم

(١) المشير الركن مونتغمري . السبيل إلى القيادة، ترجمة العميد الركن حسن مصطفى، بيروت، دار الطليعة، ١٩٦٦.

(٢) الشباب ، د. مصطفى . علم الاجتماع مدارس، الجزء الأول ، الدار القومية، القاهرة، ١٩٧٥، ارجع إلى مبحث الفكر الاجتماعي عند العرب والمسلمين.

٩- أن يكون كبير النفس محباً للكرامة:

١٠- يجب أن لا يهتم بجمع المال.

١١- يجب أن يكون اجتماعياً ومتواضعاً.

١٢- إن يكون قوي العزيمة على الشيء الذي يرى أنه ينبغي إن يفعل. جسوراً  
مقدماً غير خائف ولا ضعيف النفس.

وقد درس علماء النفس الاجتماعي وعلماء الاجتماع الصفات الوراثية  
والمكتسبة التي ينبغي تواجدها عند القائد. والصفات القيادية الواجب توافرها عند القادة  
العسكريين وغير العسكريين هي ما يلي:

#### ١- الشخصية المتميزة Distinguished Personality

يتميز القائد عن غيره من الأفراد بالشخصية البارزة والمتميزة التي يقصد بها  
مجموعة الصفات العقلية والخلقية والسلوكية التي يتمتع بها والتي تمكنه من التأثير في  
الآخرين ودفعهم وتوجيههم نحو تحقيق الأهداف العامة والخاصة. فالقائد ينبغي أن  
يتميز بذكاء نادر وبصيرة نافذة وخلق عالي وقدره على الخطابة والكتابة بصورة تحرك  
الجماهير وتدفعهم على العلم والإنتاج والمثابرة في خدمة الجماعة والمجتمع<sup>(١)</sup>. وعلى  
القائد أن يعتمد على نفسه في وضع الخطط والأهداف وتنفيذها. وليس معنى هذا إن  
يقوم بنفسه بعمل كل شيء ولكننا نقصد أن تكون لديه القدرة على ذلك. وهذا ما يسهل  
مهمته في قيادة تابعة. ويجب أن يتميز القائد كذلك بصفة الاعتزاز بالنفس وأن تكون  
شخصيته شديدة الخصوبة والنضج من جميع النواحي. وكلما انتشرت الثقافة في  
المجتمع وزاد عدد المتعلمين فيه كلما أصبحت مهمة اختيار القائد تعتمد على التمييز  
العقلي والخلقي.

إن الجماعات البدائية كانت تختار قادتها من ذوي الحناجر القوية والبناء  
الجسمي المتين وسرعة الركض وسلامة الحواس وما إلى ذلك من الخصائص التي

(١) القوصي، د. عبد العزيز. علم النفس: أسسه وتطبيقاته التربوية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٧،  
ص ٢٩٦.

يحتاجها في الحياة البدائية. وإذا وجدنا بأن اختيار القادة يعتمد على هذه الصفات التقليدية في مجتمع ما فإننا نحكم على هذا المجتمع بالتخلف والبدائية ، بينما إذا اعتمد المجتمع على الصفات الشخصية الايجابية في اختيار قادته فإننا نعتبر ذلك المجتمع متقدماً وناهضاً<sup>(١)</sup>. ونلاحظ أن تلاميذ المدرسة الابتدائية يختارون قادتهم من ذوي الصفات البدائية التي ذكرناها. ويتغير الوضع عند انتقالنا إلى المدارس الثانوية أو العالية.

## ٢- الشجاعة Courage:

وهي صفة مهمة من صفات القيادة العسكرية الناجحة، فالقائد المتميز واللامع هو الذي يتخذا القرار الصائب وينفذه دون خوف أو تردد ، هذا القرار الذي يقود الجماعة أو التشكيل إلى النصر الحاسم على الأعداء . غير أن شجاعة القائد تتأتى من معنوياته العالية وقدراته الخلاقة على حسم المواقف الصعبة وتحقيق المكاسب والمنجزات وجمع شمل الجماعة عند تعرضها لأخطار التصدع والانقسام. كما أن شجاعة القائد تتأتى من صبره وتحمله المشاق وورادته القوية في قهر المشكلات وتذليل العقبات التي تظهر أمامه أثناء أدائه واجباته العسكرية والإدارية. والشجاعة كما قال فولتير هي القدرة على مواجهة الخطر بروح عالية ووثابة<sup>(٢)</sup>.

ولما كانت الحرب هي مجال الخطر، فالشجاعة اذن هي من أسمى الفضائل الحربية وأهمها. وأخيراً يجب أن نقول بأن القائد الشجاع هو الرجل الذي لا يعرف الخوف ولا يتردد في اتخاذ الاجراءات السريعة والفعالة التي ينبغي اتخاذها في المواقف الصعبة مهما تكن عواقبها أو نتائجها . اذن القائد الناجح. والمتميز يجب أن يكون شجاعاً مقداماً غير خائف ولا ضعيف النفس وأن يكون صبوراً وقوي الإرادة والشكيمة.

(١) المصدر السابق، ص ٣٩٧.

(٢) اللواء الركن هشام صباخ فخري. القيادة العسكرية الناجحة، ص ٢٥.

### ٣- قوة الإرادة Strong Will:

ونقصد بقوة إرادة القائد طبيعة مواقفه ازاء ما يتخذه من احكام وقرارات والقائد ينبغي ان يتسم بإرادة قوية وحازمة وهذا يتطلب منه الايمان بنفسه وقدراته والافتتاح بقوته. بحيث يتوقع لنفسه النجاح فيما يرسمه وما يخطط له. وأهم ما في صفة قوة الإرادة الثقة العالية بالنفس والافتتاح التام بصواب اتجاهاتها. وقوة الإرادة عند القائد تجعله مؤمناً بما يقوم به من أعمال وما يتخذه من قرارات وأحكام. وتجعله ماضياً في تحقيق وانجاز ما قرر القيام به من واجبات ومهام<sup>(١)</sup>. وقوة الإرادة التي يتمتع بها القائد الجيد هي التي تساعد على تحقيق طموحات وأهداف تابعيه. وإذا ما حقق أهداف وطموحات تابعيه فإن مركزه القيادي سيتوطد وأن سمعته سترتفع وبالتالي يصبح من الرجال المعبرين في المجتمع. ولكن من جهة أخرى نلاحظ بأن قوة الإرادة التي تتسم بها شخصية القائد قد جعلها متحيزة ومتعصبة وغير مرنة إزاء الأشياء والقرارات التي تتوصل إليها. وعلى الرغم من هذا فإن شخصية القائد القوية والمؤثرة في نفوس الأفراد والجماعات هي التي تجعل القائد شخصاً متميزاً وقادراً على احراز المكاسب والنجاحات للجماعة برمتها.

### ٤- التضحية في سبيل الغير

إن للقائد صلته ومصالحه الشخصية. فله علاقاته بأفراد أسرته وأبناء مجتمعه المحلي وأصدقائه... الخ. ولكن الذي ينتظر من القائد إن يجعل كل هذا في المرتبة الأخيرة من الأهمية. وأن الذي يقدم عليه يجب أن يكون في صالح الجماعة أو التشكيل القتالي الذي يقوده. فالقائد العسكري لا يكون ناجحاً كقائد إلا إذا تساوت أمامه كل الاعتبارات ما عدا اعتبار الصالح العام. ومعنى هذا أن القائد يعلو فوق الاعتبارات الطائفية والإقليمية وفوق علاقات القرابة والصداقة وفوق المصالح

(١) القوسي د. عبد العزيز. علم النفس، ص ٣٩٧.



الشخصية والذاتية<sup>(١)</sup> وهذا هو معنى التضحية. ويذهب القادة العسكريون إلى أبعد من هذا حتى تصبح التضحية بالنفس من جانبهم أمراً سهلاً في سبيل تحقيق الأهداف العامة. وتضحية الانتصارات التي تحققها الجيوش في المعارك.

#### ٥ - الصفة الاجتماعية والأدبية Sociability

ومن الصفات الجيدة الأخرى التي ينبغي على القائد الاقتداء بها والتصرف بموجبها الصفة الاجتماعية، أي اجتماعية وإنسانية القائد. فالقائد الناجح هو الرجل الذي يحترم ويثمن أفراد جماعته القتالية ويثق بهم ويمد الجسور اليهم بحيث يتفاعل مع كبيرهم وصغيرهم تفاعلاً غير رسمي يقود إلى التفاهم والود والمحبة بينهم. واجتماعية القائد تتضمن تواضعه وعدم تكبره على المقاتلين وتكيفه معهم والنفوذ إلى عقولهم وضمايرهم، وتضمن أيضاً حسن معاملتهم والتعاطف مع قضاياهم الخاصة والعامة والمبادرة إلى حل مشكلاتهم ومعوقاتهم مهما تكن صعبة ومعقدة. كما أن اجتماعية القائد تحتم عليه نكران ذاته وتقديم مصالح المقاتلين على مصالحه الخاصة ومساعدتهم في تلبية حاجاتهم ومتطلباتهم والاهتمام بشؤونهم اليومية وتكوين العلاقات الاجتماعية الصميمية معهم والدفاع عن مصالحهم وطموحاتهم وزيارتهم وقت مرضهم وتفقد شؤون أسرهم وأطفالهم .. الخ<sup>(٢)</sup>. وجميع هذه الأمور تؤدي إلى نجاح وشموخ وتألق للقائد العسكري بحيث يكون محبوباً من قبل المقاتلين كافة ويكون قادراً على تحقيق أهداف الجماعة القصيرة منها والبعيدة.

وأخيراً على القائد أن يتسم بصفة العدالة والمساواة، أي أن يكون عادلاً ومنصفاً فلا يتحيز لمقاتل دون المقاتل الآخر أو لجماعة دون الجماعة الأخرى. وأن يكون كارهاً للظلم والتعسف والاستبداد. فالقائد - الناجح هو الرجل الذي يمتلك حدس العدالة في تعامله مع المقاتلين. وعدالة القائد يجب أن تطغي على سلوكيته وعلاقته

(١) المصدر السابق، ص ٣٩٨.

(٢) الحسن ، د. أحسان محمد. علم الاجتماع العسكري، ص ٢٠٩.

وقراراته<sup>(١)</sup>. ذلك إن المطلوب منه توزيع الواجبات القتالية والأمنية والإدارية بالتساوي على المقاتلين أخذاً بعين الاعتبار قابلياتهم وظروفهم ودرجة تحملهم ، وأن يوزع الحقوق والامتيازات المادية والمعنوية عليهم كل حسب طبيعة واجباته المكلف بأدائها وكفاءته ودقته في تنفيذ الواجبات والمسؤوليات.

ويتطلب منه معاملة الجميع معاملة متساوية قائمة على مبدأ الاحترام المتبادل والمصلحة المشتركة. أما إذا تحيز لمقاتل دون المقاتل الآخر أو لجماعة دون الجماعة الأخرى ولم يلتزم جانب العدل والمساواة في تعامله اليومي، وبالتفصيل مع المقاتلين فإن هذا لا بد أن يخلق أجواء التذمر وعدم الرضا والعصيان، هذه الأجواء التي لا بد أن تصدع وحدة الجماعة القتالية وتشق صفوفها وتحدث الانقسامات بين أعضائها. وإذا ما حدث هذا فإن الجماعة القتالية أو التشكيل العسكري لا بد أن يضعف ويفشل في انجاز مهامه وواجباته المكلف بأدائها.

#### ٦ - القدرة على التنبؤ التعبوي للعمليات Predictability

يعتبر التنبؤ في العلم العسكري حالة من حالات النضوج العقلي لدى القادة، وهو نوع من الالهام والفراسة، وليس تقديراً للموقف يقود إلى أفضل مسلك عمل محتمل، كما أنه ليس استنتاجاً لعامل معين. وفي الواقع إن القدرة على التنبؤ هي من الصفات التي يتميز بها القادة الموهوبون الذين ولدوا يحملون في نفوسهم بذور القيادة أكثر من الذين أصبحوا قادة بفضل الدراسة والتجربة والعوامل الأخرى<sup>(٢)</sup>.

أما الصفات المكتسبة التي ينبغي إن تتوفر عند القادة العسكريين فهي ما يلي:

١- القدرة الفنية في إدارة الحرب وهذا يتطلب معرفة واسعة بفن الحرب.

٢- القدرة على إدارة علم الاجتماع وعلم النفس والإدارة الحديثة<sup>(٣)</sup>.

(١) اللواء الركن هشام صباح فخري. القيادة العسكرية الناجحة، ص ٢٦.

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٨.

(٣) الفريق الركن اسماعيل تايه النعمي، القيادة عقل وقلب ، ص ١٣.

٣- القابلية على الاستفادة من تجارب الآخرين والمقدرة على تحليل اسباب النجاح والفشل في المعارك السابقة.

٤- المقدرة على كشف مواهبه الطبيعية وصقلها بالتعليم والدراسة.

د- وظائف القائد العسكري:

تؤدي القيادة العسكرية دورها الفاعل والمؤثر في تخطيط وبرمجة مهام ومسؤوليات الوحدات والتشكيلات القتالية ورفع معنويات منتسبيها وتحقيق التماسك والوحدة بنبيهم بحيث تستطيع هذه الوحدات والتشكيلات بلوغ أهدافها القريبة والبعيدة بأسرع وقت ممكن وبأقل قدر ممكن من التكاليف المادية والبشرية. لكن القيادة العسكرية مهما تكن مستوياتها لا تستطيع اداء مهامها والإيفاء بالتزاماتها ازاء مقاتليها والمؤسسة العسكرية التي تعمل فيها دون تمتعها بالصفات الايجابية التي ينبغي إن تتوافر عادة عند القادة والأمراء كالذكاء والثقة العالية بالنفس والشجاعة والتضحية في سبيل الآخرين وسلامة الجسم والعقل واللسان والتواضع وعدم التكبر والعدل والمساواة بين المقاتلين. ومثل هذه الصفات المتميزة تمكن القادة من اداء وظائفهم للجماعة أو التشكيل القتالي الذي يقودونه. ويمكننا درج الوظائف التي يضطلع بها القادة العسكريون بالنقاط التالية:

١- الوظائف التعبوية والقتالية.

٢- الوظائف الفنية والتنفيذية.

٣- الوظائف الاجتماعية والتربوية .

٤- الوظائف الفكرية والايديولوجية.

وسوف نشرح هذه الوظائف بالتفصيل لكي نطلع عليها ونفهم مضامينها وأبعادها.

## ١ - الوظائف التعبوية والقتالية:

من أهم الوظائف التي يضطلع بها القادة والأمرون في القوات المسلحة الوظائف التعبوية والقتالية. فالوظائف التعبوية تتمحور حول تجنيد المقاتلين في القوات المسلحة وتدريبهم على فنون الجندية واستعمال السلاح والقتال. إضافة إلى استيعاب متطلبات المهنة العسكرية وفنون التمارين الدفاعية والهجومية والقتال الليلي والتعرض لقطاعات العدو والاستعداد للهجوم والاعتحام... الخ. ومثل هذه التدريبات والتمارين والاستعدادات لخوض غمار الحرب تمكن المقاتلين من المساهمة في المعارك والاشتباك مع العدو وإحراز النصر الحاسم عليه. أما الوظائف القتالية التي يقوم بها القائد فتدور حول صد الهجوم واحتوائه وردع العدو والتعرض لقواته وتدمير أسلحته وإبادة تشكيلاته العسكرية عن طريق تطويقه والانقضاض عليه. لكن القائد لا يستطيع إنجاز الوظائف التعبوية والقتالية دون قيامه بتوزيع الواجبات والمسؤوليات على الأمرين ومساعدتهم الذين يتولون عملية تدريب المقاتلين وتحضيرهم لخوض المعارك وصقل مهاراتهم العسكرية ومضاعفة قدراتهم الفنية على استعمال السلاح وصيانتهم<sup>(١)</sup>. وبعد الانتهاء من التدريبات والاستعدادات العسكرية الضرورية يتحمل القائد ومساعدوه مسؤولية القتال في الجبهة مهما يكن طولها وعمقها. وهنا يؤدي القائد دوره الأساسي في توزيع المهام القتالية على المقاتلين ويسهم مع هيئة الأركان بوضع الخطط الدفاعية والهجومية وتقوية الاستحكامات ومراقبة أرض الحرام للتقليل والحد من نشاط دوريات العدو والحفاظ على المواضع الدفاعية. إضافة إلى إخراج الدوريات والكمائن واستحداث المراصد والحجابات التي تقلل من زخم الهجوم الذي يقوم به العدو.

لكن القائد أو الأمر لا يستطيع أداء هذه الواجبات التدريبية والقتالية دون سيطرته سيطرة كاملة على مقاتليه وضبطهم وشدهم إليه بحيث يطيعون أوامره

(١) العقيد شارل شانديسي. علم النفس في القوات المسلحة ، ص ١٣٠.

ويمتثلون لنصائحه وتوجيهاته وإرشاداته. علماً بأن نجاح القائد في القيام بهذه المهام يعتمد على شخصيته القوية واللامعة وفنونه الاجتماعية التي تمكنه من حسن التفاعل والتعامل مع الآخرين.

## ٢- الوظائف الفنية والتنفيذية:

وجانب الوظائف التعبوية والقتالية هناك الوظائف الفنية والتنفيذية التي ينبغي على القائد أدائها بأحسن وجه ممكن. فعلى القائد أو الأمر معرفة طبيعة الأسلحة التي يحتاجها في مقاتلة العدو والإمام بخصائصها وطرق صيانتها، وينبغي عليه معرفة الخطط العسكرية التي من خلالها يدافع عن مواضعه أو يخترق مواضع العدو ويبيد قواته وتشكيلاته وأسلحته، وأن يعرف كيف يناور بقطاعاته العسكرية وبياغته العدو ويلحق به أشد الضربات وأقساها<sup>(١)</sup>. وفي نفس الوقت يتطلب منه عن طريق الاستخبارات معرفة حجم قوة العدو وطبيعة أسلحته وخططه الدفاعية والهجومية ودرجة استحضارته ونقاط قوته وضعفه. ومثل هذه المعلومات التي يحملها القائد يجب أن تمرر إلى الأمرين والمساعدين لكي يمرروها بدورهم إلى المقاتلين خصوصاً أثناء تنفيذ الواجب.

أما الواجبات التنفيذية التي يقوم بها القائد فهي من أهم واجباته القيادية. فهو الذي يصدر أوامره وإيعازاته إلى المساعدين والمقاتلين بالبداية بالتدريبات العسكرية والرياضية والتدريب على استعمال وصيانة السلاح. ويشرف على الاستحضارات والاستعدادات التي تسبق المعركة ويرسم الخطط والعمليات القتالية مع هيئة الأركان ويفتش الاستحكامات المطلوبة. ويصدر الأوامر بحفر وتهيئة الخنادق والمواضع وإخراج الدوريات الاستطلاعية والتعرضية والكمائن ونصب المراصد وإقامة الحواجز والسواتر ومراقبة الأرض الحرام واستحداث الحاجات الضرورية. ويشرف بنفسه على صد الهجوم وشن الهجوم المعاكس على قوات العدو عندما يتلقى الأوامر بذلك من

(١) الحسن، د. إحسان محمد. وظائف القيادة العسكرية، مجلة صوت الطلبة، العدد ١٧٧، كانون أول، ١٩٨٣،

القيادة العامة للقوات المسلحة. إضافة إلى مسؤولية القائد في جلب الأسلحة المتطورة والذخيرة والمؤن والتجهيزات وتوزيعها على المقاتلين وتوصيل الماء والمواد الغذائية والسكاير.. الخ إلى الخطوط الأمامية لجبهات القتال.

### ٣- الوظائف الاجتماعية والتربوية:

ومن الوظائف الأخرى التي ينبغي أن يؤديها القائد الوظائف الاجتماعية والتربوية، فالقائد الجيد ينبغي أن يحول مجموعته القتالية أو تشكيلة العسكري إلى كتلة بشرية موحدة ومتراصة. فأول ما يقوم به القائد أو الأمر خلق روح الجماعة بين المقاتلين وتحقيق روح الألفة والمحبة والإيثار بينهم .

ومن الجدير بالذكر إن القادة العسكريين الكبار يعتقدون بأن العمل الجماعي هو من أهم عناصر القوة في الوحدة والتشكيل". والعمل الجماعي يستلم وجود عناصر إنسانية تحفظ الترابط والعمل المنسق والمنظم باتجاه واحد بين المقاتلين. لذا فوحدة الجماعة أو التشكيل القتالي والتنسيق بين عناصره التكوينية أثناء أداء الواجب هما من المقومات الأساسية لقوته وفاعليته وقدرته على تحقيق الانتصار بعد حسم المعركة لصالحه.

لكن القائد لا يستطيع تحقيق وحدة المقاتلين والنفوذ إلى عقولهم وضمائرهم والتأثير فيهم فكراً وسلوكاً ونضالاً دون تفاعله معهم والاحتكاك بهم على الصعيد غير الرسمي. فالقائد ينبغي أن يعايش المقاتلين ويتعرف عليهم واحداً واحداً ويهتم بأمورهم الخاصة والعامة ويلبي حاجاتهم ويحل مشكلاتهم إن وجدت<sup>(١)</sup> وأن يحترم كبيرهم ويعطف على صغيرهم ويكرم المبدع منهم ويثمن جهوده ويزرع عندهم القيم الحميدة والمثل السلوكية الفاضلة كالشجاعة والبطولة والإيثار والتعاون والتضحية في سبيل الآخرين وتحمل المسؤولية وحب العمل الجماعي والثقة بالنفس والنقد والنقد الذاتي.. الخ. كما أن صفات التواضع والعدل والمساواة التي يجب أن يتحلى بها القائد تدفع

(١) المصدر السابق.

جميع المقاتلين بدون استثناء إلى الالتفاف حوله ودعم مواقفه وتعزيز مركزه القيادي وإطاعته وتنفيذ أوامره دون تردد أو تلوؤ . ومما يقود إلى قوة وحدات الجماعة القتالية وتماسكها إيمانها بعدالة القضية التي تقاتل من أجلها واعتقادها بأيدولوجية سياسية واجتماعية واحدة. لذا يتطلب من القائد أن يبادر بنفسه أو من خلال ضباط التوجيه السياسي إلى شرح جذور الصراع مع العدو للمقاتلين وأن يوضح عدالة القضية التي يقاتل الوطن من أجلها ويضرب الأمثلة الحية على ظلم وعنجهية واستغلال العدو<sup>(١)</sup>.

٤ - الواجبات الفكرية والايديولوجية :

غالباً ما يكون القائد العسكري مصدراً مهماً من المصادر الفكرية والايديولوجية والفلسفية التي تسير عليها الجماعة. فالقائد يضع ويصوغ فكر الجماعة وأيدولوجيتها ويزود أعضائها بالأفكار والمعتقدات والقيم التي تحدد أنماط سلوكهم وممارساتهم اليومية<sup>(٢)</sup>. وهو الذي يستطيع في الوقت ذاته تغيير أفكار وأيدولوجية وفلسفة الجماعة دون شقها وتقسيمها وبذر سمات الخلافات والتناقضات بين أفرادها. ولما كانت الايديولوجية الحياتية والفكرية التي تتمسك بها الجماعة عاملاً أساسياً في وحدتها وتماسكها وأن القائد هو الذي يصوغ معالم الايديولوجية هذه فإنه أي القائد يعلب الدور الكبير والحساس في توحيد الجماعة وتماسكها وازالة الخلافات الجانبية والتي قد تدب بين أعضائها. إن القائد يستطيع التأثير في أفكار وقيم وسلوكية الاتباع من خلال الايديولوجية التي يضعها وينشرها بينهم. وإذا كان القائد يتمتع بذكاء عال وشخصية مؤثرة وفكر نير فإن معتقداته وفلسفته الحياتية ستمرر إلى الآخرين وبالتالي تكون هناك درجة عالية من الانسجام والتوافق بين القائد واتباعه. وهذا الانسجام والتوافق يسبب وحدة الجماعة وصلابتها التي هي سر نجاحها وانتصارها في كافة أعمالها ومهامها.

(١) المصدر السابق .

(٢) AL-Hassan, Ihsan M. collective Behaviour, P. 30.

## هـ- أنواع القيادات العسكرية:

يمكن تصنيف القيادات العسكرية إلى عدة أنواع تبعاً لمقاييس معينة كمقياس أسلوب تفاعل القادة مع الاتباع ومقياس التوازن أو عدم التوازن بين عقول القادة وقلوبهم فلو أخذنا مقياس أسلوب تفاعل القادة مع اتباعهم لشاهدنا بأن هناك نوعين من القيادات: القيادة الدكتاتورية والقيادة الديمقراطية. وشخصية القائد هي التي تؤثر تأثيراً مباشراً في أسلوب التعامل مع الاتباع. فالقائد الذي يحمل الشخصية السلطوية Authoritarian Personality تكون قيادته للوحدة أو التشكيل العسكري قيادة دكتاتورية، والقائد الذي يحمل الشخصية الديمقراطية Democratic Personality تكون قيادته للوحدة أو التشكيل قيادة ديمقراطية. ويشهد التاريخ العسكري وجود قادة دكتاتوريين ك نابليون وجورج باتون وقادة ديمقراطيين كروبرت لي وبردالي. وهناك قادة يجمعون بين الأساليب الديمقراطية والدكتاتورية للقيادة كأوليس غرانت الذي كان يظهر بسيطاً في ملبسه العسكرية غير انه لم يكن متردداً في تكليف أفراد قاطعته بواجبات وأعباء تفوق طاقتهم وقوة تحملهم. إذن من الخطأ القول بأن القادة العسكريين يكونون على نمط واحد في تعاملهم مع المقاتلين والاتباع.

هناك الكثير من التجارب التي أجريت على مجاميع من الأطفال لتوضيح العلاقة بين نمط القيادة ووحدة المجموعة ونمط القيادة وإنتاجيتها ونمط القيادة والعلاقات الاجتماعية التي تنشأ بين أعضائها. ومن أهم هذا التجارب تجربة ليون ولييت ووايت (Lewin, Lippitt, and White) التي أجريت على ثلاثة مجاميع من الأطفال كل مجموعة تنتهج نموذجاً من القيادة كالقيادة الدكتاتورية والقيادة الديمقراطية والقيادة المجهولة<sup>(1)</sup>. وقد كلفت هذه المجاميع بأداء نفس الواجبات خلال فترة زمنية معينة. وبعد تفاعل المجاميع مع قادتها وأدائها للأعمال المكلفين بها وجد عدم انسجام أعضاء المجموعة ذات القيادة الدكتاتورية ووجود المنافسة الحادة بينهم وميل

(1) Lindsey, G. Handbook of Social Psychology, Vol. 2, Addison- Wesley Publishing Co., Reading, Mass, 1954, PP.776-777.



الأعضاء نحو التكتل إلى جماعات صغيرة في حالة غياب القائد. إلا أن انتاجية الجماعة الديكتاتورية كانت عالية عند حضور القائد وواطئه عند غيابه. أما أعضاء الجماعة الديمقراطية فكانوا منسجمين ويحترم واحداهم الآخر إذ لا توجد المنافسة بينهم ولا يميل أعضاء الجماعة الديمقراطية بان يكونوا بالمستوى المطلوب. بينما يخيم الضجر والملل على أفراد الجماعة ذات القيادة المجهولة وتلكاً انتاجيتهم وتتعدم روح التعاون والانتماء بينهم.

بعد هذه التجربة علينا توضيح أهم الصفات التي تتميز بها القيادتان الديكتاتورية والديمقراطية مع إشارة خاصة إلى طبيعة العلاقات السوسيوميترية Sociometric Relation ship التي تربط القائد بالاتباع في كلا النموذجين من القيادات.

القائد الدكتاتوري هو الرجل الذي يتمتع بقوة مطلقة ونفوذ غير محدود ومنزلته في الوحدة أو لتشكيل العسكري الذي يقوده أكثر فاعلية وتأثيراً من منزلة القائد الديمقراطي<sup>(١)</sup>. فالقائد الديكتاتوري وحده هو الذي يحدد السياسات الداخلية والخارجية لوحده، ويضع خططها التكتيكية الاستراتيجية ويشرف على تنفيذها ومتابعتها. إضافة إلى معرفته وإمامه بجميع فعاليات وبرامج ومهام الجماعة. فهو يتدخل في الشؤون الصغيرة والكبيرة للجماعة أو الوحدة ولا يدع المجال لأحد في الوحدة لأن يقوم بأي عمل دون الحصول على موافقته. وينظم علاقات وتفاعلات أعضاء الجماعة ويطلب منهم الاتصال به مباشرة قبل القيام بأي عمل، فهو لا يثق بقابلياتهم وإمكانياتهم في اداء العمل ويشكك دائماً بحسن نيتهم ونزاهتهم واستعداداتهم على تحمل المسؤولية. وهو يعرف تمام المعرفة كل شخص في الجماعة خصوصاً ما يتعلق بنقاط قوته وضعفه، إضافة إلى إطلاعه على كافة شؤون الجماعة ومشكلاتها<sup>(٢)</sup>.

(١) Adrono, et al. Authoritarian Personality , New York, 1981.

(٢) Weber, Max. The Theory of Social and Economic Organization, Op. Cit., P. 358.

أما طبيعة العلاقة السوسيوميترية بين القائد الديكتاتوري والاتباع فإنها تكون على شكل نجمة (Star). فالقائد يحتل مركز النجمة والاتباع يحتلون رؤوسها. وهذا يكون بسبب طلب القائد من الاتباع الاتصال به مباشرة قبل القيام بأي شيء. وبدل هذا على سيطرة كاملة على الأفراد بحيث تذوب ذاتية واستقلالية الأفراد وسط الجماعة الديكتاتورية ويظهر القائد كأداة فاعلة ومؤثرة في الجماعة.

وفي القيادة الديمقراطية لا يختلف القائد الديمقراطي عن القائد الديكتاتوري بكمية القوة والنفوذ التي يتمتع بها بل يختلف عنه أيضاً بطريقة وأسلوب ممارسته للقوة والنفوذ. فالقائد الديمقراطي يطلب من أتباعه المشاركة الفعالة والمجدية في شؤون الجماعة والمشاركة في القرارات والصيغ القيمية والسلوكية التي تسير الجماعة بموجبها<sup>(١)</sup>. كما أنه يتعاون معهم في وضع السبل التي يمكن إن تعتمدها الجماعة في الوصول إلى غاياتها وأهدافها.

والقائد الديمقراطي بعكس القائد الديكتاتوري لا يتدخل في شؤون أعضاء جماعته ولا يفرض إرادته وقوته عليهم بل يحترمهم ويعتبرهم أخواناً وأصدقاء له. ويتناقش معهم بروح ديمقراطية بناءة حول الأمور والقضايا التي تهم مستقبل الجماعة ورفاهيتها وتقدمها. وتكون عادة أفكاره ومعتقداته مرنة ومتساهلة وغير مطلقة. وإذا اختلف بالرأي مع أعوانه أو بعض أفراد جماعته فإنه لا يتخذ ضدهم الإجراءات الانتقامية الرادعة كما يفعل القائد الديكتاتوري بل يستمر في احترامهم وتقديرهم ويحاول سد ثغرات الاختلاف وتحقيق الوحدة والتماسك مع الاتباع بحيث تكون الجماعة متماسكة وقوية وقادرة على تحقيق أهدافها وطموحاتها. وإذا حدث صراع أو مجابهة بين أفراد الجماعة فإنه يتدخل في حل الصراع والمجابهة بروح ديمقراطية وبناءة بعد دراسة أسباب وجذور الصراع<sup>(٢)</sup>.

(١) الحسن، د. احسان محمد. علم الاجتماع السياسي، ص ٢١٨.

(٢) المصدر السابق، ص ٢١٩.

ولا يتدخل القائد الديمقراطي بتنظيم العلاقات الاجتماعية التي تأخذ مكانها بين الاتباع وأعضاء الجماعة التي يقودها، بل يعطي مطلق الحرية للأفراد بتكوين العلاقات والتفاعلات الاجتماعية الايجابية بعضهم مع بعض ولا يطلب منهم استشارته حول طبيعة العلاقات الاجتماعية المطلوب بناؤها وترسيخها في الجماعة. ولا تكون العلاقات السوسيوميترية في الجماعات الديمقراطية على شكل نجمة بل تكون على شكل مستطيل طويل توجد فيه أنواع العلاقات بين الأفراد، ولا يحتل القائد الديمقراطي المركز الوسط والحساس في هذا المستطيل بل يشغل حيزاً فيه يبين علاقاته مع بعض الأفراد، وعلاقاته مع الأفراد لا تختلف عن علاقات الآخرين بعضهم ببعض. وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على طبيعة العلاقات الديمقراطية التي تأخذ مكانها في الجماعة الاجتماعية.

ويمكن تصنيف القادة حسب عامل التوازن بين العقل والقلب إلى عدد من الأصناف أهمها ما يلي:

١- قائد يتمتع بعقل كبير وقلب ضعيف أي أنه ذكي ولكنه ليس جريئاً. إن هذا القائد يرتبك قلبه في المواقف الصعبة فيؤدي ارتباك القلب إلى توقف الفكر فيهبط الذكاء فلا يستطيع اعطاء القرار الملائم في الوقت المناسب. لذا فإننا لا نستطيع تحويل الضابط الذكي والذي تعوزه الشجاعة إلى قائد جيد مهما بالغنا في اعداده وتدريبه. ذلك أن القيادة لا يفيدها عبقرى لا يتمتع بالجرأة والشجاعة في إصدار القرار وتحمل مسؤوليته<sup>(١)</sup>.

٢- هناك قائد آخر يتمتع بعقل صغير وقلب كبير أي أنه ليس ذكياً ولكنه شجاع وجريء. إن هذا القائد إذا ما تبوأ مركزاً قيادياً وهو يتمتع بالجرأة ولكن بدون عقل مدبر فيكون اندفاعه اهجاً ينقلب وبالأعلى عليه وعلى القطاعات التي يقودها. فهو لا يبالي بالخسائر التي تصيب قطاعاته ولا يتحسب للنتائج

(١) الفريق الركن اسماعيل تايه النعميمي، القيادة عقل وقلب، ٢٢-٢٣.

---

---

مسبقاً. ومثل هذا الشخص لا يصلح أن يكون قائداً ووجوده خطراً على القطاعات التي يقودها.

٣- قائد يتمتع بعقل كبير وقلب كبير أي أنه ذكي وجريء. وهذا الشخص هو الذي وهبه الله الموازنة المطلوبة بين العقل والقلب ليخلق منه قائداً مقتدراً والمطلوب تشخيص مثل هؤلاء الأفراد لرعايتهم وتدريبهم على فن القيادة ليتولوا مهام قيادة الوحدات والتشكيلات العسكرية.

## الفصل الثالث عشر

### دور العائلة في اقتصاد الحرب

مقدمة تمهيدية :

لا يعتمد اقتصاد الحرب على الاجراءات الفاعلة والهادفة التي تتخذها الدولة من أجل السيطرة على الموارد والامكانيات الاقتصادية وتسخيرها لخدمة سوق الحرب وتحقيق النصر على العدو فحسب بل يعتمد أيضاً على تعاون الدولة مع الشعب ومبادرة الاخير بتنفيذ برامج الدولة وخططها على نحو يمكنها من كسب المعركة بأقل قدر ممكن من التكاليف والمدخلات المادية والبشرية. وتعد العائلة من أهم المؤسسات الاجتماعية المعبرة عن قوى وطاقات الشعب القادرة على ترشيد الاستهلاك وزيادة الانتاج الاجتماعي ودعم الجهود الحربي بما يمكن الدولة والمجتمع من استثمار الموارد الاقتصادية خدمة للمعركة وأهدافها التعبوية والسوقية<sup>(١)</sup>.

أن هناك عدة جهات تهمها مسألة تخطيط اقتصاد الحرب، وهذه الجهات هي الدولة والعائلة والقوات المسلحة<sup>(٢)</sup>. فاقتصاد الحرب الذي هو عملية تعبئة وحصر كافة الموارد القومية المتاحة مادية وبشرية وإعادة توزيع استخداماتها بحيث يخصص الجانب الاكبر منها لخدمة الجهود الحربي وتحقيق النصر في المعركة التي تخوضها الدولة<sup>(٣)</sup> لا يعتمد فقط على الدولة التي تتولى عملية تعبئة الموارد المادية والبشرية وزجها في المعركة القومية، ولا على القوات المسلحة التي تستفيد من الموارد

(١) الحسن، د. احسان محمد. دور الاستقرار الاسري في تعزيز القدرات القتالية، الاتحاد العام لنساء العراق ،

أمانة التنمية الثقافية ، بغداد، ١٩٨٦، ص ٢٠.

(٢) خضر، د. احمد ابراهيم، علم الاحتماع العسكري، ص ٣٥١.

(٣) بدوي، د. عبد السلام. اقتصاديات الحرب، مجلة مصر المعاصرة، العدد ٣٣٢، ١٩٦٧، ص ١٥٣.

المتاحة وتستخدمها في محاربة العدو وقهره، بل يعتمد أيضاً على العائلة التي تعتبر بمثابة الحلقة الوسطى في عملية تعبئة الموارد وزجها في خدمة سوق المعركة بحيث يتمكن المجتمع من احراز النصر على العدو.

إذن العائلة هي وسيلة الربط بين الدولة والقوات المسلحة في عملية اقتصاد الحرب. ذلك إن اقتصاد الحرب هو اقتصاد ينطوي على ثلاث مسلمات أساسية هي هبوط الاستهلاك المدني للسلع والخدمات وزيادة الانتاج الاجتماعي وسيطرة الدولة على موارد وامكانيات المجتمع سيطرة كاملة (١). ومثل هذه الظواهر الاقتصادية والسياسية لا يمكن أن تأخذ مكانها وتكون فاعلة ومؤثرة دون تدخل العائلة فيها. فالعوائل عن طريق الارشاد والتوجيه وتعميق الوعي والادراك تستطيع تخفيض حجم استهلاكها للمواد وزيادة حجم إنتاجية أفرادها ومساعدة الدولة في السيطرة على الموارد الاقتصادية للمجتمع وتسخيرها لخدمة المعركة من خلال مد جسور التعاون والتآزر بين الدولة والعائلة (٢).

ومعطيات ودروس المعارك التي خاضتها الامم والشعوب عبر تاريخها الطويل تشير إلى الدور المتميز الذي أدته العائلة في هذه المعارك عندما يبادر أفرادها إلى العمل والبناء والانتاج في يد والقتال في اليد الأخرى (٣). عندما تندلع نيران الحرب بين الدول تساهم العائلة في التصدي للعدو، فالعائلة هي التي تحفز أبناءها إلى الارتقاء لمستوى العدوان والتحدي لكي يواجهوا ظروف الحرب وأخطارها. فهي تدفع عادة الأبناء والآباء والاخوان إلى التوجه لسوح التدريب والقتال لمواجهة العدو وإفشال مخططاته العسكرية، وهي التي تتبرع بالاموال لدعم المجهود الحربي، وتعتمد أساليب ترشيد الاستهلاك للحفاظ على الثروة وتمتين أركان الاقتصاد القومي خلال فترة الحرب، وأخيراً تشارك في زيادة الانتاجية وتحسين نوعيتها وتطوير الخدمات التي

(١) المصدر السابق، ص ١٥٥.

(٢) سالم، د. نقى عبد، المواطن واقتصاد الحرب، دراسة منشورة في جريدة الجمهورية البغدادية، بتاريخ ١٠/٩/١٩٨٦، الصفحة الثالثة.

(٣) الحسن، د. احسان محمد. الثورة والحرب، ص ١٢٣.

يحتاجها الافراد<sup>(١)</sup> وتسهم في حملات الاعلام المضاد عن طريق محاربة الدعاية والاشاعة .

إن هذا الفصل يهتم بأربعة محاور أساسية توضح دور العائلة في اقتصاد الحرب، وهذه المحاور هي :

- أ- دور العائلة في ترشيد الاستهلاك .
  - ب- دور العائلة في زيادة الانتاج الاجتماعي .
  - ج - دور العائلة في دعم المجهود الحربي .
  - د - رصد الظواهر الاقتصادية المدانة في المؤسسة العائلية خلال فترة الحرب .
- والآن نقوم بشرح هذه المحاور بالتفصيل .

أ- دور العائلة في ترشيد الاستهلاك :

إن وعي العائلة وارتفاع مستواها الثقافي وتأثرها بقيم الحرب المنظمة للاقتصاد كقيمة التقشف وترشيد الاستهلاك والاقتصاد في النفقات والابتعاد عن الاستهلاك المظهري لابد أن تدفع العائلة إلى تقليل نفقاتها وتوفير أموالها الفائضة ودعم المجهود الحربي مع زيادة الانتاج والحفاظ على موارد وثروات المجتمع. الامر الذي يساعد على تمتين عناصر الاقتصاد القومي ويمكن الدولة من مقابلة نفقات الحرب والمضي قدماً في مشاريع التنمية القومية الاقتصادية منها والاجتماعية<sup>(٢)</sup> منفاً يساعد على الانتصار في الحرب .

ولعل من المفيد أن نشير هنا إلى أن العائلة هي من أهم المؤسسات الاجتماعية المسؤولة عن نهوض وفاعلية ومثانة الاقتصاد القومي ابان فترات السلم والحرب. فالعائلة ليست مسؤولة عن تزويد المجتمع بالكفاءات والخبرات البشرية التي يحتاجها في عملية بنائه وتقدمه الشامل فحسب، بل مسؤولة أيضاً عن الحفاظ على

(١) المصدر السابق، ص ١٢٤ .

(٢) الحسن، د. احسان محمد، دور العائلة في ترشيد الاستهلاك تحت ظروف الحرب، دراسة منشورة في جريدة الجمهورية البغدادية بتاريخ ١٩٨٦/٤/٤، الصفحة الثالثة .

الموارد الاقتصادية وتقنياتها والاستفادة منها إلى أبعد الحدود عن طريق الاقتصاد في النفقات وعدم التبذير والتكشف في الحياة اليومية لاسيما في حالة الحرب طويلة الامد<sup>(١)</sup>.

في ظل الحرب طويلة الامد يتطلب من العائلة إداء مهمتين اقتصاديتين أساسيتين هما تقليص معدلات الاستهلاك اليومي والقضاء على الاستهلاك المظهري أولاً وتوفير الفائض من الدخل في المصارف والمؤسسات المالية لكي يصار إلى استثماره في مشاريع التنمية ويشارك في تكوين رأس المال ثانياً. علماً بأن عملية تكوين رأس المال تساعد الدولة على توسيع الطاقة والكفاءة الانتاجية والمضي قدماً في مشاريع التنمية القومية<sup>(٢)</sup>. إضافة إلى اهميتها لسياسة الانفاق الحربي وتمويل متطلبات الحرب طويلة الامد .

بيد أن الاسرة الاعتيادية لا تستطيع القيام بمهامها الاقتصادية هذه دون ارشادها وتوجيهها وتعميق وعيها الاجتماعي والوطني وشدها إلى جو المعركة وتذكيرها بالاحطار المحدقة بالوطن والناجمة عن التحدي الاجنبي. لذا يتطلب من أجهزة الدولة والمجتمع وقادة المنظمات الجماهيرية والشعبية تكثيف جهودها وانشطتها الرامية إلى توعية العائلة ومضاعفة همتها في إداء واجباتها الاقتصادية المشار إليها أعلاه.

وعلى الرغم من عدم التزام بعض العوائل بصيغ ومناهج وممارسات ترشيد الاستهلاك الواجب اعتمادها في ظروف الحرب، إلا أن العائلة عموماً تقدم الكثير من الجهود المثمرة والبناءة في دعم المعركة اقتصادياً وتعزيز جوانبها الاخرى والحفاظ على معنويات أبنائها وقت المحن والشدائد. فالعائلة هي التي تحفز أبنائها على المشاركة في المعركة وتدفعهم إلى البذل والعطاء من أجل الوطن ، وتحفزهم على مضاعفة الانتاج ورفع نوعية الخدمات التي يقدمونها للمجتمع. كما انها تسهم في دعم

(١) المصدر السابق.

(٢) Hanson, J.L.A Textbook of Economics, 7th Edition, London, Macdōnald and Evans, 1982,P. 62.



المعركة بالاموال والمستلزمات التي تحتاجها وتؤدي دورها الفاعل في تنشئة الجيل الجديد تنشئة وطنية وقومية هادفة تمكنه من تعميق وعيه الاجتماعي والسياسي وتمتين درجة ارتباطه بالوطن والامة وتغرس عنده القيم الاجتماعية الايجابية التي يحتاجها (١) .

أضافة إلى أثر العائلة الفاعل في تحقيق الوحدة المصيرية بين الشعب والقيادة السياسية والقوات المسلحة طالما أن العائلة تدخل في تنظيم ووحدة هذه الاطراف- الثلاثة عن طريق الاثار القيمية والسلوكية التي تتركها على شخصيات أفرادها. ومثل هذه الجهود الحثيثة والفاعلة التي تبذلها العائلة إبان فترة الحرب لها أكبر الاثر في تحقيق الانتصارات على العدو وكسر شوكته وتلقينه دروساً بليغة في الشجاعة والتضحية والبطولة .

هناك أدلة مادية كثيرة تشير إلى أن العائلة العراقية قد أدت دورها المتميز في ترشيد الاستهلاك خلال فترة الحرب مع ايران. فقد قلصت العائلة مصروفاتها على المواد الغذائية والسلع الكمالية وانشطة الفراغ والترويح. وقننت استعمالها للكهرباء والماء ووسائل النقل الخاصة التي تمتلكها، ونصحت أبناءها المتزوجين بالسكن معها في بيت واحد بعد أن وسعت غرف ومرافق البيت. كما قلصت معظم العوائل عدد الولايم والدعوات التي تقيمها بين فترة واخرى، وحتى في إقامة مثل هذه الولايم فإن كمية المواد الغذائية التي تقدم فيها قد تقلصت بحدود المعقول. كذلك أخذت العائلة العراقية تقتني فقط المواد الاساسية والكمالية التي تحتاجها حاجة ماسة، وعند اقتنائها لهذه المواد فإنها تستهلكها بطريقة عقلانية تمكنها من الحصول على درجة عالية من الاشباع والاقناع .

(١) الحسن، د. احسان محمد. دور قيم الحرب في الاسرة والتنشئة الاسرية، بحث القى في الندوة العلمية حول دور الاسرة في تنمية الثقة بالنفس واتخاذ القرار. التي نظمتها وزارة التربية العراقية، خلال الفترة ٢٥-٢٦ : نيسان ١٩٨٤ .

تشير النتائج الأولية للدراسة الميدانية التي أجريتها في مدينة بغداد عام ١٩٨٦ عن " السلوك الاقتصادي للعائلة العراقية خلال فترة الحرب" والتي قابلنا فيها ٢٥٠ عائلة عراقية تنحدر من خلفيات اجتماعية متباينة في طراز معيشتها واسلوب حياتها وظروفها الاقتصادية والاجتماعية إلى أن ١٨٠ عائلة من مجموع ٢٥٠ (٧٢%) قد قلصت مصروفاتها على المواد الغذائية خلال فترة الحرب، وأن ٢١٠ عائلات من مجموع ٢٥٠ (٨٤%) قد قلصت مصروفاتها على السلع الكمالية خلال فترة الحرب، وأن ٢٢٢ عائلة من مجموع ٢٥٠ (٨٩%) قد خفضت مصروفاتها على أنشطة الفراغ والترويح خلال فترة الحرب، وأن ١٧٥ عائلة من مجموع ٢٥٠ (٧٠%) قد قننت استعمالها للكهرباء والماء والغاز ووسائل النقل والمواصلات خلال فترة الحرب، وأن ١١٥ عائلة من مجموع ٢٥٠ (٤٦%) قد أتاحت المجال لابنائها المتزوجين بالسكن معها في بيت واحد وذلك لتقليص الايجار وتكاليف بناء الدور الحديثة. علماً بأن هذه العوائل قد وسعت غرف ومرافق بيوتها لكي تكون كافية لعدد أفراد العائلة (١).

وأشارت ١٨٢ عائلة من مجموع ٢٥٠ (٧٣%) إلى أنها قللت عدد الولايم التي تقيمها بين فترة وأخرى، وقللت في الوقت نفسه كمية المواد الغذائية التي تقدمها للضيوف والمدعوين إلى هذه الولايم. وأخيراً ذكرت ١٥٥ عائلة من مجموع ٢٥٠ (٦٢%) بأنها أخذت تشتري فقط المواد الأساسية والكمالية التي تحتاجها حاجة ماسة وتعزف عن اقتناء المواد التي لا تحتاجها في حياتها اليومية. إن ترشيد الاستهلاك الذي اعتمده العائلة العراقية دعماً للمعركة قد مكنها من توفير الفائض من مدخولاتها في المصارف والمؤسسات المالية لقاء سعر فائدة معين. علماً بأن ما توفره العائلة في المصارف والمؤسسات المالية يستثمر في المشاريع الانتاجية والخدمية وبشارك في تمويل الحرب .

(١) الحسن، د. احسان محمد. السلوك الاقتصادي للعائلة العراقية خلال فترة الحرب ، دراسة غير منشورة أجريت في بغداد عام ١٩٨٦.

ومن الجدير بالملاحظة أن ترشيد الاستهلاك للمواد الأساسية والكمالية من قبل العائلة يساعد القطر في تقليل حجم الواردات وزيادة حجم الصادرات مما يترك آثاره الايجابية على وضع الميزان التجاري الخارجي<sup>(١)</sup> ويوفر العملات الصعبة المطلوبة للمضي في الحرب حتى تحقيق النصر على الاعداء..

#### ب - دور العائلة في زيادة الانتاج الاجتماعي :

لا تشارك العائلة في مهام ترشيد الاستهلاك فحسب بل تشارك أيضاً في زيادة الانتاج الاجتماعي كماً ونوعاً خلال فترة الحرب. وبالانتاج الاجتماعي نعني عملية خلق المنفعة المادية وعرض الخدمات للمواطنين بطريقة تشبع حاجاتهم اليومية<sup>(٢)</sup>. والانتاج الاجتماعي لا يتعلق بعملية خلق السلع الأساسية والثانوية فحسب بل يتعلق أيضاً بالخدمات التي يقدمها الافراد كل حسب اختصاصه ومؤهلاته للمجتمع الكبير<sup>(٣)</sup>. واجتماعية الانتاج تدل على أن المردود المادي والنفعي للسلع والخدمات لا يعود للافراد الذين يقومون بعملية الانتاج فقط بل يعود لعموم المجتمع. ولعل من المفيد أن نذكر هنا بأن زيادة الانتاج كماً ونوعاً تؤدي إلى زيادة كل من اجمالي الناتج القومي ومعدل دخل الفرد<sup>(٤)</sup>. الامر الذي يؤثر تأثيراً ايجابياً على مستويات الاستهلاك والاستثمار. فعندما يزداد حجم الانتاج ينخفض سعر البضاعة فيزداد الطلب عليها وترتفع معدلات الاستهلاك<sup>(٥)</sup>. ومن جهة ثانية نلاحظ بأن زيادة معدل دخل الفرد الناجمة عن زيادة الانتاج تؤدي إلى ارتفاع معدلات التوفير والاستثمار. إذن زيادة الانتاجية تسبب زيادة معدلات الاستهلاك والاستثمار.

تبادر العائلة عادة إلى زيادة الانتاج الاجتماعي كماً ونوعاً إبان فترة الحرب رغبة منها في دعم المعركة وتعزيز إمكانات الصمود والنصر. وهذا يكون عن طريق

(١) بوثول، جاستون. الحرب والمجتمع، ترجمة عباس الشربيني، اسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٦، ص ٦٠-٦٢.

(٢) Samuelson, P. Economics: An Introductory, Mc Graw-Hill Co., 1962, P. 502.

(٣) Benham, F. Economics, London, Sir Isaac Pit, man, 1957, P. 80.

(٤) Hanson, J.L.A Textbook of Economics, PP. 62-63.

(٥) Ibid., P. 61.

توفير المستلزمات الاقتصادية وتسهيل عمليات الانتاج ورفع مستوى الانتاج وتوفير السلع والخدمات التي تحتاجها القوات المسلحة ويحتاجها المدنيون. ومبادرة العائلة بزيادة حجم الانتاج الاجتماعي تأخذ عادة عدة مسالك في مقدمتها قيام كل فرد من أفراد العائلة بزيادة انتاجيته والحرص على إداء مهام عمله بصورة دقيقة ومتقنة والاستعداد للتضحية والتفاني في خدمة المجموع. تستطيع العائلة في ظل ظروف الحرب توجيه النصائح والارشادات لابنائها لزيادة الانتاج والتفاني في إداء الواجب وتفضيل المصلحة العامة على المصلحة الخاصة والاستعداد لاشغال دورين اجتماعيين متكاملين في آن واحد هما دور الموظف أو المهني او الطالب أو الفلاح ودور المقاتل في القوات المسلحة .

وتحت ظروف الحرب طويلة الامد تشجع العديد من العوائل أبناءها على امتهان العمل الانتاجي أو الخدمي خارج البيت لاسيما بعد زيادة الطلب الفعال على القوى العاملة النسوية نتيجة لتوجه الرجال إلى سوح التدريب وجبهات القتال لمواجهة العدو. وهنا تستطيع المرأة امتهان أنواع صنوف العمل التي كان يمارسها الرجل قبل الحرب. وتبرهن التجارب على كفاءة المرأة في اشغال عمل الرجل وأخذ دوره في المؤسسات الانتاجية والخدمية التي هي بحاجة ماسة إلى الايدي العاملة<sup>(١)</sup>. ويفضل جهود وامكانيات المرأة العراقية تمكنت المؤسسات الانتاجية والخدمية في طول القطر وعرضه من الاستمرار بعملها على الرغم من ظروف وملابسات الحرب طويلة الامد. ومن الجدير بالاشارة إلى أن نسبة القوى العاملة النسوية في العراق قد ارتفعت خلال فترة الحرب من ٢٠% في عام ١٩٨٠ إلى ٣١% في عام ١٩٨٦، والنسبة هذه في طريقها إلى الزيادة المستمرة كل عام<sup>(٢)</sup>.

(١) الثورة والحرب ، ص ٨١.

(٢) وزارة التخطيط، هيئة تخطيط القوى العاملة ، دائرة تخطيط القوى العاملة والتدريب ، بغداد ، ١٩٨٦.

وخلال فترة الحرب تتجلى في الافق ظاهرة العوائل المنتجة، هذه الظاهرة التي تميزت فيها اليابان قبل غيرها من دول العالم (١) . وبالعوائل المنتجة نعني العوائل التي تمارس أنشطة اقتصادية معينة في بيوتها، هذه الانشطة التي تكلف بها من قبل مؤسسات انتاجية أو خدمية معروفة. وسبب ممارسة هذه العوائل لانشطتها الاقتصادية داخل بيوتها يرجع إلى عدم إمكانية نساؤها وبناتها من الخروج إلى اماكن العمل والانتاج نتيجة لالتزاماتها العائلية ازاء الاطفال أو لقيمها المحافظة التي تمنع النساء والبنات من مزاوله العمل الانتاجي أو الوظيفي جنباً إلى جنب مع الرجال أو لاي عامل آخر (٢) . والعوائل المنتجة لا توجد في منطقة سكنية واحدة بل توجد في عدة مناطق سكنية، وتكون المصانع وهيئات العمل باتصال دائم معها إذ تكلفها بمهام الانتاج وهي في بيوتها. ذلك أنها توصل لها المواد الاولية او السلع نصف المنتجة وتطلب منها إداء مهام الانتاج خلال فترة زمنية معينة ولقاء أجور محددة يتفق عليها الطرفان. وبعد انتهاء العملية الانتاجية تؤخذ منها السلع المنتجة وتمنح الاجور والمكافآت التي تستحقها (٣) . من خلال العوائل المنتجة تشارك العائلة في زيادة حجم الانتاج الاجتماعي دعماً للاقتصاد الوطني وللمجهود الحربي.

إذن تتحمل العائلة مهام الانتاج من خلال تحفيز أبنائها على زيادة الانتاج كماً ونوعاً مهماً يكن موقع الانتاج ٠٠٠ في المصانع أو المؤسسات الخدمية أو بيوت العوائل ذاتها. وتتحمل العائلة في الوقت نفسه مهام الدفاع عن الوطن عن طريق اندفاع وتفاني أفرادها في حماية الوطن ودرء الاخطار المحدقة به .

ولا تتشرك العائلة في زيادة الانتاج كماً ونوعاً فحسب بل تشارك أيضاً في مهمة الانجاب من خلال تشجيع الزواج المبكر وزيادة معدلات الانجاب (٤) . فبالنسبة

(١) Vogel, E. Japan's New Middle Class, Berkeley, University of California Press, 1971, P. 195.

(٢) Ibid., P. 197.

(٣) Ibid., P. 198.

(٤) Lewis, A. Theory of Economic Growth, London, George Allen and Unwin, 1959, PP. 111-113.

للعراق شهدت فترة الحرب مع إيران، زيادة ملحوظة في معدل الزيجات وفي معدل الولادات لكل ١٠٠٠ مواطن. ومثل هذه الزيادة جاءت نتيجة حتمية للحرب طويلة الامد وللنقص السكاني الذي يعاني منه العراق بسبب اختلال التوازن بين كفة السكان وكفة الموارد والخيرات الطبيعية التي يزخر بها، لذا شاركت العائلة العراقية في زيادة حجم السكان عن طريق الزواج والانجاب . علماً بأن لزيادة حجم السكان مردوداته الاقتصادية والعسكرية والامنية التي تدعم أسس الاقتصاد القومي وتعزز القدرات القتالية للمجتمع (١) .

أما نتائج المسح الميداني عن دور العائلة في زيادة الانتاجية خلال فترة الحرب فقد ذكرت ٢١٠ عوائل من مجموع ٢٥٠ عائلة (٨٤%) تمت مقابلتها في مدينة بغداد عام ١٩٨٥ أن أفرادها لعبوا دوراً بارزاً في زيادة حجم الانتاج كما ونوعاً خلال فترة الحرب، وذكرت ٢٤١ عائلة من مجموع ٢٥٠ (٩٦%) بأنها نصحت أبناءها على زيادة حجم الانتاج وتحسين نوعيته خلال فترة الحرب ، وأشارت ٢٣٥ عائلة من مجموع ٢٥٠ (٩٤%) بأنها لا تمنع فتياتها ونسائها عن مزاولة العمل الوظيفي خارج البيت. وأخيراً ذكرت ٢١٣ عائلة من مجموع ٢٥٠ (٨٥%) بأنها تشجع فكرة الاسر المنتجة طالما أنها تؤدي دورها البارز في زيادة حجم الانتاج خلال فترة الحرب. وأشارت هذه العوائل بأنها لا تعترض على ممارسة العمل الانتاجي داخل البيوت إذا سنحت لها الفرصة لذلك (٢) . من هذه النتائج نستطيع القول بأن العائلة العراقية قد أدت دورها الفاعل في زيادة الانتاج ودعم الاقتصاد القومي لكي يكون مقتدراً على مواجهة ظروف وتحديات الحرب طويلة الامد.

(١) Ibid., See Chapter 6.

(٢) الحسن، د. احسان محمد. السلوك الاقتصادي للعائلة العراقية خلال فترة الحرب، مصدر سابق .

## ج - دور العائلة في دعم المجهود الحربي :

غالباً ما تبادر العائلة إلى دعم المجهود الحربي عن طريق التبرع بالحلي والاموال وتوفير الفائض من الاموال في المصارف والمؤسسات المالية لكي يستثمر في مشاريع التنمية القومية. وتعتمد العائلة خلال فترة الحرب سياسة النقشف في الانفاق العام والخاص لكي تحافظ على مواردها الاقتصادية وتستخدمها في أغراض التنمية والحرب. والعائلة لا تشجع أبناءها على مقاتلة العدو فحسب بل تتبرع بالاموال والممتلكات إيماناً منها بدعم الحرب اقتصادياً حيث أن الفوز في المعركة الاقتصادية لا يقل شأناً عن الفوز في المعركة العسكرية والاعلامية (١). علماً بأن الاموال التي تتبرع بها العوائل تأخذ طريقها في شراء وتهيئة الاسلحة والمستلزمات العسكرية الاخرى التي تضمن كسب المعركة وتدمير العدو والزامه بالتخلي عن اغراضه العدوانية .

ومن الجدير بالذكر أن المنظمات المسؤولة عن التعبئة الجماهيرية كالجماعات المؤسسية ووسائل الاعلام وأجهزة الدولة والمجتمع هي التي تحفز العائلة على دعم المجهود الحربي والايفاء بالتزاماتها الاقتصادية ازاء الوطن والامة .

أما نتائج المسح الميداني عن دور العائلة العراقية في دعم المجهود الحربي خلال فترة الحرب مع ايران فتشير إلى أن ٢٢٥ عائلة من مجموع ٢٥٠ (٩٠%) تمت مقابلتها في مدينة بغداد قد ذكرت بأنها تبرعت بالحلي والاموال دعماً للمجهود الحربي، وأن ١٩٦ عائلة من مجموع ٢٥٠ (٧٨%) قد اعتمدت سياسة النقشف في نفقاتها العامة والخاصة خلال فترة الحرب، وأن ١٢٢ عائلة من مجموع ٢٥٠ (٤٩%) قد وفرت الفائض من أموالها في المصارف والمؤسسات المالية لقاء سعر فائدة

(١) هيكلم، محمد حسنين. زيارة جديدة للتاريخ، ارجع إلى موضوع مقابلة المشير الركن بيرنارد مونتغمري، بيروت، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ١٩٨٥، ص ١٤٥.

معين<sup>(١)</sup>. علماً بأن ما توفره العوائل من أموال في المصارف والمؤسسات المالية يستثمر في المشاريع الانتاجية والاقتصادية بحيث تنمو وتتطور هذه المشاريع وتكون فاعلة في تلبية اقتصاد الحرب .

مما ذكر أعلاه نستنتج بأن العائلة العراقية قد أدت دورها البارز في دعم المجهود الحربي نظراً لوعيها الاجتماعي والسياسي المتعلق بدور الاقتصاد في كسب المعركة القومية. إلا أن هناك بعض العوائل لم تلتزم بالسلوك الاقتصادي الايجابي الذي تتطلبه ظروف ومعطيات الحرب طويلة الامد، وعدم التزامها هذا قد بدد بعض الموارد الاقتصادية التي يمتلكها القطر وبعثرها بحيث لم تجند في خدمة سوق المعركة، وقد آن الاوان لمثل هذه العوائل أن تلتزم بالسلوك الاقتصادي العقلاني الذي يضمن بناء الاقتصاد القومي المتين الذي يتحمل أعباء البناء والتنمية وأعباء الحرب والدفاع .

هـ - التوصيات والمقترحات لمعالجة الظواهر الاقتصادية المدانة في المؤسسة العائلية خلال فترة الحرب :

- ١- ضرورة قيام العائلة بتحقيق التوازن بين دخلها ومصروفها إذا كان دخلها محدوداً. أما إذا كان الدخل فائضاً عن حاجة العائلة فيمكن توفير الفائض في المصارف والمؤسسات المالية لكي يستثمر في مشاريع التنمية .
- ٢- الابتعاد عن الممارسات الاستهلاكية المظهرية التي من شأنها إضعاف الاقتصاد القومي في هذه المرحلة<sup>(٢)</sup> . ذلك أن التمسك بهذه الممارسات لا بد أن يسهم في أضعاف القدرة العسكرية نتيجة للترابط الوثيق بين القوة العسكرية والقوة الاقتصادية . إضافة إلى أن مثل هذه الممارسات تحول دون

(١) الحسن، د. احسان محمد. السلوك الاقتصادي للعائلة العراقية خلال فترة الحرب، دراسة سابقة .

(٢) الداهري، د. عبد الوهاب مطر. كيفية مواجهة اقتصاد الحرب ، مجلة البحوث الاقتصادية والادارية، العدد الاول، المجلد التاسع، كانون ثاني ١٩٨١، ص ٢٥.



تكوين رؤوس الاموال التي يحتاجها المجتمع في تعزيز بنائه المادي والحضاري.

٣- ضرورة قيام العائلة بخلق التوازن بين حاجتها الفعلية للمواد الغذائية وبين ما تطلبه من هذه المواد ، وعدم اللجوء إلى تخزين المواد الغذائية وتعريضها للتلوث.

٤- على العائلة الالتزام بقواعد ترشيد الانفاق العام كتقليص نفقات الماء والكهرباء والوقود والغاز.

٥- الامتناع أو تقليص شراء السلع الكمالية وغير الضرورية لان هذا يخل بميزانية الاسرة والدولة.

٦- ضرورة مبادرة العائلة بتقليص نفقاتها على بناء الدور الفخمة والامتناع عن الانفاق المظهري في هذا المجال لاسيما ما يتعلق بشراء الاثاث المستوردة من الخارج.

٧- تقليص النفقات على حفلات الولائم وعلى المناسبات كالزواج والختان والفواتح والعودة من الحج .

٨- ضرورة قيام العائلات باستخدام سيارتها الخاصة استخداماً عقلانياً وترشيد استعمال الاجهزة المنزلية الاخرى والمحافظة عليها عن طريق الاستخدام الجيد والصيانة المستمرة .

٩- أن يكون رب العائلة القدوة الحسنة في ترشيد الاستهلاك وأن يكون مدير أو رئيس المؤسسة نموذجاً جيداً في الاقتصاد والتدبير والحفاظ على موارد دائرته وتميبتها .

١٠- ضرورة قيام وسائل الاعلام الجماهيرية ببحث المواطنين على الاقتصاد في النفقات والتوفير من أجل الاستثمار حيث أن الاقتصاد في النفقات يقلل حجم الاستيراد ويحسن وضع الميزان التجاري، أما التوفير فيساعد على الاستثمار وتوسيع القاعدة الانتاجية في المجتمع .

---

---

١١- على العائلات محاربة ظاهرة انشطار العائلة حيث أن انشطار العائلة يسبب زيادة الطلب على الدور مما يؤدي إلى رفع قيمة الايجارات وزيادة تكاليف البناء. ومحاربة هذه الظاهرة تكون من خلال تشجيع سكن الابناء المتزوجين في بيوت عوائلهم الاصلية شريطة أن تكون العلاقة القرابية والاجتماعية بين العائلة الاصلية والعائلة الزوجية قوية ومتماسكة وقائمة على مبدأ التعاون والايثار المشتركة .

١٢- على المنظمات الجماهيرية والشعبية عقد الندوات واللقاءات والمحاضرات التي يمكن من خلالها تبصير المواطنين بفضيلة ترشيد الاستهلاك والمحافظة على موارد وخبرات المجتمع من التبذير والضياع، مع قيام هذه المنظمات بممارسة الرقابة الشعبية التي تضع حداً للتبذير والاستهلاك المظهري .

## الفصل الرابع عشر

### أسرى الحرب وطرق رعايتهم الاجتماعية

مقدمة تمهيدية :

يتعرض المقاتلون في الجيوش المتحاربة إلى الاسر وتقييد الحرية عن طريق الاعتقال والحجز في معسكرات الاسر أو في سجون العدو. وهناك يتعرضون إلى شتى صنوف المضايقات والمداهمات والتحديات والتجاوزات التي قد تحطم شخصياتهم وتقتل طموحاتهم وتجمد نشاطاتهم وتحولهم إلى اشخاص ذوي صفات ضعيفة وهشة وقيم مرتبكة ومتناقضة وشعور يتغلب عليه الاحباط والقنوط وخيبة الامل. وكلما يمكث الاسرى في معسكرات الحجز والاعتقال التي يسيطر عليها العدو فترة طويلة كلما تتردى أحوالهم النفسية والاجتماعية ويصبحون مغتربين لا عن مجتمعهم وجماعاتهم الاصلية فحسب بل عن أفراد العدو الذين يحتجزونهم ويفرضون عليهم القيود والشروط والمضايقات التي تذلهم وتكسر معنوياتهم وتحطم أهدافهم<sup>(1)</sup>. ويبقى الاسرى في معسكرات الاسر وسجون العدو لفترة قد تكون قصيرة أو طويلة، ولكن بانتهاء الحرب وتوقيع المعاهدات السلمية بين الاطراف المتحاربة يطلق سراح الاسرى ويذهبون إلى مجتمعاتهم التي تستلمهم كأبطال وكمقاتلين صناديد صمدوا وضحوا وقدموا الشيء الكثير من أجل شعوبهم وأوطانهم ومبادئهم وقيمهم .

وحال وصول الاسرى إلى مجتمعهم تستقبلهم اللجان المسؤولة استقبال الابطال ثم تبدأ بتصنيفهم إلى مجاميع معينة حسب درجة تأثرهم بدعايات العدو

(1) Brown, J.A. Techniques of Persuasion, A. Pelican Book, Middlessex, England, '963, PP. 244-246.

وضغوطه وأساليبه الابتزازية والتعسفية، فهناك الاسرى المتأثرون بأساليب ودعايات وضغوط العدو التي استعملها ضدهم، وهناك الاسرى قليلو التأثير، وأخيراً هناك الاسرى غير المتأثرين (١). وبعد تصنيف الاسرى لهذه المجاميع تتعرض كل مجموعة إلى منهاج نفسي واجتماعي وتأهيلي وتروحي خاص ينطبق مع ظروفها ومشكلاتها وواقعها. وبعد انتهاء فترة المنهاج يطلب من الاسرى الذهاب إلى أهلهم وذويهم ومجتمعهم المحلي لقيادة حياة اجتماعية ومهنية جديدة (٢). وعن هذا الطريق تتم عملية تكيف الاسرى وإعادة تنشئتهم وتأهيلهم من جديد بحيث يصبحون مواطنين اعتياديين يعتز ويفتخر بهم المجتمع .

ان هذا الفصل يتناول أربعة مباحث أساسية هي :

- أ- من هم أسرى الحرب ؟
  - ب- الاوضاع الاجتماعية والنفسية لاسرى الحرب .
  - ج - الاساليب التي يستعملها العدو ضد أسرى الحرب .
  - د - الرعاية الاجتماعية لاسرى الحرب .
- أ- من هم أسرى الحرب ؟

أسير الحرب بموجب اتفاقية جنيف لعام ١٩٤٩ هو كل فرد من أفراد القوات المسلحة التابعة لاحد أطراف النزاع الذي يقع في قبضة الطرف المعادي (٣).

وتناولت المادة الرابعة من الاتفاقية تحديد فئات الافراد الذين ينطبق عليهم وصف أسرى الحرب الذين يقعون في أيدي العدو، وهذه الفئات من الافراد هي :

- ١ - أفراد القوات المسلحة التابعين لاحد أطراف النزاع وكذلك أفراد الميليشيا المتطوعة التي تعدّ جزءاً من هذه القوات .

(١) الحسن، د. احسان محمد. أساليب وفنون تكيف الاسرى العائدين، بغداد، ١٩٨٨ (دراسة غير منشورة)، ص ٣.

(٢) عريم، عبد الجبار. السجنون الحديثة، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٦٧، ص ١١-١٢.

(٣) اتفاقية جنيف الخاصة بأسرى الحرب لعام ١٩٤٩، الامم المتحدة ، نيويورك .

- ٢- أفراد المقاومة الشعبية والجيش الشعبي المتجحفلين مع القوات المسلحة أو المتواجدين في الاراضي التي يحتلها العدو والذين يقبض عليهم العدو لسبب أوآخر شريطة أن يكون هؤلاء المقاتلون بقيادة أمر مسؤول، أو يكون لهؤلاء علامات أو باجات عسكرية مميزة، ويحملون أسلحة قتالية بشكل ظاهر، وتطبق قوانين الحرب وتقاليدھا على عملياتهم الحربية في المناطق التي أسروا فليھا .
- ٣- أفراد القوات المسلحة النظامية الذين يعلنون ولاءهم لحكومة أو سلطة لا تعترف بها الدولة الحاجزة .
- ٤- الاشخاص الذين يرافقون القوات المسلحة دون أن يكونوا جزءاً منها كالمراسلين الحربيين ومتعهدي التموين وفرق الترفيه والتسلية شريطة أن يكون لديهم تصريح خاص .
- ٥- طواقم البواخر التجارية وملاحو الطائرات المدنية التابعين لاطراف النزاع.
- ٦- سكان الاراضي غير المحتلة الذين يحملون السلاح وفق إرادتهم الحرة ويستعملونه ضد العدو عند اقترابه من أراضيهم .
- ٧- الاشخاص الذين يتبعون أو كتانوا تابعين للقوات المسلحة الخاصة بالاراضي المحتلة إذا رأت دولة الاحتلال ضرورة اعتقالهم بسبب ولاءهم وعلى الاخص إذا قاموا بمحاولة فاشلة للانضمام للقوات المسلحة التي يتبعونها والمشتبكة في القتال .
- أما الاشخاص الذين يقعون في أيدي العدو ويستبعدون من عداد أسرى الحرب فهم :
- ١- الجواسيس الذين يقدمون المعلومات اللازمة عن جيش العدو وخططه وما إلى ذلك من المعلومات التي تفيد الدولة في حريھا مع العدو .
- ٢- الاشخاص الملتحقون بقوات العدو نتيجة للخلاف بينهم وبين حكومتهم المتحاربة .

### ٣- المرتزقة .

وعند وقوع المقاتل في الاسر يجرى من سلاحه وتنتزع رتبته العسكرية ويساق من قبل أفراد العدو إلى الخطوط الخلفية لجبهة القتال كيما تتخذ الاجراءات المناسبة لنقله من جبهة القتال إلى معسكر الاعتقال أو زنزانة الحجز والتوقيف أو إلى السجن المعد لاستقباله والاقامة فيه لفترة غير محددة تعتمد على استمرار الحرب أو ايقافها والتوقيع على اتفاقية تبادل الاسرى والمحتجزين وذلك للاعتبارات التالية :

١- امتلاك الاسير للمعلومات عن الحالة التسليحية والتعبوية والنفسية والاجتماعية والاقتصادية لقواته المسلحة بصورة خاصة ومجتمعه بصورة عامة<sup>(١)</sup>. ومثل هذه المعلومات تكون مفيدة للدولة المحتجزة حيث تعتمد عليها في إعداد نفسها عسكرياً واقتصادياً ونفسياً لمواجهة الدولة المتحاربة معها، مع احتمالية امتلاك الاسير للخرائط والخطط والادلة والمستمسكات والوثائق عن جيشه ومجتمعه .

٢- إن عدد الاسرى عند الدولة المحتجزة لا بد أن يقوي جانبها في المفاوضات التي تعقدتها مع الدولة المتحاربة معها. فهي تستعمل الاسرى ورقة ضاغطة ضد العدو ، ورقة تلزمه على الرضوخ لمطالبها وشروطها وخططها .

٣- كلما ازداد عدد الاسرى عند الدولة المحتجزة كلما كان ذلك مؤشراً لقوتها وصمودها وردعها وقابليتها على تحقيق الانتصار وحسم الحرب لصالحها.

٤- إن عدد الاسرى الذين تتكبدهم الدولة المتحاربة يضعفها ويقلل امكاناتها القتالية ويكسر معنويات مقاتليها .

(١) الدفاعي، د. ماجد حمزة. الرعاية الاسرية اللاحقة للاسير العائد، مؤتمر دور التربية في مواجهة متطلبات مجتمع ما بعد الحرب، كلية التربية- جامعة بغداد للفترة ١٦-١٧/١/١٩٨٩، ص ٢.

وعندما يقع المقاتل في الأسر يكون تحت رحمة العدو، فالعدو يعامله كما يشاء ويفرض عليه ويقوده إلى أي مكان يشاء. وما على الأسير في هذه الحالة إلا إطاعة العدو والامتثال لارادته حتى ولو كانت هذه غير عقلانية وبعيدة عن المبادئ والقيم الانسانية والحضارية. وإذا لم يذعن الأسير لأوامره ومطالب العدو فإن العدو لا يتردد عن استعمال أقسى الأساليب ضده لحمله على الانصياع لارادته وأوامره ومطالبه ونزواته (١). لكن للأسير حقوق وحرمان تقرها اتفاقية جنيف لعام ١٩٤٩. فالمادة ١٤ من هذه الاتفاقية تنص على ضرورة احترام أسرى الحرب وصيانة شرفهم، وتشير إلى ضرورة احتفاظ أسرى الحرب بكامل أهليتهم المدنية التي كانوا يتمتعون بها قبل وقوعهم في الأسر (٢). أما المادة ١٧ التي تتعلق باستجواب الأسرى فإنها تحدد التزام كل أسير بالادلاء فقط باسمه الكامل ورتبته العسكرية وتاريخ ميلاده ورقمه في الجيش. وتضيف نفس المادة أنه لا يجوز استعمال التعذيب البدني أو النفسي ضد أسرى الحرب في محاولة لانتزاع المعلومات منهم مهما يكن نوعها (٣). كما ينبغي توفير الحماية الكافية لاسرى الحرب من قبل الدولة المحتجزة ومعاملتهم معاملة انسانية وتلبية كافة احتياجاتهم المادية والاجتماعية والروحية.

#### ب - الأوضاع النفسية والاجتماعية لاسرى الحرب :

يتعرض أسرى الحرب عادة إلى أوضاع نفسية واجتماعية عصيبة لاسيما اذا كان العدو ظالماً وقاسياً وصلباً وجاهلاً. فمثل هذا العدو يخلق الأوضاع النفسية والاجتماعية السلبية والقاهرة للاسرى، هذه الأوضاع التي يتمخض عنها تصدع شخصياتهم وتحطيم آمالهم وضعف ثقتهم بأنفسهم وكسر معنوياتهم، وإصابتهم بالعقد والادران الاجتماعية وتحلل قيمهم الاجتماعية وتناقض طموحاتهم مع واقعهم المليء بالاحطار والتحديات والمخاوف والتقاطعات، وأخيراً وقوع القطيعة بينهم وبين المجتمع

(١) Brown, J.A. Techniques of Persuasion, See Ch. 11.

(٢) اتفاقية جنيف الخاصة بأسرى الحرب لعام ١٩٤٩، المادة (١٤).

(٣) المصدر السابق، المادة (١٧).

نتيجة عزلتهم وانفصالهم وضياعهم وتبدد طموحاتهم وأهدافهم<sup>(١)</sup> يعلماً بأن مثل هذه الأوضاع النفسية والاجتماعية السيئة التي يعيشها الاسرى تترك آثارها وبصماتها الواضحة على الاسرى إلى درجة يصعب عليهم التحرر منها والانعتاق من سلبياتها إلا بعد فترة طويلة من اطلاق سراحهم وإعادة تنشئتهم وتأهيلهم إلى الحياة الاجتماعية لمجتمعهم الاصلي.

عند وقوع المقاتل في الاسر تتنابه حالة نفسية صعبة لم يتعرض لها في حياته من قبل. وهذه الحالة يمكن تفسيرها بأربع مظاهر نفسية هي كالآتي:

- ١- شعوره بعقدة الذنب والاثم حيث لم يتمكن من تحقيق أهدافه العسكرية ولم يفلح في ابادته العدو بل على العكس تمكن العدو من قهره والسيطرة عليه.
- ٢- إحساس المقاتل بأن وقوعه في الاسر سيترك المجال للعدو بتدنيس تراب وطنه والتعرض لمقدسات أمته وشرف أبنائه واخوانه وأهله. وهذا الاحساس يدفعه إلى الاعتقاد بأنه السبب في كل ذلك، لذا يبدأ الاسير باحتقار ذاته والاندفاع نحو معاقبتها. وهنا يكون عرضه للأمراض النفسية كالقلق والتوتر العصبي والكآبة والهوس والعصاب.
- ٣- شعور الاسير بأن مستقبله مجهول، وأن مجهولية مستقبله جعلته فريسة لليأس والخوف من المستقبل<sup>(٢)</sup>. فهو لا يعرف ماذا سيحل به غداً وما هو مستقبله ومستقبل طموحاته لاسيما عندما يحس بأنه سلب الارادة ومقيد الحرية وواقع تحت طائلة الحجز والمراقبة والتشكيك والتجريح .
- ٤- هبوط معنوية الاسير وانكسار حالته النفسية واحساسه بالعجز وفقدان الارادة لانه فشل في مهمة القتال ولم يستطع التصدي للعدو. وصرعه، بل على

(١) الدفاعي، د. ماجد حمزة. الرعاية الاسرية اللاحقة للاسير العائد، ص ٧.

(٢) المصدر السابق، ص ١١.



العكس تمكن العدو منه فضرعه وقيدته وكبله بالاسلاك وأخذ يهدد حياته وآماله بالموت والفناء.

ولا تقتصر حالة الاسر التي يجد الاسير نفسه بها على النواحي والمظاهر النفسية فحسب بل تتعداها إلى النواحي والمظاهر الاجتماعية التي يمكن إجمالها بأربع نقاط أساسية هي :

- ١- اغتراب الاسير منذ الوهلة الاولى عن أهله وجيرانه واصدقائه (١) . فأسره لا يمكنه من مشاهدتهم ولا يمكنهم من مشاهدته . ومثل هذا الاغتراب يحطم الحياة الاجتماعية للاسير ويفسد أركانها الاساسية .
- ٢- اغتراب الاسير عن جماعته القتالية الاصلية، واغترابه في ذات الوقت عن جماعة العدو التي تحتجزه وتتحدى وجوده. ومثل هذا النمط من الاغتراب يعرض الاسير إلى عقدة عدم الانتباه، هذه العقدة التي تتفاقم مظاهرها إلى درجة أن الاسير يفقد ميزاته الاجتماعية ويتحول إلى كائن تسيطر عليه نوازع الانسحاب الاجتماعي واللامبالاة وضعف الثقة بالآخرين (٢) .
- ٣- عدم ممارسة الاسير لدوره الوظيفي التقليدي الذي كان يؤديه قبل أسره، مع صعوبة تكيفه لدوره الجديد الذي هو دور الاسير. ومثل هذه الحالة تؤدي إلى عدم استقرار الاسير وسوء تكيفه مع الظروف الجديدة التي يعيشها .
- ٤- يتعرض الاسير إلى حالة اجتماعية صعبة تلك هي غياب الجماعات المرجعية التي كان ينتمي اليها ويتفاعل معها قبل وقوعه في الاسر، وهذه الجماعات المرجعية تتمثل بالاسرة والمجتمع المحلي ووسائل الاعلام الجماهيرية والمؤسسات الدينية والمنظمات الجماهيرية والشعبية. وفي حالة غياب هذه الجماعات فإن الاسير يكون عرضة للمنبهات المقصودة أو القوى

(١) محمد، جميل مهدي. اغتراب أسرى الحرب، مؤتمر دور التربية في مواجهة متطلبات مجتمع ما بعد الحرب

المنعقد في كلية التربية - جامعة بغداد للفترة ١٦-١٧/١/١٩٨٩، ص ٣.

(٢) المصدر السابق، ص ١٠-١١.

الخارجية التي يؤثر العدو من خلالها على عقلية الفرد وسلوكيته بحيث تكون متجاوبة مع نوايا العدو ومخططاته الرامية إلى تحطيم شخصية الاسير وقتل مبادئه وقيمه وكسر معنويته وتطويعه لما يريده العدو ويطمح اليه. هذه هي أهم المظاهر النفسية والاجتماعية التي يشعر بها أسرى الحرب حال وقوعهم في الاسر. يضاف إلى هذه المظاهر الذاتية والموضوعية جملة القيود والضغوط والتحديات التي يفرضها العدو على الاسرى للتأثير فيهم وحملهم على كشف الاسرار المتعلقة بقواتهم المسلحة ومجتمعهم وغسل دماغهم بحيث يصبحون أدوات مسخرة بيد العدو (١). وتتجسد هذه القيود والمضايقات بمنع الرسائل وقطع المواد الغذائية عنه وتعذيبهم وضرب الحصار عليهم ومنعهم من الاتصال والتفاعل مع بقية الاسرى وتوصيل الاخبار الكاذبة والمشوهة عن اقطارهم والتي تزرع عندهم اليأس والجزع والقنوط (٢). والاسير في مثل هذه الظروف الصعبة يكون قد جرد من اتخاذ أي قرار يتعلق بمأكله وملبسه ورعايته الصحية ومزاولة أنشطة العمل والفراغ. وهنا يشعر الاسير بأنه مسير ومسخر وعاجز عن اتخاذ أي قرار يخص واقعه الآني. ناهيك عن عدم قدرته على تحديد مستقبله ومصيره. إن حالة العجز التي يشهدها الاسير تجعله يمر بأزمة متناوية من التفاوض والتشاور دون استطاعته الابقاء على أي من هاتين الحالتين. وأمور كهذه قد تحطم شخصية الاسير وتزرع فيها حالة الاضطراب وعدم الاستقرار والتشردم .

#### ج - الاساليب التي يستعملها العدو ضد أسرى الحرب :

هناك نوعان من الدول المحتجزة للاسرى، الدول التي تطبق نصوص اتفاقية جنيف لعام ١٩٤٩ في تعاملها مع الاسرى، وتستعمل الاساليب الانسانية معهم وتحترمهم وتعطف عليهم وتعتبرهم غايات بحد ذاتهم وتراعي شعورهم وأحاسيسهم وتدافع عن حقوقهم وترحمهم وتعطف عليهم، وأخيراً تسلمهم إلى دولهم حال انتهاء

(١) Brown, J. A. Techniques of Persuasion, PP. 267-269.

(٢) الدفاعي، د. ماجد حمزة. الرعاية الاسرية اللاحقة للاسير العائد، ص ١٢.

الحرب والتوقيع على اتفاقية السلام وتبادل الاسرى بدون ماطلة أو تأخير أو تسويق. وهذه الدول يمكن أن تتمثل بالعراق في تعامله مع الاسرى الايرانيين<sup>(١)</sup> وبالهند في تعاملها مع الاسرى الباكستانيين وبمصر في تعاملها مع الاسرى الاسرائيليين. والدول التي تنتكر لاتفاقية جنيف وتضرب نصوصها عرض الحائط إذ تعتمد أساليبها الهمجية وصيغها البربرية في التعامل مع الاسرى. فهي لا تحترمهم وتعتبرهم وسيلة لتحقيق غاياتها وطموحاتها الانانية وتعدي على حقوقهم وتظلمهم وتعاملهم معاملة سيئة لا تقرها الاتفاقيات والمواثيق الدولية. كما انها لا تتردد عن توجيه التهم والاهانات لهم ولا تتردد عن ضربهم والتكيل بهم وتعذيبهم وتصفيتهم الجسدية بل وحتى قتلهم والقضاء على حياتهم بصورة همجية وبشعة وهذه الدول تتمثل خصوصاً بالكيان الصهيوني في تعامله مع الاسرى العرب وایران في تعاملها مع الاسرى العراقيين<sup>(٢)</sup>.

فالكيان الصهيوني وایران يستعملان تقريباً نفس الاساليب الزجرية واللاانسانية مع الاسرى الذين تحتجزهم. إن هناك أدلة مادية تكشف بأن الكيان الصهيوني يستعمل شتى الاساليب القمعية واللاأخلاقية مع الاسرى كتعذيبهم وتهديدهم وابتزازهم من أجل الحصول على المعلومات منهم. كما أن هذا الكيان يستعمل أساليب غسل الدماغ والرجات الكهربائية للتأثير على أفكار وقيم وأخلاق وشخصيات الاسرى. إضافة إلى اذلال الاسرى وتجويعهم والتكسر لابسط حقوقهم والتهديد بقتلهم وتصفيتهم الجسدية وقهرهم والتهديد بقتلهم وتصفيتهم الجسدية إذا لم يذعنوا لارادة ومطالب ومطالب وأوامر أركان النظام .

(١) الحسن، د. احسان محمد. الاساليب التي تستعملها ايران ضد الاسرى. العراقيين، دراسة منشورة في جريدة

الثورة، الملحق الاسبوعي الصادر بتاريخ ١٩٨٢/١/٦، ص ٩٥ .

(٢) المصدر السابق .

أما الايرانيون فلقد استعملوا أنواع الاساليب الهمجية والعدوانية واللائسانية مع الاسرى العراقيين كما تشير لذلك الحقائق المادية عن تعاملهم مع الاسرى العزل. فالايرانيون غدروا بالاسرى العراقيين وغمطوا أبسط حقوقهم وحولوا حياتهم الى جحيم لا يطاق واستعملوا أساليب غسل الدماغ ضدّهم وعذبوهم. إضافة إلى قيامهم بابتزاز الاسرى وتهديدهم وتخويفهم وتجويعهم واتهامهم والتشكيك بنواياهم ومقاصدهم والتعمد باذلالهم وكسر معنوياتهم. كما أنهم قتلوا الاسرى العزل بعد ربطهم بالحبال أو بتر أوصالهم أو دفنهم أحياء أو أخذهم إلى اماكن مكشوفة وخالية من السكان واطلاق النار عليهم وتركهم في العراء أمواتاً دون دفنهم .

كما استعمل الايرانيون العديد من الاساليب النفسية اللاانسانية والانتقامية ضد أسرى الحرب العراقيين والتي يمكن إجمالها بالنقاط التالية :

- ١- كسر معنوية الاسير وتحطيم شخصيته عن طريق اذلاله واهانتة وعدم توفير أبسط المستلزمات التي يحتاجها في حياته اليومية (١) .
- ٢- تقييد حرية الاسير وتخويفه والضغط عليه وتهديده بغية الحصول على المعلومات منه .
- ٣- تجويع وتعذيب الاسير وابتزازه وخداعه والكذب عليه بقصد دفعه إلى التخلي عن أفكاره وقيمه ومبادئه ليسقط إلى مستويات متدنية ومنحطة .
- ٤- استعمال اساليب غسل الدماغ بقصد تغيير أفكار الاسرى ومعتقداتهم وجعلهم أدوات طيعة .
- ٥- تشويه الحقائق وحجبها عن الاسرى، والتعمد بتزويدهم بأخبار ومعلومات تتقاطع مع ما يحملونه من حقائق وخبر وتجارب. والغاية من هذا الشيء هي

(١) كاظم، عباس احمد. الرعاية النفسية والاجتماعية للاسرى العراقيين العائدين من الاسر، مؤتمر دور التربية في مواجهة متطلبات مجتمع ما بعد الحرب المنعقد في كلية التربية - جامعة بغداد للفترة ١٦-١٧/١/١٩٨٩، ص ٢٠.

قتل معنويات الاسير وتفتيت شخصيته والتعرض لمنظومة البيانات والحقائق التي يحملها.

أما الاساليب الاجتماعية للانسانية والقمعية التي استعملها الايرانيون ضد الاسرى العراقيين فهي :

- ١- عزل الاسير عن بقية الاسرى وعدم السماح له بالاختلاط والتفاعل مع الآخرين. ومثل هذا العمل يتعارض مع انسانية الاسير وحياته الاجتماعية والحضارية .
- ٢- التعرض المتعمد للقيم الاجتماعية الايجابية التي يحملها الاسرى كالصدق والاخلاص في العمل والتعاون والايثار والشجاعة والثقة العالية بالنفس والصبر . . . الخ. بغية تفتيتها وتحطيمها ، مع محاولة زرع القيم السلبية والمخرية في شخصيته كالانانية وحب الذات والاتكالية والكذب والغش والجبن والتهور والطائفية والتحيز والتعصب والغدر وجلب الضرر للآخرين . . . الخ.
- ٣- محاولة تحويل السلوك عند الاسير من سلوك عقلائي منضبط إلى سلوك انفعالي طائش ومتهور، مع تحويل أنماط العلاقات الانسانية التي يكونها الاسير مع الآخرين من علاقات ايجابية إلى علاقات سلبية ومن علاقات تعاونية إلى علاقات تنافسية ومن علاقات ملتزمة وشريفة إلى علاقات متشردمة ولا أخلاقية .
- ٤- تدريب وتلقين الاسير العديد من الاساليب السلوكية والتفاعلية المرفوضة والمدانة كالفنفاق وافشاء الاسرار ونقل الاخبار والتجسس على الآخرين والهمز واللمز والتبئيس وخيانة الوطن وكراهية التراث والتاريخ (١) . . . الخ .

(١) المصدر السابق، ص ٢١.

٥- حمل الاسير على التنكر لاهله وعائلته واصدقائه، ودفعه إلى التصل عن وطنه وأمه وتحويله إلى كائن ذليل يخدم الاجنبي ويرتمي في احضانه ويحتمي في ظله .

كما استعمل الايرانيون العديد من الاساليب المرفوضة ضد الاسرى العراقيين كترديد الشعارات المعادية للوطن ودس العملاء والشتم والجلد والطائفية والتجويع والضرب الشديد وقتل بعض الاسرى أمام الاسرى الآخرين والاكراه لاستخلاص المعلومات... الخ (١) .

أما الآثار التي تمخضت عنها هذه الاساليب النفسية والاجتماعية الهمجية والالانسانية التي استعملها الايرانيون ضد الاسرى العراقيين فهي القلق النفسي والتوتر العصبي والاضرار الجسدية والشعور بالخذلان وخيبة الامل والالم والحيرة واليأس والاكتئاب. إضافة إلى الاحساس بالدونية من قبل الاسير وضعف ثقته بالآخرين وضعف الارادة وضعف الشعور بالامان والطمأنينة وتأنيب الضمير والغضب واحتقار الذات والانهاك الجسدي والعصبي والاحساس بالعجز والوقوع في التناقض واللامبالاة(٢) . وأخيراً تركت الاساليب الالانسانية التي اعتمدها الايرانيون ضد الاسرى العراقيين آثاراً مخرية أخرى هي الانسحاب الاجتماعي وضعف الثقة بالنفس وضعف الامل في الحياة والكسل والخمول والترهل والوهن وضعف الدافعية للعمل وضعف القدرة الجنسية وتصديق الشائعات وضعف الروح المعنوية وضعف القدرة على الحركة وضعف القدرة على التركيز والاصابة بأمراض الانقباض والضييق والهوس والهستيريا والتلعثم في الكلام وانفصام الشخصية والكآبة والاضطرابات السلوكية والاسهال الدائم

(١) المصدر السابق، ص ٢٣ .

(٢) الدفاعي، د. ماجد حمزة. الرعاية الاسرية اللاحقة للاسير العائد، ص ١١ .

والوسوسة والتشكيك بنوايا ومقاصد الآخرين والقلق العصابي والذفرزة وحدة المزاج والخوف من المستقبل والتشاؤم المزمّن والصرع ٠٠٠ الخ<sup>(١)</sup>.

#### د - الرعاية الاجتماعية لاسرى الحرب :

قبل منح الاسرى الرعاية الاجتماعية التي يستحقونها لاسيما بعد اطلاق سراحهم عند انتهاء العمليات العسكرية والتوقيع على معاهدة السلام وتبادل اسرى الحرب بين الطرفين أو الاطراف المتحاربة ينبغي استقبالهم أولاً وتصنيفهم ثانياً واحالتهم إلى مراكز أو معسكرات رعاية الاسرى لتتم عملية معالجتهم وإعادة تكييفهم وتأهيلهم ثالثاً ومن ثم يسمح لهم بالذهاب إلى عوائلهم لتتولى هي من جانبها رعايتهم والاهتمام بهم وزجهم في الحياة الاجتماعية للعائلة والمجتمع. وأخيراً يحال بعض الاسرى إلى مراكز الرعاية الصحية والاجتماعية والتأهيلية التي تتولى تقديم الرعاية لهم بغية مساعدتهم على التكيف مع المجتمع وقيادة حياة طبيعية وصحية في وسطه، حياة يشعر في ظلها الاسير بأنه مقيم ومقدر ومحترم من قبل الجميع، ويشعر في ظلها المجتمع بأنه حمى الاسرى وقدم لهم الرعاية الانسانية التي يحتاجونها كأشخاص ضحوا من أجل وطنهم وأمتهم وحضارتهم .

علينا في هذه الدراسة بحث المراحل النظامية التي يمر بها الاسرى ابتداءً من عملية تسليمهم من قبل العدو ومروراً بعملية تصنيفهم وإعادة تكييفهم وتأهيلهم وانتهاءً بعملية رعايتهم من قبل اسرهم ومن قبل مؤسسات الرعاية الاجتماعية التي تشرف عليها الدولة وتحدد سياستها وتديرها .

#### ١ - استقبال وتصنيف الاسرى :

تتم عادة عملية تسليم واستلام الاسرى بحضور لجان متخصصة من كلتي الدولتين المتحاربتين وياشراف ممثلي الصليب الاحمر والامم المتحدة . وعند استلام الاسرى من قبل لجان إحدى الدول المتحاربة يؤخذون إلى مراكز الاستقبال. وهناك

(١) المصدر السابق، ص ١١-١٢.

تجري لهم حفلة استقبال يشارك فيها المسؤولون والقادة العسكريون. وفي هذه الحفلة تلقى الكلمات الحماسية التي تثنى أعمال وبطولات الاسير وصموده في سجون ومعتقلات العدو وتعدده بالرعاية والاهتمام الكبيرين وتؤكد على دوره المتميز في المجتمع لاسيما وأنه سيكون محط تقدير واحترام الجميع نظراً للتضحيات والعطاءات التي قدمها لوطنه وأمه خلال الظروف الصعبة والقاهرة التي مر بها<sup>(١)</sup>. وبعد الانتهاء من حفلة الاستقبال تتولى اللجان المختصة فحص الاسرى والاطلاع على ظروفهم ومشكلاتهم لكي تتم عملية تصنيفهم واحالتهم إلى اللجان الاختصاصية التي تشرف على اعادة تكييفهم ورعايتهم .

ومن الجدير بالذكر أن الاسرى قبل تصنيفهم يودعون في معسكرات استقبال الاسرى لمدة يومين أو ثلاثة أيام. وفي هذه المعسكرات يمنحون العناية الطبية ووجبات الطعام وتسهيلات النوم والراحة والترويح والنظافة والاستحمام . وخلال بقائهم في هذه المعسكرات يصنفون من قبل اللجان المختصة إلى ثلاث فئات وفق درجة تأثرهم بممارسات العدو وأساليبه الدعائية وأفكاره وعقائده وانماط حياته. والفئات التي يصنف إليها الاسرى هي كالاتي :

- أ- الاسرى المتأثرون .
  - ب- الاسرى شبه المتأثرين .
  - ج - الاسرى غير المتأثرين .
- وقد يصنف الاسرى وفق حالتهم الصحية إلى ثلاث فئات هي :
- أ- الاسرى المعوقون وشديدي العجز .
  - ب- الاسرى المرضى .
  - ج - الاسرى الاصحاء .

كما وقد يصنف الاسرى حسب رتبهم العسكرية إلى ثلاث فئات هي :

(١) الحسن.د. احسان محمد. اساليب وفنون تكييف الاسرى العراقيين ، ص ٩ .



أ- الاسرى الضباط .

ب- الاسرى المراتب .

ج - الاسرى الجنود (المكلفون) .

لو أخذنا التصنيف الاول من الاسرى نلاحظ بأن الاسرى المتأثرين بأفكار وممارسات ودعايات العدو يبقون فترة أطول في مراكز التكييف وتعطى لهم برامج تكييفية وتأهيلية وتنقيفية واجتماعية وترويحية تختلف عن تلك التي تعطى للاسرى شبه المتأثرين أو للاسرى غير المتأثرين فيبقون في مراكز الحجز فترة متوسطة لا تزيد عن الشهر الواحد. بينما لا يمكث الاسرى غير المتأثرين في معسكرات التكييف أكثر من أسبوع (١) .

## ٢- الاحالة وبرامج اعادة التكييف والتأهيل :

بعد تصنيف الاسرى إلى المجاميع الثلاث يحالون إلى مراكز التكييف وإعادة التأهيل المعدة خصيصاً لهم والتي قد تكون في معسكرات الاستقبال أو قريبة منها أو قد تكون في مؤسسات خاصة داخل المدينة. علماً بأن كل مجموعة من المجموعات الثلاث تفصل عن المجموعات الاخرى وتحال إلى مراكز تتلاءم مع طبيعتها وظروفها ومشكلاتها . وفي هذه المراكز تتم عملية اعادة التكييف والتأهيل من قبل الكوادر النفسية والاجتماعية والطبية والتعليمية والثقافية والفكرية المعدة لهذا الغرض . فالاسرى المتأثرون بأفكار وقيم وممارسات العدو يحالون إلى مراكز تكييفية وتأهيلية متخصصة يبقون فيها لمدة لا تقل عن الشهرين. وخلال مكوثهم في هذه المراكز يعطون برامج مكثفة في التوجيه الفكري والسياسي، والتنشئة الاجتماعية والسياسية ، والعادات والتقاليد والقيم ، والمثل والاخلاق، والتاريخ والتراث العربي الاسلامي ، والمدنية والحضارة العربية .

(١) المصدر السابق، ص ١٧ .

وهذه البرامج تكون على شكل محاضرات ومناقشات وكتابة تقارير . كما تتولى المراكز هذه منح الاسرى الرعاية الصحية والطبية التي يحتاجونها والخدمات الاجتماعية التي تتطلبها ظروفهم ومشكلاتهم الخاصة. إضافة إلى منحهم دروساً عملية في الاعمال والمهن التي يرغبون بممارستها بعد انتهاء فترة التكيف. وأخيراً ينظم لهؤلاء الاسرى برامج تروحية تتلاءم مع قابلياتهم وأعمارهم وأذواقهم ومزاجهم كالالعاب الرياضية والانشطة الفنية والزيارات إلى الاماكن التراثية والتاريخية في المجتمع ومشاهدة العروض الاليقاعية والسينمائية والتلفزيونية ٠٠٠ الخ.

أما الاسرى شبه المتأثرين فيعطون نفس البرامج ولكن لفترة أقصر . بينما تركز البرامج التكوينية والتأهيلية التي تخصص لجماعة الاسرى غير المتأثرين على أنشطة الفراغ والترويح والاطلاع على أهم التغييرات التي طرأت على معالم حضارة المجتمع خلال فترة الاسر. إضافة إلى اعادة تأهيل هؤلاء الاسرى على الاعمال التي يرغبون بمزاومتها بعد اطلاق سراحهم في المجتمع .

ولعل من المفيد أن نشير هنا إلى أن البرامج التي تعد لهؤلاء الاسرى قد تكون فردية أو جماعية. فالفردية تتبع من اختصاص خدمة الفرد، ذلك الاختصاص الذي يتوخى تقديم الرعاية النفسية أو الاجتماعية أو الطبية أو التروحية إلى الفرد الذي يحتاجها من قبل الاختصاص مهما يكن موضوع تخصصه (١). أما البرامج الجماعية فيهتم بها اختصاص خدمة الجماعة، ذلك الاختصاص الذي يتوخى تكيف الافراد للجماعة لكي تكون الجماعة فاعلة في المهام والمسؤوليات التي تضطلع بها (٢). وبعد اكمال دورة البرامج التكوينية والتأهيلية التي يأخذها الاسرى كافة يطلق سراحهم فيذهبون إلى عوائلهم التي بدورها تتحمل المزيد من المهام والاعباء التكوينية التي من شأنها أن تعمق درجة تكيف الاسرى لبيئتهم ومجتمعهم الاصلي.

(١) علي، صباح الدين. الخدمة الاجتماعية، مؤسسة المطبوعات الحديثة، القاهرة، ١٩٦٠، ص ٨٣-٨٤.

(٢) المصدر السابق، ص ١٣٢-١٣٣.

### ٣- دور العائلة في تكييف واستقرار الاسرى العائدين:

تؤدي العائلة دورها الكبير في عملية تكييف الاسرى العائدين إلى مجتمعهم الاصلي شريطة أن تكون العائلة واعية بالتزاماتها تجاه أبنائها الاسرى ومتمرسه بأساليب عادة تكييف وتأهيل الاسرى. ولكي تكون العائلة مزودة بأساليب وفنون تكييف الاسرى لمجتمعهم الاصلي ينبغي على المنظمات الجماهيرية والشعبية ووسائل الاعلام تثقيف العائلة بطرق اعادة تكييف وتأهيل الاسرى لكي تعتمد العائلة في تكييف الاسرى لمحيطها والمحيط الذي ينتمون اليه ويتفاعلون معه. أما المهام التكيفية التي تتحملها العائلة ازاء الاسرى العائدين فتأخذ السياقات الآتية :

- ١- مناداة الاسير باسمه كلما أمكن ذلك لتخليصه من الرقمية في المناداة .
- ٢- النظر إلى الاسير نظرة مليئة بالتقدير والإعجاب لأنه ضحى الشيء الكثير ولاقى أنواع الاضطهاد والتعسف والتكيل على يد أفراد العدو من أجل الوطن والأمة<sup>(١)</sup> .
- ٣- قيام العائلة بوضع برنامج للأسير يكيفه لعائلته ومجتمعه من النواحي الفكرية والاجتماعية والتربوية والسلوكية، وفي نفس الوقت يتصدى للآثار السلبية التي تركها الاسر في شخصيته ومعتقداته وسلوكيته الخاصة والعامة. وهذا البرنامج يأخذ شكل الاحتكاك المباشر مع الاهل والأقارب، والزيارات للاماكن المهمة في المجتمع، واللقاءات مع الاصدقاء والمعارف، والقراءة والمطالعة بغية التعرف على أهم التغييرات التي طرأت على المجتمع، وأخيراً شرح وتوضيح فضائل مجتمع الاسير ومقارنتها بمساويء وسلبيات مجتمع العدو .

(١) الحسن، د. احسان محمد. دور الاسرة العراقية في بناء مجتمع ما بعد الحرب، مؤتمر دور التربية في مواجهة متطلبات مجتمع ما بعد الحرب المنعقد في كلية التربية - جامعة بغداد للفترة ١٦-١٧١/١٩٨٩، ص ٢١.

- ٤- قيام الاسرة بمساعدة الاسير على تكييفه للعمل الذي يمارسه أو مساعدته في التأهيل على عمل جديد يتلاءم مع ظروفه وحالته النفسية والجسمية والاجتماعية (١).
- ٥- ضرورة مبادرة العائلة بالتنسيق مع الجماعات والمؤسسات المسؤولة عن تكييف الاسرى للمجتمع كيما يتكيف الاسرى للمجتمع بأسرع وقت ممكن .
- ٦- تدعيم ذات الاسير بإزالة المشاعر السلبية عنها كالخوف والكرهية والشعور بالذنب والقلق والدونية عن طريق التعاطف مع الاسير وتشجيعه على قيادة حياة طبيعية في المجتمع .
- ٧- القيام بتعديل بعض عادات الاسير غير المقبولة عن طريق الارشاد والنصيحة والتوجيه (٢).
- ٨- العمل على دفع الاسير إلى تقبل ذاته عن طريق زرع الثقة بالنفس واحترام مشاعره وإتاحة المجال أمامه بالتعبير عن طموحاته الذاتية وتطلعاته المشروعة .
- ٩- تبصير الاسير بأهميته كفرد نافع في المجتمع، فالمجتمع يعتمد عليه كما يعتمد هو على المجتمع .
- ١٠- تشجيع الاسير على المشاركة في الانشطة الترويحية والابداعية خلال أوقات الفراغ كيما يتمكن الاسير من تطوير معالم شخصيته والاستفادة من إمكاناته وقابلياته إلى أبعد الحدود .
- ٤- خدمات الرعاية الاجتماعية للأسرى العائدين :
- يمكن تقسيم الخدمات الاجتماعية التي تقدم للأسرى بعد إعادة تكييفهم وتأهيلهم في المجتمع إلى نوعين أساسيين هما :

(١) المصدر السابق، ص ٢٣.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٢.

أ- خدمات الفرد (الأسير) .

ب- خدمات الرعاية الاجتماعية (خدمة الجماعة) .

تشمل خدمات الفرد (الأسير) المهام والأنشطة التي يقدمها الاختصاصيون الاجتماعيون إلى الأسرى والتي تتوخى سد حاجاتهم الأساسية ومجابهة مشكلاتهم الذاتية وتقوية صلاتهم بالمجتمع وتعزيز روحهم المعنوية. وتتم هذه الخدمات في مؤسسات خاصة وظيفتها الاهتمام بالأسير وتلبية حاجاته لكي يكون عضواً فاعلاً في المجتمع. ويمكن تحديد خدمات الفرد التي يمكن تقديمها للأسرى العائدين بالنقاط التالية :

١- الخدمات الطبية التي تتوخى رعاية الأسير طبيياً والاهتمام بصحته .

٢- الخدمات النفسية التي تهتم بتقوية الجوانب المعنوية للأسير وإزالة مظاهر الخوف والقلق والتوتر النفسي الحاد عنه.

٣- الخدمات الاجتماعية التي تهتم بتحسين سلوكية الأسير وتقوية علاقاته الاجتماعية بالآخرين وإزالة مشكلاته الاجتماعية .

٤- الخدمات الأساسية التي تتولى مقابلة الحاجات الأساسية للأسير كالحاجة إلى الغذاء والملابس والسكن والنقود الخ.

أما خدمات الرعاية الاجتماعية التي يمكن تقديمها للأسرى بشكل جماعات فيمكن تصنيفها إلى الأقسام التالية :

١- الخدمات التكوينية التي تتولى إعادة تكييف الأسرى العائدين إلى المجتمع من خلال البرامج التكوينية التي تعتمدها هذه الخدمات .

٢- الخدمات التأهيلية التي تهدف إلى تدريب الأسرى على المهن التي تتلاءم مع ظروفهم الجديدة وميولهم واتجاهاتهم في ممارسة الأعمال التي يرغبون بها .

٣- خدمات رعاية الأسرة. وهي الخدمات التي تقدمها مكاتب رعاية الأسرة إلى الأسرى وعوائلهم والتي تهدف إلى تحسين أحوالهم المعاشية وحل

---

---

مشكلاتهم وتسريع عملية تكيفهم إلى المجتمع الاصلي وحث العازبين على الزواج .

٤- الخدمات الترويحية التي تهدف إلى إرشاد وحث الاسرى على الموازنة بين أنشطة العمل وأنشطة الترويح وممارسة الانشطة الترويحية الايجابية والابتعاد عن الانشطة الترويحية السلبية .

## الفصل الخامس عشر

### أساليب الرعاية الاجتماعية لمعوقي الحرب

يَهْتَم المجتمعات الحديثة بأسر الشهداء ومعوقي الحرب اهتماماً بالغاً نظراً للمنجزات البطولية التي أداها الشهداء والمعوقون قبل نيلهم شرف الشهادة أو العوق البدني أو العقلي، هذه المنجزات التي يفتخر بها الجميع لأنها رمز ومقياس الشجاعة والوطنية والشرف والعطاء. واهتمامات المجتمعات بالشهداء والمعوقين تعبر عن نفسها في عدة مجالات أهمها تكريم الشهداء والاعتزاز بهم ورعاية أسرهم وتلبية كافة متطلباتها وتمكينها من قيادة حياة كريمة ومرفهة. والعناية بالمعوقين على اختلاف حالات العوق التي يعانون منها وذلك من خلال تصنيفهم إلى جماعات مختلفة ومعالجة كل جماعة على حدة وإعادة تأهيلهم على الاعمال والمهن التي تتسجم مع عوقهم وتكييفهم إلى المجتمع ليعيشوا حياة طبيعية كمواطنين صالحين يعتز ويفتخر بهم الجميع (1). ذلك أنهم تقاتلوا في خدمة الوطن إلى درجة أنهم فقدوا أعز ما يملكون في سبيل الدفاع عنه .

يهتم هذا الفصل بفنون الرعاية الاجتماعية لمعوقي الحرب، هذه الفنون التي ينبغي أن يطلع عليها المسؤولون ويتعرفوا على مستلزماتها المادية والادارية والفنية والانسانية لكي يعملوا على توفيرها بغية استفادة المعوقين منها في التغلب على حالات العجز البدني والعقلي التي يعانون منها ومن ثم التكيف للمجتمع الذي يعيشون فيه ويتفاعلون معه. إن هذا الفصل يدور حول ستة محاور أساسية هي :

- أ- مفهوم الرعاية الاجتماعية ومفهوم معوقي الحرب .
- ب- تشخيص وتصنيف حالات العوق البدني والعقلي .

(1) الحسن، د، احسان محمد. الثورة والحرب ، مرجع مذكور سابقاً، ص ١٨.

- ج - معالجة حالات العوق بالطرق الطبية والنفسية والاجتماعية .
- د - إعادة تكييف المعوق للمجتمع وتأهيله على العمل الجديد .
- هـ - الخدمات الاجتماعية لاسر المعوقين .
- و - المبادئ العلمية والانسانية التي تركز عليها رعاية المعوقين .

#### أ- مفهوم الرعاية الاجتماعية ومفهوم معوقى الحرب :

نعني بمفهوم الرعاية الاجتماعية الجهود الانسانية المنظمة التي يبذلها اخصائيو الخدمة الاجتماعية وعلماء الاجتماع والتي تعتمد على دراسة متخصصة وخبرة متمرسه بمجابهة كافة المشكلات الاجتماعية التي تجابه الفرد والمجتمع على حد سواء (١) . ومجابهة هذه المشكلات التي تصيب عدداً من الناس تتطلب اتخاذ اجراءات جماعية هادفة تتوخى التصدي للمشكلات ومعالجة عواملها السببية وتحرير الافراد والجماعات من معوقاتنا وشروطها (٢) . والمشكلات الانسانية التي تكدر حياة الافراد والجماعات والتي تتطلب جهوداً جماعية لتطويقها والقضاء على مسبباتها كثيرة ومتعددة أهمها الطلاق وجنوح الاحداث وتفكك الاسرة والجريمة والفقر والمرض والامية والبطالة وازدحام السكان في المدن وآثار الكوارث الطبيعية والحروب المدمرة ٠٠٠ الخ. فلو أخذنا الحرب كظاهرة اجتماعية لشاهدنا بأن لها ايجابياتها وسلبياتها الشاخصة. فمن سلبيات الحرب دمار الابنية والمساكلن والخسائر البشرية والمادية التي من الصعوبة بمكان حصر قيمتها المالية خصوصاً عندما تستمر الحرب لفترة طويلة من الزمن . إن الخسائر البشرية للحرب التي خاضها العراق ضد العدوان الايراني تتجسد في الشهداء والاسرى والمعوقين . والرعاية الاجتماعية كموضوع متخصص له أهميته البالغة في إزالة أو تخفيف حدة المعاناة الانسانية التي يعاني منها ضحايا الحرب

(١) Forder, A. Concepts in Social Administration, London, Routledge and Kegan Paul, 1974, P.2.

(٢) Merton, R. and R. Nisbet. Contemporary Social Problems, Op.Cit., P. 2-3.



والعدوان أو أسرهم (١) . فالرعاية الاجتماعية من خلال قوانينها ومؤسساتها وأجهزتها وكوادرها البشرية المتخصصة تستطيع رعاية أسر الشهداء وأسرى الحرب عن طريق سد جميع حاجاتها ومتطلباتها المادية والاجتماعية والمشاركة الفاعلة في مساعدتها على تنشئة وتربية وتقويم صغارها وتخفيف حدة الآلام التي تجابهها .

ويمكن للرعاية الاجتماعية أن تؤدي دورها المتميز في مساعدة معوقى الحرب في التغلب على مشكلاتهم البدنية والنفسية والاجتماعية وذلك من خلال تشخيص حالات العوق التي يعانون منها ومعالجتها بالطرق المتيسرة، وتقوية معنوية المعوقين وتكبيفهم للمجتمع والعمل على إعادة تأهيلهم للأعمال الجديدة التي تتناسب مع حالات عوقهم وتمكينهم من العيش بأمان ورخاء وسلام (٢) .

لكن رعاية المعوقين لا يمكن أن تتم بطريقة مقنعة وكفوءة دون تأسيس أو استحداث المراكز المتخصصة لرعاية المعوقين . وهذه المراكز تشمل على المركز للتشخيصي للعوق ومركز رعاية المعوقين بدنياً ومركز رعاية المعوقين عقلياً ونفسياً ومركز تأهيل المعوقين والجمعيات التعاونية الانتاجية للمعوقين ومركز الخدمة الاجتماعية للمعوقين (٣) . ومثل هذه المراكز يمكن تأسيسها في كافة المحافظات ويجب أن لا تنحصر في محافظة واحدة، ولا يكفي تأسيس هذه المراكز فقط بل يجب تجهيزها بالمعدات واللوازم التكنولوجية وتخصيص الكوادر الوظيفية المتمرسه لها ومنحها الصلاحيات القانونية التي تؤهلها لاداء مهامها بصورة جيدة وفاعلة .

(١) Sorensen, B. Care of the Old and the sick, Copenhagen, Denmark, 1966, P. 10.

(٢) Hall, P. The Social Services of Modern Britain, 1963, London, Routledge and Kegan Paul, PP. 295-296.

(٣) قانون الرعاية الاجتماعية رقم ١٢٦ لسنة ١٩٨٠، إصلاح النظام القانوني، وزارة العدل، ١٩٨٠.

أما بمعوقي الحرب فنعني كافة الأشخاص الذين فقدوا جزءاً مهماً من أجسامهم كأحد أطرافهم مثلاً أو تعرضوا لإصابات خطيرة أثرت في فاعليتهم الجسمانية والعقلية تأثيراً واضحاً بحيث أصبحوا غير قادرين على إداء وظائفهم وأعمالهم الاعتيادية (١). والإصابات البدنية والعقلية التي تعرض لها هؤلاء الأشخاص كانت نتيجة اشتباكهم مع العدو في المعارك أثناء دفاعهم عن تراب الوطن أو نتيجة تعرض مدنها أو قصباتهم للقصف المدفعي أو الجوي خلال فترة الحرب التي خاضتها دولهم مع أعداء الأمة العربية. ومهما تكن حالات العوق التي يعاني منها المعوقون فإنهم جميعاً يحتاجون إلى رعاية اجتماعية مستمرة تتعلق بمعالجة حالات العجز البدني أو العقلي التي يشكون منها وتقوية معنوياتهم ومساعدتهم على الولوج والتفاعل مع الحياة مرة ثانية وتأهيلهم على الأعمال الجديدة التي يمكن أن يزاولوها (٢). مع رعاية أسرهم وتقديم شتى أنواع الخدمات التي تحتاجها طيلة فترة انقطاع أولياء أمورهم عن العمل والإشراف الأسري بسبب المرض والإعاقة البدنية أو العقلية .

#### ب - تشخيص وتصنيف حالات العوق البدني والعقلي :

بعد حدوث إصابة المقاتل في جبهات القتال ينبغي إخلائه إلى الخطوط الخلفية بغية معالجته معالجة ميدانية للحفاظ على حياته ومن ثم نقله إلى المستشفى لكي يجري له العلاج اللازم. وبعد معالجته في المستشفى والتأكد من خطورة إصابته يرسل إلى المركز التشخيصي للعوق، هذا المركز الذي يمكن أن يكون ملحقاً بالمؤسسات الطبية العسكرية أو مستقلاً عنها. وقد أكد على ضرورة تأسيس مثل هذا المركز قانون الرعاية الاجتماعية الذي صدر في العراق بتاريخ ١٩٨٠/٦/٢٨ . والمركز التشخيصي للعوق هو الذي يحدد طبيعة العاهة البدنية أو النفسية أو العقلية التي يعاني منها المعوق .

(١) Beveridge, W. Social Insurance and Allied Services, Op.Cit., P. 124.

(٢) Hall, P. The Social Services of Modern Britain, P. 300.

ومن الجدير بالذكر أن المعوقين يصنفون إلى أربعة أصناف رئيسية هي: المعوقون بيئياً والمعوقون عقلياً ونفسياً والمكفوفون والمعوقون العاجزون كلياً . فالمعوقون بدنياً من المقاتلين هم الأشخاص الذين يشكون من العاهات الناجمة عن الإصابات التي تعرضوا لها أثناء المعارك ك فقدان أحد الأطراف أو الإصابة في جزء من أجزاء الجسم أو التعرض للأمراض المزمنة أثناء المكوث في الجبهة كأمراض الملاريا والتدرن الرئوي . الخ. أما المعوقون عقلياً ونفسياً فهم المقاتلون الذين تعرضوا للصدمات العقلية والنفسية الحادة نتيجة مشاركتهم في المعارك الطاحنة ضد قوات العدو ومشاهدتهم لمناظر وصور هول المعارك ومخلفاتها أو إصابتهم بالإعياء العقلي والانهيار العصبي بسبب الواجبات القتالية الشاقة التي كلفوا بها. والأمراض العقلية والعصبية التي تصيب المقاتلين هي الهستريا والكآبة والصرع والهواس وانفصام الشخصية والانهيار العصبي والوسواس والقلق العصبي الحاد . الخ (١) . أما المكفوفون فهم الأشخاص الذين فقدوا بصرهم كلياً وأصبحوا غير قادرين على الرؤيا. وأخيراً هناك المعوقون العاجزون كلياً ، أي المقعدون وغير القادرين على النطق والسير والحركة بسبب شدة الإصابات التي تعرضوا لها أثناء المعارك مع العدو .

كما ويصنف المعوقون حسب قدراتهم على العمل إلى صنفين أساسيين هما: المعوقون غير القادرين على العمل كلياً والمعوقون القادرون على العمل جزئياً . ولكل معوق حق التأهيل والرعاية التي تقدمها الدولة دون مقابل. لكن تصنيف المعوقين حسب حالات العوق التي يعانون منها وحسب قدرتهم على إداء العمل إنما هي عملية تحتاج إلى مراكز تشخيصية متعددة ذات نوعية عالية وقدرة فائقة على تحديد طبيعة العاهات البدنية والعقلية. إلا أن مثل هذه المراكز التشخيصية للعوق تحتاج إلى المستلزمات المادية والفنية والبشرية الضرورية التي يجب توظيفها لها لكي تكون قادرة على إداء مهامها الفنية والإنسانية. فالمراكز هذه تحتاج إلى أبنية حديثة وأجهزة طبية

(١) Burr, J. Nursing the Psychiatric Patient, London, 1970, PP. 24-25.

متخصصة للفحص والتشخيص وكوادر بشرية علمية تتولى عملية تشخيص حالات العوق كالأطباء الجراحين والأطباء النفسيين وأخصائيي الطب الاجتماعي والباحثين الاجتماعيين وأخصائيي الأشعة والكسور. إضافة إلى فريق من الممرضات والصيادلة وأطباء العيون والأسنان والكوادر الإدارية الأخرى التي تحتاجها هذه المراكز .

وينبغي أن تمنح هذه المراكز القوة اللازمة التي تمكنها من إداء واجباتها بكل دقة وكفاءة. وينبغي أن تكون قادرة على تنسيق أنشطتها مع دوائر القوات المسلحة خصوصاً الدوائر الطبية منها ومع مراكز رعاية المعوقين الأخرى كمراكز رعاية المعوقين بدنياً ومراكز رعاية المعوقين عقلياً ومراكز رعاية المكفوفين ومراكز رعاية المعوقين العاجزين كلياً . ذلك إن الدوائر التشخيصية لحالات العوق هي الدوائر التي تعتبر نقطة الوصل بين دوائر القوات المسلحة المعنية بالمعوقين ومراكز رعاية وتأهيل المعوقين .

#### ج - معالجة حالات العوق بالطرق الطبية والنفسية والاجتماعية :

بعد تشخيص حالات العوق من قبل الدوائر التشخيصية المعنية يرسل المعوقون إلى مراكز رعاية المعوقين بدنياً أو عقلياً أو إلى مراكز رعاية المكفوفين أو إلى مراكز رعاية المعوقين العاجزين كلياً حسب حالة العوق التي يشكون منها. وفي هذه المراكز يلقي المعوقون الرعاية الطبية أو العقلية التي يحتاجونها. ومن الجدير بالملاحظة أن المعوقين في العراق يحصلون على الرعاية الطبية والعقلية فقط. أما الخدمة الاجتماعية فلا تمنح إلى المعوقين في الوقت الحاضر نظراً لعدم وجود المراكز الخاصة بها وعدم وجود الكوادر المتخصصة التي تتحمل أعباءها وعدم معرفة المسؤولين بأهمية وواجبات هذه المراكز وكيفية استنفاد المعوقين منها. وقبل دراسة طبيعة وأهمية مراكز الرعاية الاجتماعية للمعوقين يجب علينا فحص واجبات وسياسات مراكز العوق البدني والعقلي الموجودة في العراق الآن وتحديد مشكلاتها

وكيفية تتميتها وتطوير خدماتها نحو الاحسن والافضل لكي تكون بالمستوى المطلوب الذي يلبي حاجات المعوقين لها ولخدماتها .

إن مراكز رعاية المعوقين بديناً وعقلياً ونفسياً ومركز رعاية المعوقين العاجزين كليا إنما هي مراكز مؤهلة لمعالجة المعوقين معالجة طبية وعقلية. فالمعوقون يحصلون على العلاج اللازم من هذه المراكز والذي يتجسد في الرقود في المستشفيات العسكرية والمدنية المتخصصة. وبعد الخروج من المستشفيات يراجع المعوقون هذه المراكز لاجراء الفحوصات الدورية واستلام العلاج اللازم الذي يمكنهم من قهر حالات العوق البدني أو العقلي التي يعانون منها. إلا أن مراكز رعاية المعوقين بديناً وعقلياً تعاني من عدة مشكلات أهمها ما يلي:

- ١- عدم وجود المستشفيات والمراكز الطبية والنفسية الكافية التي تستطيع معالجة معوقي الحرب بديناً وعقلياً .
  - ٢- هُتقار المستشفيات والمصحات التي يرقد فيها المعوقون بديناً وعقلياً إلى الاجهزة والمعدات الطبية والنفسية المتخصصة .
  - ٣- قلة الكوادر الطبية والنفسية المتخصصة .
  - ٤- عدم وجود البرامج السريرية والتمريضية الواضحة التي تنتهجها هذه المراكز في معالجة معوقي الحرب خصوصاً بعد خروجهم من المستشفيات والمراكز الصحية .
  - ٥- عدم التوازن بين التسهيلات الطبية والعقلية الموجودة في مراكز رعاية المعوقين وبين عدد المعوقين . فعدد المعوقين يزيد بكثير عن التسهيلات الطبية الموجودة في مراكز الرعاية .
- وللتغلب على هذه المشكلات ينبغي على وزارات الدفاع والصحة والعمل والشؤون الاجتماعية فتح المزيد من مراكز رعاية المعوقين بديناً وعقلياً وبناء المستشفيات والمصحات التابعة لها. وتجهيزها بالمعدات والاجهزة العلمية والتكنولوجية اللازمة وتخصيص الكوادر البشرية المدربة لها لكي تكون قادرة على اداء مهامها

والإيفاء بالتزاماتها إزاء المعوقين من أبناء القوات المسلحة وغيرهم من المواطنين. كما يتطلب من هذه المراكز والمستشفيات التابعة لها رفع نوعية الخدمات التي تقدمها للمعوقين ووضع المناهج الخاصة بالعلاج الدوري الذي يتلقاه المعوقون بعد خروجهم من المستشفيات والمراكز الصحية. زد على ذلك ضرورة تحقيق حالة الموازنة بين عدد المعوقين في القطر والتسهيلات الطبية والنفسية المتاحة لهم. وإذا ما تحقق هذا المطلب يكون عندئذ بمقدور المعوقين الحصول على العلاج الشافي بأسرع ما يمكن وبكفاءة عالية .

لكن رعاية المعوقين بدنياً وعقلياً لا تحتاج إلى الخدمات الطبية والعقلية والنفسية التي تتحملها مراكز الرعاية البدنية والعقلية فحسب بل تحتاج إلى الخدمات الاجتماعية أيضاً . وهذه الخدمات يمكن أن تهتم بها مراكز الخدمة الاجتماعية التي قد تكون تابعة إلى وزارة الدفاع أو وزارة الصحة أو وزارة العمل والشؤون الاجتماعية. ذلك إن المعوق الذي يشكو من عاهة بدنية أو عقلية مستديمة لا يحتاج إلى المعالجة والإشراف الطبي الجراحي أو النفسي فحسب بل يحتاج إلى الخدمة الاجتماعية التي تقوي معنويته وتزيل الهموم والمضايقات عنه وتجعله يشعر بأنه لا يزال عضواً فعالاً في المجتمع وأن المجتمع بحاجة إليه ويريده أن يتعافى بأسرع وقت ممكن لكي يحتل مكانه الطبيعي فيه <sup>(1)</sup> . إضافة إلى أهمية الخدمة الاجتماعية في تكييف المعوق للمجتمع والعمل على إعادة تأهيله للعمل الوظيفي الذي يتناسب مع طبيعة عوقه البدني أو العقلي .

وعلى أن لا ننسى بأن الخدمات الاجتماعية التي تقدم للمعوقين ينبغي أن تتطرق إلى رعاية أسرهم وأطفالهم. فأسر المعوقين تحتاج إلى المعونة المالية والإشراف والتوجيه الذي يمكنها من تخطي الصعوبات التي تلاقىها بعد إصابة معيبيها أو أوليائها أموراً وتوقفهم عن الخدمة ورفودهم في المستشفيات والمراكز الطبية. كما

(1) Hall,P. The Social Services of Modern, Britain, P. 298.

إن أبناءهم يحتاجون إلى الرعاية التربوية والنفسية والاجتماعية التي تقوم طرق تنشئتهم وتصل شخصيَّاتهم وتطور سلوكيَّتهم ليكونوا أبناء صالحين للمجتمع . إن خدمات الرعاية الاجتماعية للمعوقين يمكن أن تضطلع بها مراكز اجتماعية خاصة برعاية المعوقين . علماً بأن الخدمات الطبية والعقلية للمعوقين يمكن أن تقدم لهم في نفس الوقت الذي يتلقون فيه الخدمات الطبية والعقلية والنفسية .

لكن مراكز الخدمة الاجتماعية للمعوقين تحتاج إلى المستلزمات التالية:

- ١- كوادر بشرية متخصصة في حقول الخدمة الاجتماعية وعلم الاجتماع ورعاية الاسرة والطب النفساني والارشاد الاجتماعي (١) .
  - ٢- أبنية وكوادر إدارية ومالية ووسائط نقل ومواصلات .
  - ٣- قوة إدارية وفنية وقانونية وتنسيقية يتمتع بها الاخصائيون والاداريون والتي من شأنها أن تعيد تأهيل المعوقين وتزجهم في المجتمع مرة ثانية وتنسق بين الرعاية الطبية والرعاية الاجتماعية التي تمنحها هذه المراكز .
- أما الواجبات التي تضطلع بها مراكز الخدمة الاجتماعية للمعوقين فيمكن إجمالها بالنقاط التالية :

- ١- تقوية الجوانب المعنوية والاجتماعية والقيمية عند المعوقين وذلك من خلال الارشاد والتوجيه لكي يتمكن هؤلاء من مواجهة حالات العوق التي يعانون منها والتخفيف من حدة آثارها السلبية على شخصياتهم وعلاقاتهم واتزانهم ودرجة تكيفهم مع المجتمع .
- ٢- العمل على تأهيل المعوقين مهنيًا وحرفيًا من خلال إحالتهم إلى مراكز تدريبية وورش عمل خاصة لتدريبهم وتأهيلهم على الاعمال والمهن الجديدة التي

(١) Marshall, T. H. Social Policy, London, Hutchinson University Press, P. 174.

- تتلاءم مع حالات العوق التي يعانون منها <sup>(١)</sup> . مع الإيعاز إلى الإدارات الصناعية وأرباب العمل بتشغيلهم .
- ٣- إعادة تكييف المعوقين للمجتمع عن طريق فسح المجال لهم بالتفاعل مع الآخرين وإداء الأدوار الاجتماعية التي كانوا يشغلونها قبل الإعاقة وممارسة أنشطة الفراغ والترفيه التي تتلاءم مع أذواقهم وميولهم واتجاهاتهم .
- ٤- الاتصال بذوي المعوقين وتقديم المساعدات المادية والمعنوية والاجتماعية لهم التي تمكنهم من تجاوز مشكلاتهم الناجمة عن عوق أولياء أمورهم ورقودهم في المستشفيات وتوقفهم عن العمل . مع ضرورة الاهتمام بأطفال المعوقين وتقديم الخدمات التربوية والاجتماعية التي يحتاجونها .
- ٥- العمل على توفير السكن القريب من أماكن العمل التي يشتغل فيها المعوقون مع توفير تسهيلات المواصلات والنقل .
- د - إعادة تكييف المعوق للمجتمع وتأهيله على العمل الجديد :
- من أهم واجبات الرعاية الاجتماعية للمعوقين كما ذكرنا في المبحث السابق إعادة تكييف المعوقين للمجتمع وتأهيلهم على الأعمال الجديدة التي تتلاءم مع حالات عوقهم البدني والعقلي . وإعادة تكييف المعوق للمجتمع نعني زجه في الحياة الاجتماعية المألوفة وإتاحة المجال أمامه بأشغال أدواره الوظيفية التي كان يؤديها قبل عوقه <sup>(٢)</sup> . وتكييف المعوق للمجتمع يكون عادة عند شفائه من مرضه وتغلبه على عاهته وتجاوز آثارها البدنية والنفسية . وعملية تكييف المعوق للمجتمع لا تكون دفعة واحدة بل تكون على مراحل متعاقبة كل مرحلة تتطلب من المرشد الاجتماعي بذل الجهود الحثيثة والهادفة التي من شأنها أن تساعد المعوق على الولوج في الحياة

(١) Report of the Committee of Inquiry on the Rehabilitation, Training and Resettlement of Disabled Persons, London, 1956,P. 85.

(٢) Rudd,T. The Nursing of the Handicapped,London, Faber and Faber Ltd., 1970,P. 112.



الاجتماعية والتفاعل معها بروح مليئة بالتفاؤل وقوة الارادة والانسراح. كما إن تكييف المعوق للمجتمع يتطلب منه التعاون مع المرشد الاجتماعي واحترامه واطاعة مطالبه والالتزام بنصائحه وارشاداته .

إلا أن تكييف المعوق للمجتمع ونجاحه في قهر مشكلات العوق التي يعاني منها يعتمد على طبيعة العاهة التي تلازمه. فتكييف المكفوف للمجتمع يختلف عن تكييف المعوق جسمانياً وتكييف الاخير يختلف عن تكييف المعوق عقلياً وتكيف المعوق عقلياً يختلف عن تكييف المعقد وشديد العجز (1). ومهما تكن طبيعة العوق التي يعاني منها المعوق فإن عملية تكييف المعوقين للمجتمع إنما هي عملية تدخل ضمن إطار الرعاية الاجتماعية وتحتاج إلى مهارات فنية وخصائص انسانية وروح اجتماعية ينبغي أن يتسم بها المرشد الاجتماعي المسؤول عنها. وفنون الرعاية الاجتماعية لتكييف المعوقين للمجتمع يمكن ان تعبر عن نفسها في الصيغ الاجرائية التالية :

- ١- ملازمة المرشد الاجتماعي للمعوق لفترة من الزمن يدرسه خلالها على النطق والمحادثة والتفاعل مع الآخرين والتجاوب معهم .
- ٢- تدريب المعوق على إداء بعض الاعمال المهمة لحياته اليومية كالاشراف على شؤون الاسرة وحل مشكلاتها واداء الادوار الاجتماعية المكلف بها والتعاون مع الآخرين والالتزام بالقيم السلوكية التي يثمنها المجتمع . . . الخ.
- ٣- العمل على تقوية معنوية المعوق والايحاء له بأنه شخص سوي لا تختلف واجباته وحقوقه عن واجبات وحقوق الآخرين. وإن المجتمع أصبح يقيمه ويثمنه أكثر من ذي قبل لانه بذل الغالي والنفيس في سبيل الدفاع عنه ودرء الاخطار التي تهدده .

(1) Hall, P. The Social Services of Modern Britain, P. 295.

٤- في حالة عدم ارتياح المعوق لظروفه السكنية والاجتماعية ينبغي على المرشد المبادرة إلى اقتناع المسؤولين بضرورة تبديل سكن المعوق وتبديل ظروفه البيئية واتاحة المجال له بالسكن والعيش في ظروف أفضل .

٥- على المرشد الاجتماعي حل كافة المشكلات الاجتماعية التي يعاني منها المعوق كمشكلة العزلة الاجتماعية وتفسخ الاسرة وسوء العلاقات بين الآباء والابناء والفقر وجنوح الاحداث وتناول المسكرات ومشاكل تربية الاطفال . . . الخ.

٦- حث المعوق على المشاركة في أنشطة الفراغ والترويح التي تتلاءم مع حالة عوقه كمشاهدة التلفزيون وسماع الراديو وزيارة الاهل والاقارب والسفر من أجل الراحة والاستجمام والانتماء الى الجمعيات الاجتماعية والثقافية . . . الخ، والايجاز له بضرورة الموازنة بين أنشطة العمل وأنشطة الفراغ والترويح .

وبعد تكييف المعوق للمجتمع يستطيع إداء أدواره الوظيفية ويتفاعل مع الآخرين بحرية كاملة ويسهم في أنشطة الفراغ والترويح ويحتل مركزاً فاعلاً في المجتمع المحلي.

أما مسألة تأهيل المعوقين للمهن والاعمال الجديدة التي تتلاءم مع حالات عجزهم البدني والعقلي فإنها من المسائل المهمة التي ينبغي أن يهتم بها المسؤولون أهتماماً ملحوظاً . فالمعوقون ينبغي أن يمارسوا المهن والاعمال القادرين على إداؤها لكي ينتفع منها المجتمع الكبير وتنتفع منها عوائلهم مادياً واجتماعياً . إضافة إلى أنها تملأ أوقاتهم اليومية وتقوي معنوياتهم وتجعلهم يشعرون بأنهم نافعون للمجتمع . وأخيراً تؤدي المهن التي يمارسها المعوقون دورها الفاعل في أشغالهم عن التفكير بعاهاتهم البدنية والعقلية (١) .

(١) Ibid.,P. 302.

وتأهيل المعوقين على العمل يتطلب انشاء مراكز التأهيل الحرفي والمهني للمعوقين وانشاء الورش المحمية والجمعيات التعاونية الانتاجية . وفي مثل هذه المراكز والورش يتدرب المعوقون على اختلاف أصنافهم كالمكفوفين والصم والبكم والمعوقين بدينياً والمتخلفين عقلياً وشديدي العجز أنواع المهن والاعمال كالنجارة والصياغة والغزل والحياكة والتطريز والسيراميك والفخار وصناعة الورود والصبغة والاعمال الميكانيكية والكهربائية الخفيفة وصناعة الاحذية والجلود والاعمال الفنية كالرسم والخط وتجويد القرآن الكريم والنحت والموسيقى والتمثيل ٠٠٠ الخ. كما يستطيع المعوقون إداء الاعمال الاستشارية والخدمات الادارية والفنية الخفيفة في الدوائر والمؤسسات التي كانوا يعملون فيها قبل اصابتهم وعوقهم (\*) .

إن مراكز التأهيل المهني للمعوقين هي التي تتولى مهام تصنيف المعوقين حسب المهن التي يمكن أن يمارسوها وتدريبهم على إداؤها وتنسبهم إلى المهن والاعمال القادرين على أشغالهم وتحول مسؤولياتها. إضافة إلى انها تقدم لهم الخدمات الفنية والثقافية التي يحتاجونها أثناء فترة التدريب. وتحاول في ذات الوقت تكييفهم للاعمال التي يؤهلون على أشغالها لكي يحتلوا مراكزها المهنية ويؤثروا ويتأثروا بتعاليمها وبرامجها الوظيفية والتنموية . إن مراكز التأهيل المهني للمعوقين يتطلب منها القيام بجهود فنية وتربوية وانسانية تتبع من اختصاص الخدمة الاجتماعية، هذا الاختصاص الذي يساعد المعوقين في التأهيل على الاعمال الجديدة والدخول اليها وقيادة حياة اجتماعية طبيعية يستطيعون من خلالها الشعور بذاتيتهم وأهميتهم ومكانتهم الاجتماعية. وحقيقة كهذه تلعب الدور الكبير في تسريع عملية تكييفهم مع المجتمع واستعداد الاخير لقبولهم وتلبية طموحاتهم القريبة والبعيدة.

(\*) يشير تقرير توملس عن معوقي الحرب في بريطانيا الذي نشر في عام ١٩٤٨ بأن معوقي الحرب هم اكثر قدرة وفاعلية على اداء الاعمال مما يتصورهم أرباب العمل. إضافة الى أن ممارستهم للعمل تساعدهم على التكيف للمجتمع بسرعة فائقة .

## هـ - الخدمات الاجتماعية لاسر المعوقين :

إن رعاية المعوقين لا تتعلق بتشخيص حالات العوق التي يعاني منها المعوقون وعلاجها وإعادة تأهيل المعوقين للاعمال الجديدة والمجتمع المحلي فحسب بل تتعلق أيضاً برعاية أسر المعوقين وتلبية كافة احتياجاتها المادية والاجتماعية والمعنوية (1). فمنذ اصابة المقاتل وعوقه واحالته الى المستشفى أوالمركز الصحي للعلاج يتطلب من مراكز الخدمة الاجتماعية للمعوقين إرسال الباحثات الاجتماعيات الى أسرة المعوق للاطلاع على أحوالها ومشكلاتها خصوصاً بعد غياب معيها أو ولي أمرها عنها وانقطاعه عن العمل وتوقفه عن الاشراف على شؤون الاسرة .

وأول ما ينبغي على الباحثة الاجتماعية القيام به تكوين العلاقة الانسانية الطيبة مع أسرة المعوق وافهامها بأن واجباتها تتلخص بمساعدة الاسرة في التغلب على مشكلاتها الناجمة عن عوق معيها أو ولي أمرها. لكن واجبات الخدمة الاجتماعية التي تؤديها الباحثة (أو المرشدة) الاجتماعية لاسرة المعوق يمكن تلخيصها بالنقاط التالية :

- ١- تقوية معنوية أسرة المعوق وذلك من خلال التوضيح لها بأن معيها سوف يشفى من مرضه في القريب العاجل ويتغلب على عوقه البدني أو العقلي ويتولى مرة ثانية مسؤولية حمايتها والاشراف عليها كما كان قبل إصابته .
- ٢- التوضيح لاسرة المعوق بأن معيها الذي اصيب في المعركة إنما هو مواطن يتحلى بصفات الوطنية والبطولة والشرف. ولهذا يحتل مكانة متميزة في المجتمع ويحظى برعاية المسؤولين في الدولة والمجتمع وينال حب وتقدير وتبجيل المواطنين. ومثل هذه المعلومات التي تزود بها أسرة المعوق ترفع

(1) Report of the Working Party On Social Workers in the Local Authority Health and Welfare Services ,London,H. M. S. O., 1989.

معنوياتها وتعمق من درجة التماسك بين أعضائها وتزيد همة ونشاطاً في مواجهة مشكلاتها والعمل على تطويقها وإزالة آثارها السلبية .

٣- الاطلاع على طبيعة الحاجة الاقتصادية التي تواجه أسرة المعوق بعد توقف معيّلها عن الخدمة بسبب إصابته في المعركة. وتحديد كمية المعونة المالية التي تحتاجها فيما إذا كانت ظروفها الاقتصادية غير جيدة. بعد ذلك يتطلب من الباحثة الاتصال بالجهات المالية في وزارة الدفاع أو الوزارات الأخرى لتبيان مقدار المعونة المالية التي تحتاجها عائلة المعوق لغرض صرفها لها بالسرعة المستطاعة .

٤- ضرورة قيام الباحثة الاجتماعية ببحث زوجة المعوق على تصعيد انشطتها التأسيسية والتربوية إزاء الأطفال، وتقوية معنوياتها ومشاركتها في حل مشكلاتها البيئية إن وجدت ونصحها على ترشيد الاستهلاك وصب كافة أهتماماتها على الأسرة لأنها أصبحت تشغل دور الأم والاب في آن واحد .

٥- ينبغي على الباحثة الاجتماعية الاتصال بأقارب وجيران أسرة المعوق وحثهم على تقديم كافة المساعدات الممكنة لأسرة المعوق والتعاون معها في حل مشكلاتها .

٦- ضرورة إشراف الباحثة الاجتماعية على سلوك الأطفال وعلاقتهم الاجتماعية داخل الأسرة وخارجها والاهتمام بدراساتهم وتحصيلهم العلمي ومتابعة مسيرتهم التربوية في المدارس . فالباحثة الاجتماعية هنا ينبغي أن تكون محل الاب المعوق في نصح وارشاد الأطفال على الاقتداء بالسلوك الحسن في المدرسة وإداء الواجبات المدرسية والتحضير للامتحانات واجتيازها بنجاح متميز. إضافة إلى توجيه الارشادات لهم بعدم اللعب في الأزقة والشوارع وعدم الاختلاط بأبناء السوء والمحافظة على صحتهم وحيويتهم الاجتماعية (١) .

(١) الحسن، د. احسان محمد. مشكلة جنوح الأحداث (دراسة ميدانية)، العدالة، العدد الاول - شباط - آذار ١٩٨١، ص ٤١.

إضافة إلى إرشادهم بأعتماد المبادئ والقيم الايجابية التي يثمنها الجميع كقيم الصدق والصبر والاخلاص في العمل وقيم التعاون والتكاتف مع الآخرين وقيم احترام الكبير والعطف على الصغير وقيم الشعور بالمسؤولية والاعتماد على النفس في إداء الواجب وقيم احترام الزمن والانضباط وقيم الثقة بالنفس ٠٠٠ الخ.

٧- المشاركة الفاعلة للباحثة الاجتماعية في حل كافة المشكلات التي تعاني منها عائلة المعوق كمشكلة التنشئة الاجتماعية ومشكلة عدم توازن حجم الاسرة مع مواردها المالية ومشكلة سوء التدبير المنزلي ومشكلة تصدع الاسرة الناجمة عن الغياب الطويل لمعيها المعوق ومشكلة القلق الاجتماعي التي تصيب الاسرة من جراء مرض وعوق معيها ٠٠٠ الخ. وهذه المشكلات يمكن حلها عن طريق دراسة أسبابها ومعالجتها .وعلاج هذه المشكلات يكون من خلال التعاون بين الباحثة الاجتماعية وأسرة المعوق .

ومن الجدير بالإشارة اليه هنا إلى أن الباحثة الاجتماعية لا تستطيع المساهمة في رعاية أسر المعوقين وتخطي الصعوبات التي تلاقونها دون قيامها بالزيارات الدورية لهذه الاسر والاهتمام بها والاطلاع على مشكلاتها ومعاناتها عن كثب والعمل على إزالتها أو التخفيف من وطأتها .

#### ٦- المبادئ العلمية والانسانية التي تركز عليها رعاية المعوقين:

إن قيام مراكز رعاية المعوقين بالواجبات والفعاليات العلمية والانسانية المتخصصة التي ذكرناها آنفاً يتطلب تزويدها بالمستلزمات المادية والبشرية والفنية التي تحتاجها كتزويدها بالبنائات اللازمة والمختبرات والاجهزة والادوات ووسائل النقل التي تمكنها من إداء مهامها. وتزويدها بالكوادر البشرية المتدربة كالمختصين والاداريين والباحثين والمرشدين الاجتماعيين والاطباء النفسيين وعلماء

الاجتماع ٠٠٠ الخ، هذه الكوادر التي تتولى مسؤولية تشخيص العوق والمعالجة والتدريب وإعادة التأهيل وتكييف المعوقين إلى المجتمع ورعاية أسر المعوقين والمشاركة في حل مشكلاتها. لكن الخدمات الاجتماعية للمعوقين ينبغي أن تركز على خمسة مبادئ أساسية لكي تستطيع القيام بخدماتها وفعاليتها المهنية والانسانية. وهذه المبادئ هي مبدأ النوعية العالية، ومبدأ البرغماتية، ومبدأ الشمولية، ومبدأ العقلانية، وأخيراً مبدأ الاتساقية . وسوف نشرح هذه المبادئ بايجاز لكي نطلع عليها ونوضح أهميتها لطبيعة الخدمات الاجتماعية التي تقدمها مراكز رعاية المعوقين.

#### أ- مبدأ النوعية العالية :

إن هذا المبدأ يلزم مراكز رعاية المعوقين على تقديم الخدمات الاجتماعية الجيدة والمتطورة للمعوقين الذين يحتاجونها، هذه الخدمات التي يجب أن تتسم بالدقة والسرعة والاهتمام المتزايد بمعالجة وإعادة تأهيل وتكييف المعوقين للمجتمع<sup>(١)</sup> . إضافة إلى تقوية معنوياتهم والتخفيف من حدة آلامهم والسهر على سد حاجات ومتطلبات أسرهم. ان إداء مهام فاعلة ومتميزة كهذه يتطلب تأسيس المزيد من مراكز رعاية المعوقين وزيادة عدد الخبراء والفنيين والمتخصصين العاملين فيها وتوفير الاجهزة والمعدات التكنولوجية اللازمة مع تهيئة البنايات الجيدة وخلق اجواء العمل الملائمة. وتقديم الحوافز المادية والمعنوية للعاملين الجيدين والمبدعين.

#### ب - مبدأ البرغماتية :

يؤكد هذا المبدأ على ضرورة ربط خدمات مراكز رعاية المعوقين وإمكاناتها المادية والبشرية والفنية بأسعاف العاهات وتلبية المتطلبات التي يحتاجها المعوقون

(١) الحسن، د. احسان محمد. أثر قانون الرعاية الاجتماعية في خدمة المعوقين، جريدة الثورة، بغداد، العدد ٤٠٣٠ بتاريخ ١٩٨١/٥/٢٠.

بحيث يستطيع هؤلاء التحرر من المشكلات والمعاناة والآلام التي تلازمهم<sup>(١)</sup>. كما إن الخدمات الاجتماعية التي تقدمها مراكز الرعاية لاسر المعوقين ينبغي أن تكون قادرة على تقوية معنوياتها والايفاء بالتزاماتها المادية والمعنوية والقضاء على كافة مشكلاتها لكي تكون قادرة على إداء واجباتها تجاه أبنائها والمجتمع الكبير بالرغم من غياب أولياء أمورها بسبب عوقهم البدني أو العقلي .

#### ج - مبدأ الشمولية :

يهدف هذا المبدأ إلى تطبيق قانون رعاية المعوقين على جميع المعوقين الذين يعانون من حالات العوق التي تمنعهم عن إداء العمل وقيادة حياة طبيعية في المجتمع<sup>(٢)</sup> فالمعوقون ينبغي أن يعاملوا معاملة واحدة مهما تكن انحداراتهم الاجتماعية ومستوياتهم المهنية والثقافية. والخدمات التي تقدم اليهم يجب أن تكون ذات نوعية واحدة بغض النظر عن طبيعة ومكانة الشخص المعوق. زد على ذلك أن مبدأ الشمولية يقتضي عدم التحيز لجماعة من المعوقين وتفضيلهم في المعالجة والرعاية على الجماعات والفئات الاخرى مهما تكن الاسباب والظروف والملابسات .

#### د - مبدأ العقلانية :

يتوخى هذا المبدأ اعتماد العلم والفن والخبرة والدراسة والتجربة في تشخيص حالات العوق ومعالجة مشكلات المعوقين وتخفيف حدة آثارها البدنية والنفسية والاجتماعية<sup>(٣)</sup> . مع اعتماد الخبرة والمهارة في إعادة تأهيل المعوقين وتكييفهم للمجتمع الكبير. إضافة إلى انتهاج طرق الخدمة الاجتماعية الفاعلة في رعاية أسر المعوقين وتلبية كافة احتياجاتها المادية والاجتماعية والمعنوية لكي تقف على أقدامها في مواجهة مشكلات الحياة والتصدي لآثارها السلبية .

(١) Beveridge,W. Social Insurance and Allied Services.P. 6.

(٢) Marshall,T. H. Social Policy,P. 87.

(٣) Mcgregor,O R.Social Research and Social Policy,The British Journal of Sociology, June, 1957,PP. 146-157.



## ٥- مبدأ الاتساقية :

يهدف هذا المبدأ الذي تعتمد عليه سياسات مراكز رعاية المعوقين إلى استعمال نفس الخدمات والخبرات والمهارات وتطبيق نفس المعارف والقوانين على كافة المعوقين الذين يحتاجون إلى الرعاية والتأهيل. كما أن الخبرات والكفاءات والأجهزة والفنون التكنولوجية التي تستعمل في معالجة المعوقين ينبغي أن تكون واحدة في كافة الظروف والأوقات طالما أن تقنيات الخدمات الطبية والاجتماعية التي تقدم للمعوقين هي واحدة ومتشابهة (١).

إن هذه المبادئ الخمسة التي ينبغي أن تعتمدها مراكز رعاية المعوقين هي التي تضمن نجاحها واستمراريتها ونموها وتطورها وبالتالي قدرتها وفعاليتها على القيام بمهامها والتزاماتها إزاء المعوقين . وهنا تكون مؤسسات الرعاية الاجتماعية على اختلاف أنواعها وتخصصاتها بالمستوى الذي تطمح إليه القيادة السياسية خدمة للإنسان ومجتمعه السائر في طريق التنمية والنهوض والتقدم الشامل .

---

(١) Mannheim, K. Diagnosis of Our Time, London, Routledge and Kegan, 1968, P. 25.

## المصادر

### المصادر العربية

- ١- ابن خلدون، المقدمة، بيروت، دار القلم ، ١٩٧٨.
- ٢- الفريق الركن اسماعيل تايه النعيمي. القيادة عقل وقلب، مديرية التطوير القتالي، بغداد، ١٩٨٤.
- ٣- بوتول، جاستون. الحرب والمجتمع، ترجمة عباس الشريبي، الاسكندرية ، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٦.
- ٤- إتفاقية جنيف الخاصة بأسرى الحرب لعام ١٩٤٩، الامم المتحدة ، نيويورك .
- ٥- الداھري، عبد الوھاب مطر. كيفية مواجهة اقتصاد الحرب، مجلة البحوث الاقتصادية والادارية، العدد الاول، المجلد التاسع، كانون ثاني ١٩٨١.
- ٦- حتي ، فيليب. تأريخ العرب المطول، الطبعة الرابعة، بيروت، ١٩٦٥.
- ٧- حسن، كامل سيرمك. بعض المشكلات الاجتماعية والحضارية التي يعاني منها الشباب في العراق وطرق علاجها، اطروحة ماجستير غير منشورة، المعهد العالي للدراسات القومية والاشتراكية، الجامعة المستنصرية، ١٩٨٢.
- ٨- الحسن، احسان محمد. محاضرات في المجتمع العربي ، بغداد، مطبعة دار السلام، ٢٠٠٢.
- ٩- الحسن، احسان محمد. علم الاجتماع: دراسة نظامية، بغداد، مطبعة الجامعة، ٢٠٠١.
- ١٠- الحسن، احسان محمد. الاسس الاجتماعية والحضارية للتصنيع في الوطن العربي، قضايا عربية، العدد التاسع، أيلول ١٩٨٠.
- ١١- الحسن، احسان محمد. الثورة والتنمية والتحديث، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، العدد (٢)، كانون أول ١٩٨٢.

- ١٢- الحسن، احسان محمد. العائلة والقراية والزواج، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، ٢٠٠٠.
- ١٣- الحسن، احسان محمد. الثورة والحرب ، منشورات مركز البحوث والمعلومات ، بغداد، ١٩٩٢.
- ١٤- الحسن، احسان محمد. الاسس العلمية لمناهج البحث الاجتماعي ، بيروت، دار الطليعة، ٢٠٠٠.
- ١٥- الحسن، احسان محمد. علم الاجتماع السياسي، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، مطبعة جامعة الموصل، ٢٠٠١.
- ١٦- الحسن، احسان محمد. الانعكاسات الاجتماعية للحرب على المجتمع العراقي، دراسات للاجيال، العددان الرابع والخامس ، السنة الرابعة، تشرين أول ١٩٨٣.
- ١٧- الحسن ، احسان محمد. دور قيم الحرب في الاسرة والتنشئة الاسرية. الندوة العلمية حول دور الاسرة في تنمية الثقة بالنفس واتخاذ القرار، ندوة وزارة التربية للفترة من ٢٥-٢٦/٤/١٩٨٤.
- ١٨- الحسن، احسان محمد. الشهادة كقيمة اجتماعية عليا، جريدة الجمهورية البغدادية الصادرة بتاريخ ١/١٢/١٩٨٤.
- ١٩- الدفاعي، ماجد حمزة. الرعاية الاسرية اللاحقة للاسير العائد، مؤتمر دور التربية في مواجهة متطلبات مجتمع ما بعد الحرب ، كلية التربية، جامعة بغداد للفترة ١٦/١٧/١٩٨٩.
- ٢٠- خطاب، عطيات محمد. أوقات الفراغ والترويح، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٨.
- ٢١- خضر، أحمد ابراهيم. علم الاجتماع العسكري، دار المعارف ، القاهرة، ١٩٨٠.
- ٢٢- الخشاب، أحمد. علم اجتماع الدين، القاهرة، ١٩٦٥.
- ٢٣- الخشاب، مصطفى. علم الاجتماع ومدارسه، الجزء الاول، الدار القومية، القاهرة، ١٩٧٥.
- ٢٤- كلاوزفيتز، كارل فون. في الحرب، القاهرة، منشورات الدار القومية للطباعة والنشر، ١٩٧٩.

- ٢٥- العقيد شارل شانديسي. علم النفس في القوات المسلحة، ترجمة المقدم الدكتور محمد ياسر الايوي ، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الثانية، ١٩٨٤.
- ٢٦- هيكل، محمد حسنين. زيارة جديدة للتاريخ، بيروت، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ١٩٨٥.
- ٢٧- تكريم التضحية والفداء في تشريعات الثورة ، بغداد، وزارة العدل ، ١٩٨٣.
- ٢٨- الفريق كلاود دكسون. نظرة في خصائص القيادة الناجحة ، بيروت، ١٩٩٤.
- ٢٩- " الضرورة المبدئية للصبر في الحرب وما هي دلالاتها النضالية، المنهاج الثقافي للتوجيه السياسي"، الجزء الاول، وزارة الدفاع، دائرة التوجيه السياسي .
- ٣٠- العميد الركن عدنان دحام علي. أثر العقيدة الفكرية السياسية في معنويات القوات المسلحة، دائرة التدريب، مديرية التدريب القتالي، وزارة الدفاع، ١٩٨٣.
- ٣١- العقاد، أنور. المجتمع العربي، حلب، مطبعة الشرق، ١٩٦٥.
- ٣٢- الفريق الركن فاروق الحريري. الحرب العالمية الاولى (دراسة عسكرية)بغداد، مديرية المطابع العسكرية، ١٩٨٨.
- ٣٣- عون، عبد الرؤوف . لفن الحربي في صدر الاسلام، دار المعارف ، مصر، ١٩٦٢.
- ٣٤- قانون الرعاية الاجتماعية رقم ١٢٦ لسنة ١٩٨٠، إصلاح النظام القانوني ، وزارة العدل، ١٩٨٠.
- ٣٥- شفيق، منير. علم الحرب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٢.
- ٣٦- القوصي، عبد العزيز. علم النفس: أسسه وتطبيقاته التربوية، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٧.
- ٣٧- العميد الركن ماجد محمد حسن الخالدي. العمق السوقي والفارق السكاني في الصراع مع ايران، أطروحة لدورة الحرب الخامسة ، ١٩٨٥، جامعة البكر للدراسات العسكرية العليا، بغداد.
- ٣٨- محمد حسن، عبد الباسط . أصول البحث الاجتماعي ، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٧١.

- ٣٩- اللواء الركن مكي مصطفى حمودات. العقيدة العسكرية بين النظرية والتطبيق، دائرة التدريب ، مديرية التدريب القتالي، بغداد، ١٩٨٣.
- ٤٠- المشير الركن بيرنارد مونتغمري. السبيل إلى القيادة، ترجمة العميد الركن حسن مصطفى، بيروت، دار الطليعة، ١٩٦٦.
- ٤١- المشير الركن بيرنارد مونتغمري. معركة العلمين في الحرب العالمية الثانية، ترجمة سليم طه التكريتي، بغداد، مطبعة الحوادث، ١٩٨٧.
- ٤٢- ميتشيل، دينكن. معجم علم الاجتماع ، ترجمة الدكتور احسان محمد الحسن، بيروت، دار الطليعة، ١٩٨١.
- ٤٣- اللواء الركن هشام صباح فخري. دروس على طريق النصر ، بغداد، ١٩٨٣.
- ٤٤- ديرى، اكرم . آراء في الحرب: الاستراتيجية وطريقة القيادة، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٤.
- ٤٥- الشرييني، حامد (الدكتور)، دراسات في علم اجتماع الحرب، القاهرة، دار النهضة بمصر، ٢٠٠٣ .
- ٤٦- الخضيرى، خالد (الدكتور) مشكلات علم الاجتماع العسكري، بغداد، مطبعة المعارف، ٢٠٠٤ .

### المصادر الاجنبية

- 47- Adams,D. Iraq's people and Resources, Berkeley, 1988.
- 48- Adams,S. Social Climate and Productivity in Small Military Groups,American Sociological Review, 19, 1984.
- 49- Adorno, A. et al. Authoritarian personality, New York, 1981.
- 50- AL-Hassan, Ihsan,M. Collective Behaviour, Baghdad, 2002.
- 51- Andreskie, S. Military Organization and Society, London, Routledge and Kegan Paul, 1991.
- 52- BarnaRD,c. The Functions of the Executive, Harvard University Press, Combridge, 1965.

- 
- 
- 53- Beveridge, W. Social Insurance and Allied Services, London, Her Majesty's Stationery Office, 1958.
  - 54- Bebler, A. A. Development of Military Sociology in Yugoslavia, Armed Forces and Society, 3, 1976.
  - 55- Berger, M. Informal Social Organization in the Army, New York, 2001.
  - 56- Benn, S. and Peters. Social Principles and the Democratic State, London, George Allen and Unwin, 1969.
  - 57- Biesanz, M. et al. Introduction to Sociology, Prentice-Hall, New Jersey, 1993.
  - 58- Blau, P. Exchange and Power in Social Life, Wiley and Sons, New York, 1964.
  - 59- Burr, J. Nursing the Psychiatric, London, 1970.
  - 60- Carthoff, R. Soviet Military Doctrine, Illinois, the Free Press of Gkencoe, 1973.
  - 61- Cartwright, D. and A. Zander. Group Dynamics, New York, 1968.
  - 62- Coates, C. et al. Military Sociology, Maryland, the Social Sciences Press, 1995.
  - 63- Coser, L. A. Masters of Sociological Thought, New York, Harcourt Brace, 1977.
  - 64- Childres, G. et al. System Size and Structural Differences in Military Organizations, American Journal of Sociology, 76, 1971.
  - 65- David, J. C. et al. Effect On Morale of Infantry Team Replacement, Sociometry, Vol. 18, Dec., 1955.
  - 66- Davis, K. Human Society, Mouton, the Hague, 1968.
  - 67- Doom, J. V. Armed Forces and Society, Mouton, the Hague, 1968.
  - 68- Forder, A. Concepts in Social Administration, London, Routledge and Kegan Paul, 1974.
  - 69- Freeman, F. The Army As A Social Structure, Social Forces, 28, 1978.
  - 70- Fridelburg, L. Reamament and Social Change, New York, 1972.
  - 71- Gerth, H. and C. Wright Mills. Character and Social Structure, London, Routledge and Kegan Paul, 1991.
  - 72- Ginsberg, M. Sociology, London Oxford University Press, 1980.
  - 73- Ginsberg, M. Essays in Sociology and Social Philosophy, Vol. 11, Heinemann, London, 1986.
  - 74- Hall, P. The Social Services of Modern Britain, London, Routledge and Kegan Paul, 1963.

- 
- 
- 75- Hart, Liddell. History of the 2 nd World War, Cassell, London, 1971.
  - 76- Handbook of Household Surveys, United Nations, New York, 1964.
  - 77- Hobson, J. A. Imperialism, London, 1982.
  - 78- Howard, M. The Theory and Practice of War, Bloomington, Indiana University Press, 1992.
  - 79- Homans, G. The Human Group, London, Routledge and Kegan Paul, 1981.
  - 80- Jomans, G. The Small Warship, American Sociological Review, XI, 1989.
  - 81- Hutchin, E. and Fielder, Task Oriented and Quasi therapeutic Role of Military Groups, Sociometry, 23, 1966.
  - 82- Informal Social Organization in the Army, American Journal of Sociology, 51, 1969.
  - 83- Janowitz, M. Military Establishment, in Contemporary Social Problems by R. Merton E. and E. Shils, New York, Harcourt Brace, 1961.
  - 84- Janowitz, M. Sociology and Military Establishment, New York, 1965.
  - 85- Janowitz, M. Armed Forces and Society: A World Perspective, in Armed Forces and Society, edited by Doom, Mouton, the Hague, 1968.
  - 86- Hohmson, H. Sociology, London, Routledge and Kegan Paul, 1991.
  - 87- Kerr, C. et al. Industrialism and Industrial Man, Cambridge, Harvard University Press, 1980.
  - 88- Kennedy, G. The Economics of Defence, New Jersey, Rowan and Littlefield, 1975.
  - 89- Kipins, D. Interaction Between Members of Bomber Crew As A Determinant of Sociometric Choice, Human Relations, 10, 1957.
  - 90- Krech, D. and Crutchfield, Individual in Society, New York, 1982.
  - 91- Kumanev, V. Problems of the Contemporary World, Moscow, 1975.
  - 92- Lang, K. Military Institutions and Sociology of War, London, 1992.
  - 93- Lang, K. Military Sociology, Current Sociology, 16, 1991.
  - 94- Lang, K. Military, in International Encyclopedia of Social Sciences, New York, the Macmillan co., V. 1968.
  - 95- Lindsey, G. Handbook of Social Psychology, Vol. 2, Addison-Wesley- Publishing Co., Reading, Mass., 1964.

- 
- 
- 96- Mannheim , K. *Diagnosis of Our Time*, London, Routledge and Kegan Paul, 1968.
  - 97- Marshall, T. H. *Social Policy*, London Hutchinson Univ. Library, 2000.
  - 98- Martindale, D. *The Nature and Types of Sociological Theory*, Boston, Houghton, Mifflin, 1981.
  - 99- Mc Dougall, W. *Social Psychology*, London, 1984.
  - 100- Mcgregor, O. R. *Social Research and Social Policy*, the British Journal of Sociology, June, 1957.
  - 101- Merton, R. and Nibet. *Contemporary Social Problems*, New York, Harcourt, 1981.
  - 102- Mill,J. S. *The Scientific Method* , London, 1969.
  - 103- Mitchell, D. *A Dictionary of Sociology*, London, Routledge and Kegan Paul, 1993.
  - 104- Moser, C. A. *Survey Methods in Social Investigation*, London, Heinemann, 1997.
  - 105- Nobbs, J. *Sociology*, London, Macmillan Education , 1980.
  - 106- PaRSONS, t. AND e. Shils. *Toward A General Theory of Action*, Cambridge, Harvard Univ. Press, 1962.
  - 107- Rose, A. *The Social Psychology of Desertion From Combat*, American Sociological Review, 16, 1961.
  - 108- Rudd,T. *The Unrsing of the Handicapped* , London, Faber and Faber, 1970.
  - 109- Schneider,E. *Industrial Sociology*, New York, Mcgraw-Hill, 1997.
  - 110- Shellford,B. *Modern Warfare*, London, Allan Lane, 1973.
  - 111- Shils,E. and M. Janowitz. *Cohesion and Disntegration in the Wehrmacht in World War II* ,Public Opinion,Vol.12, 1968.
  - 112- Sokolovsky,V. *Military Strategy*, New York, 1973.
  - 113- Sorensen, B. *Care of the Old and the Sick*, Copenhagen, Denmark, 1966.
  - 114- Sproff,W. J. *Human Groups*, A Pelican Book, Middlesex, England, 1987.
  - 115- Steeh, J. *The Rise and Fall of Adolf Hitler*, Hamlyn, London, 1980.
  - 116- Stewart,E. *The Human Bond*, John Wiley and Sons, New York, 1978.
  - 117- Stouffer,S. *The American Soldier*, Princeton University Press, 1991.



- 
- 
- 118- Tomlin, E. The Great Philosophers of the Western World, London, Hutchinson House, 2000.
  - 119- Torrance, E. The Behaviour of Small Groups Under the Stress Conditions of Survival American Sociological Review, 19, 1954.
  - 120- Toynbee, A. The History of Civilization, London, Oxford Univ. Press, 2000.
  - 121- Warren R. Sociology: An Introduction, Little field, Iowa, 1999.
  - 122- Weber, Max. the Theory of Social and Economic Organization , New York, 1989.
  - 123- Dennis, H. M. Studies in Military Sociology, New York, John Wiley and Sons, 2003.
  - 124- Gerald, M. K. Military Sociology, Longman, London, 2004.

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

## تطلب منشوراتنا لعام 2016 من:

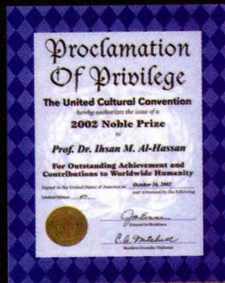
- الأردن**  
مكتبة وائل - عمان - شارع الجمعية العلمية الملكية - مقابل البوابة الشمالية للجامعة الأردنية  
هاتف: 96265335837 + فاكس: 96265331661 + ص.ب 1746 الجبيهة. Sales@darwael.com
- الأردن**  
دار وائل للنشر والتوزيع - العبدلي - مقابل مجلس الأمة - بجانب الخطوط الجوية الملكية الأردنية  
هاتف: 96265690005 + فاكس: 96265661996 + Wael@darwael.com
- الجزائر**  
الدار الجامعية للكتاب - ولاية بومرداس - هاتف: 21324872766 + maunivliv\_dz@yahoo.fr
- السعودية**  
مكتبة جريز - ليست مجرد مكتبة - الرياض - المركز الرئيسي - هاتف: 96614626000 + الرياض شارع العليا وكافة فروعها.
- السعودية**  
مكتبة كنوز المعرفة للمطبوعات والأدوات المكتبية - جدة - الشرقية - شارع ستين هاتف: 96626514222 + فاكس: 96626516593 + info@konoozb.com
- السعودية**  
دار الناشر الدولي - الرياض - حي الملك فهد - هاتف: 96612071186 + فاكس: 96612070587 + ippd@live.com
- السعودية**  
مكتبة التني - الدمام - هاتف: 966569793594 + فاكس: 96638432794 + mb.book.sa@gmail.com
- السعودية**  
المكتبة العصرية - جدة - هاتف: 96626730658 + 96626730658 + فاكس: 966126739554 + al\_asria@hotmail.com
- ليبيا**  
مكتبة أجيال للكتب العلمية - خلف الأكاديمية الليبية - جنزور - هاتف: 218925365281 + elakrami196698@yahoo.com + 218914787128
- ليبيا**  
دار الرواد - طرابلس - ذات العماد - هاتف: 218213350332 + فاكس: 218213350016 + daralrowadbooks@gmail.com
- ليبيا**  
مكتبة طرابلس العلمية العالمية - هاتف: 218213601583 + فاكس: 218213601585 + tripoli.bookshop@hotmail.com
- ليبيا**  
مكتبة الشهيد عبد الرحمن - مصراته - هاتف: 218913166076 + 218913137257 + فاكس: 218925758030
- العراق**  
مكتبة الذاكرة - بغداد - الأعظمية - هاتف: 96414259987 + نقال: 9647800740728 + info@althakerabookshop.com
- العراق**  
مكتبة التفسير - أربيل - القلعة - هاتف: 9647508180866 + tafseeroffice@yahoo.com
- العراق**  
مكتبة دجلة للطباعة والنشر والتوزيع - بغداد - شارع السعدون - هاتف: 96417187092 + نقال: 9647705855603 + dijla.bookshop@yahoo.com
- مصر**  
مكتبة مديولي - القاهرة - 6 ميدان طلعت حرب - وسط البلد - تلفاكس: 20225756421 + فاكس: 20225752854 + info@madboolybooks.com
- مصر**  
القاهرة - مجموعة النيل العربية - شارع عزت سلامة - متفرع من شارع عباس العقاد - هاتف: 20226717135 + فاكس: 20226717134 + info@arabnilegroup.com
- الإمارات**  
مكتبة الفلاح - العين - ص.ب 16431 - هاتف: 9717662189 + فاكس: 97137657901 + مكتبة الفلاح - دبي - ص.ب 20438 - هاتف: 9712630618 + فاكس: 97142630628
- الإمارات**  
مكتبة دبي للتوزيع - دبي وكافة فروعها في الإمارات - هاتف: 97143339998 + فاكس: 97143337800
- قطر**  
مكتبة جريز - ليست مجرد مكتبة - الدوحة - طريق سلوى - تقاطع رمادا - هاتف: 9744440212
- الكويت**  
مجموعة ايكون للتجارة العامة - الكويت - هاتف: 96522667778 + فاكس: 96522667779 + arahman70@hotmail.com + نقال: 96597150400
- الكويت**  
مكتبة دار ذات السلاسل - الكويت - هاتف: 96522428204 + فاكس: 96522438304 + ths@thatalsalasil.com.kw
- رام الله**  
دار الشروق للنشر والتوزيع - هاتف: 97022965319
- الخليج**  
مكتبة دنديس - الخليل - هاتف: 970599319922 + فاكس: 9722224123 + info@dandis.ps
- سوريا**  
دار المنجد للنشر - دمشق - الجمارك - الفرقة - هاتف: 963112135414 + فاكس: 963112118277 + munajed@mail.sy
- لبنان**  
دار الكتب العلمية - بيروت - تلفاكس: 9615804810 + 9615804811
- موريتانيا**  
المكتبة التجارية الموريتانية الكبرى - نواكشوط - هاتف: 2225253009 + ص.ب 341

WhatsApp 00962785900000

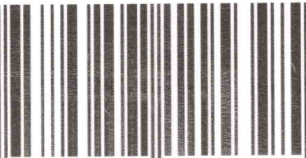
دار وائل للنشر والتوزيع  
Sales@darwael.com Wael@darwael.com  
www.darwael.com

## السيرة العلمية للعالم الأستاذ الدكتور إحسان محمد الحسن

- ولد في بغداد - الكرخ - عام 1946.
- تخرج من ثانوية الكرخ الرسمية حائزاً على درجة الأول على العراق عام 1962 وأرسل إلى إنجلترا في البعثة العلمية لدراسة الاجتماع.
- حصل على شهادة البكالوريوس علوم في علم الاجتماع بدرجة الشرف من جامعة لندن. إنجلترا عام 1966.
- حصل على شهادة الماجستير آداب علم الاجتماع التطبيقي بدرجة شرف من جامعة كلاسكو البريطانية عام 1967.
- حصل على شهادة الدكتوراه في علم الاجتماع بدرجة امتياز من جامعة بوذايست/المجر عام 1977.
- حصل على شهادة الدكتوراه في علم الاجتماع بدرجة امتياز من جامعة لندن عام 1988.
- حصل على شهادة الدكتوراه علوم (D.Sc.) بدرجة امتياز في علم الاجتماع (الدكتوراه العالمية) من أكاديمية العلوم المجرية في بوذايست وهي شهادة أعلى من الدكتوراه بخمس سنوات عام 1988 بعد تقويم أطروحة الشهادة من جامعات هارفرد و لندن والسوربون وبوذايست ووارشو.
- فاز بجائزة الوسام الذهبي لمساهمة البحث الاجتماعي التي نظمتها الجمعية الدولية لعلماء الاجتماع في نيويورك / أمريكا عام 1988.
- فاز بلقب الأستاذ الأول على كلية الآداب على كلية الآداب وجامعة بغداد والجامعات العراقية عام 1996.
- عضو الجمعية الملكية لعلماء الاجتماع البريطانيين في لندن وكلاسكو.
- عضو مدى الحياة في المجمع العلمي الملكي البريطاني في لندن والمجمع العلمي المجري في بوذايست.
- أشرف على ثمانين أطروحة ماجستير ودكتوراه.
- فاز بلقب عالم متميز في المسابقة الدولية التي أجزاها المعهد الجغرافي الأمريكي بالتعاون مع أكاديمية العلوم الأمريكية عام 1998.
- منحه لقب عالم من قبل دولة العراق بعد تميزه في التأليف والكتابة والبحث العلمي عام 1999.
- حصل على وسام الاستحقاق الدولي من جامعة كامبردج البريطانية عام 2000.
- فاز بجائزة نوبل في العلوم عام 2002 من المجمع الثقافي المئتمند/الولايات المتحدة الأمريكية.



ISBN 978-9957-11-539-5



9 789957 115395